الموسوعة الشاملة للتصوف

دراسة في المنهج الصوفي ..مدارسه وأبرز رجاله

عدنان أحمد ياسين الفلاحي الحسني

الجـــزء الرابـــع

الطبعة الثانية

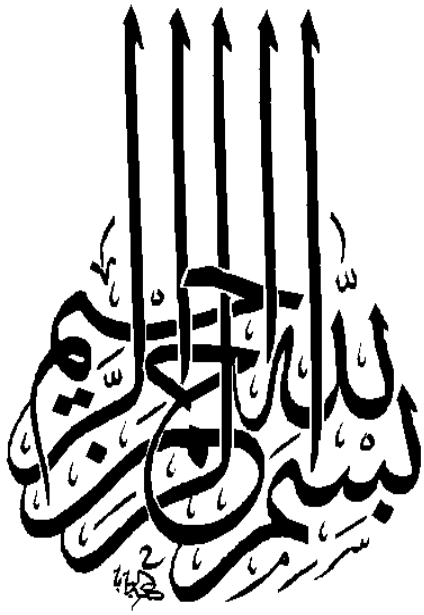
بسم الله الرحمن الرحيم

حرف الحاء

ح

حاتم الأصم

ابو عبد الرحمن الأصم

رجل من الصالحين ، عاش رحمه الله تعالى كالطيور ، متوكلات على ربها حق توكله ، تغدو خماصاً وتعود بطاناً ، مُعرِضاً عما في أيدي الناس ، رغم قلة ما في يده وفقره الشديد ، تحلَّى رحمه الله تعالى بحسن الخُلُق ، وصدق المعاملة .

وكان أحد أعلام الورع والزهد في مكانه وفى زمانه ، كان محباً للجميع ، حتى خصومه ، وكان يفرحه أن ينتصر عليه مناظروه ، يفرح إن أصابوا ، ويحزن إن أخطأوا، وبذا ضرب مثلا رائعا في إنكار الذات والإيثار، كما قدم نموذجا يحتذى به في الحياء ، ومراعاة مشاعر الناس ، واحترام كرامتهم، وتقدير هيبتهم

(هو الزاهد القدوة الرباني ، أبو عبد الرحمن ، حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة ، الأصمُّ ، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم ، كان يقال له : لقمان هذه الأمة)[1]

وهو أحد علماء الأمة ومن أعلام أهل السنة والجماعة في القرن الثالث الهجري ، ومن قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ ، لازَم الصوفي الكبير شقيق البلخي وأسند الحديث عنه، فيما روى عنه عدد من المحدثين .

وكان أستاذ أحمد بن خضرويه .

روى عن :

شقيق البلخي ، وصَحِبَه ، وسعيد بن عبد الله الماهياني ، وشداد بن حكيم ، ورجاء بن مُحَمَّد وغيرهم .

روى عنه :

---

[1] سير أعلام النبلاء ٤٨٥/١١

عبد الله بن سهل الرازي ، وأحمد بن خضرويه البلخي ، ومُحَمَّد بن فارس البلخي ، وأبو عبد الله الخواص ، وأبو تراب النخشبي ، وحمدان بن ذي النون ، ومُحَمَّد بن مكرم الصفار ، وآخرون . واجتمع بالإمام أحمد ببغداد .

مناقبه :

كان حاتم الأصم أحد أعلام الورع والزهد من أهل بلخ الذين ذاع صيتهم في الآفاق وعُرف عنهم الإعراض عما في أيدي الناس والتوكل على الله، بالإضافة إلى التحلي بحسن الخُلُق والمعاملة، فقد أورد ابن خلكان في «وفيات الأعيان» قصة تظهر ما وصل إليه من المراتب العالية من الدين والخُلُق الحسن، فقد روى عن أبي بكر الوراق أن امرأة جاءت لتسأله مسألة، فاتفق أن خرج منها في تلك الحالة صوت فاحمر وجهها وخجلت خجلًا كثيراً ، فصارت كلما سألته جعل يوهمها أنه أصَمُّ ويقول لها: ارفعي صوتك ، فقالت في نفسها : لم يسمع الصوت ، فسمي لذلك الأصَمَّ .

قدم بغداد في أيام الإمام أحمد بن حنبل واجتمع به فنفعه وانتفع به. وقد روى أبو جعفر الهروي قصة أول اجتماع بينهما إذ قال: كنت مع حاتم وقد أراد الحج، فلما وصل إلى بغداد قال: يا أبا جعفر أحب أن ألقى أحمد بن حنبل، فسألنا عن منزله ومضينا إليه فلما خرج قلت: يا أبا عبد الله هذا أخوك حاتم، فسلم عليه ورحب به وسأله: أخبرني يا حاتم فيمَ أتخلص من الناس فقال: يا أبا عبد الله في ثلاث خصال ، قال: ما هي قال أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئًا ، وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً ، وتحمل مكروههم ولا تُكْرِهْ واحدًا منهم على شيء ، فأطرق الإمام أحمد ثم رفع رأسه وقال: يا حاتم إنها شديدة ، فقال: وليتك تسلم ، أعادها ثلاث مرات.

ثناء العلماء عليه :

شهد كثيرون للأصم، فقال عنه المؤرخ الشهير ابن خلكان في «الوفيات» إنه :

حاتم بن عنوان الأصم من أهل بلخ كان أوحد من عُرف بالزهد والتقلل واشتهر بالورع والتقشف، وله كلام يُدَوَّن في الزهد والحِكَم .

ووصفه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» بأنه (المؤثر للأدوم والأعم ، والآخذ بالألزم والأقوم) والذى (توكل فسكن ، وأيقن فركن) .

وأشاد به الذهبي في سيره ونعته بأنه :

(الزاهد القدوة الرباني، الواعظ الناطق بالحكمة) ، وقال إنه كان له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، حتى بدا في نظر الكثيرين (لقمان أمة المسلمين) .

ووصفه أحمد بن حنبل بأنه «رجل عاقل» بعد أن استمع إلى قصة تقول :

إن نفرا من أهل بغداد قد اجتمعوا مع الأصم وسألوه: يا أبا عبدالرحمن أنت رجل أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأى معنى ، فقال لهم :

معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي :

أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن له إذا أخطأ ، وأُخفض نفسي كي لا تتجاهل عليه.. بلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال : سبحان الله ما أعقله من رجل [1]

من حِكَمه واقواله :

كانت حياته ﷺ حكمة متواصلة ودرس في الزهد وصِدقِ التوكل ، وصحيح محبة الله تعالى .

وكانت له أقوال تشير الى الدرب وتضيء للسالكين بعده .

يروى عنه انه قال :

(تعهد نفسك في ثلاثة مواضع :

إذا عملت فأذكر نظر الله إليك ، وإذا تكلمت فأذكر سمع الله إليك ، وإذا

---

[1] فرسان العشق ص ١٢٨

سكتَ فأذكر علمَ الله فيك ".

وقال : " من ادعي ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب: من أدعي حُبَ اللهِ من غير وَرَع من محارمه؛ ومن ادعي حبَ الجنةِ من غير أنفاق ماله؛ ومن ادعي محبةَ الرسول من غير محبة الفقراء .

وقال له رجل : ما تشتهي ؟ فقال: أشتهي عافيةَ يوم إلى الليل

فقيل له: أليست الأيامُ كلها عافيةَ ؟ فقال: أن عافيةَ يومي ألا أعصي اللهَ فيه .

وسُئِل : علام بنيتَ أمرَكَ هذا في التوكل علي الله ؟ قال : علي خصالِ أربع :

علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي

وعلمتُ أن عملي لا يعملهُ غيري ، فأنا مشغول به

وعلمتُ أن الموت يأتيني بغتةً ، فأنا أبادره

وعلمتُ أني لا أخلو من عين الله حيث كنتُ، فأنا مستحٍ منه .

وقال : ما من صباح إلا والشيطانُ يقول لي: ما تأكلُ ، وما تلبسُ ؟ وأين تسكنُ ؟ فأقول : أّكل الموتَ ، وألبس الكفنَ ، وأسكن القبرَ .

وقيل له : من أين تأكل ؟

فقال : ولله خزائنُ السمواتِ والأرض ولكن المنافقين لا يعلمونَ .

وقال ﷺ : من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت:

موتاً أبيض، وهو الجوع .

وموتاً أسود، وهو: احتمال الأذى من الخلق .

وموتاً أحمر، وهو: العمل الخالص من الشوْب في مخالفة الهوى .

وموتاً أخضر، وهو: طرح الرقاع بعضها على بعض [1]

---

[1] الرسالة القشيرية ص٢٨

(وعنه : من أصبح مستقيما في أربع فهو بخير :
التفقه ، ثم التوكل ، ثم الإخلاص ، ثم المعرفة .
وعنه انه كان يقول :
لي أربعة نسوة ، وتسعة أولاد ، ما طمع شيطان أن يوسوس إلي في أرزاقهم .
وقال أبو تراب :
قال شفيق لحاتم : مذ صحبتني ، أي شيء تعلمت مني ؟
قال : ست كلمات :
رأيت الناس في شك من أمر الرزق ، فتوكلت على الله .
قال الله تعالى :
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [1]
ورأيت لكل رجل صديقا يفشي إليه سره ، ويشكو إليه ، فصادقت الخير ليكون معي في الحساب ، ويجوز معي الصراط .
ورأيت كل أحد له عدو ، فمن اغتابني ليس بعدوي ، ومن أخذ مني شيئا ليس بعدوي ; بل عدوي من إذا كنت في طاعة ، أمرني بمعصية الله ، وذلك إبليس وجنوده ، فاتخذتهم عدوا وحاربتهم .
ورأيت الناس كلهم لهم طالب ، وهو ملك الموت ، ففرغت له نفسي .
ونظرت في الخلق ، فأحببت ذا ، وأبغضت ذا . فالذي أحببته لم يعطني ، والذي أبغضه لم يأخذ مني شيئا ، فقلت : من أين أتيت ؟ فإذا هو من الحسد فطرحته ، وأحببت الكل ، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم .
ورأيت الناس كلهم لهم بيت ومأوى ، ورأيت مأواي القبر ، فكل شيء قدرت عليه من الخير قدمته لنفسي لأعمر قبري .

---

[1] سورة هود/ ٦

فقال شقيق : عليك بهذه الخصال .

وقال أبو تراب : سمعت حاتما يقول : المؤمن لا يغيب عن خمسة :

عن الله ، والقضاء ، والرزق ، والموت ، والشيطان .

وعن حاتم قال : لو أن صاحب خبر جلس إليك ، لكنت تتحرز منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز)[1]

ومن كلامه قوله في تقسيم الجهاد : الجهاد ثلاثة: جهاد في سِرّكَ مع الشيطان حتى تكسره ، وجهاد في العلانية في أداء الفرائض حتى تؤديها ، وجهاد مع أعداء الله في غزو الإسلام .

وقال : الواثق من رزقه مَنْ لا يفرح بالغنى ولا يهتم بالفقر، ولا يبالي أصبح في عسر أو يسر .

وقال أيضًا :

الزم خدمة مولاك تأتِكَ الدنيا راغمة والجنة عاشقة،

وذكر صاحب «حلية الأولياء» أن عصام بن يوسف مر بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه فقال : يا حاتم أتحسن الصلاة ؟

قال: نعم .

قال: كيف تصلي ؟ قال حاتم :

أقوم بالأمر وأمشي بالخشية وأدخل بالنية وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل والتفكر وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأجلس للتشهد بالتمام وأُسَلّم بالسُّنَّة والإخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسي بالخوف ، أخاف أن لا يُقبل مني وأحفظه بالجهد إلى الموت .

---

[1] سير اعلام النبلاء ١١/ ٤٨٥-٤٨٧

فقال عصام حينئذٍ: تكلم فإنك تُحْسِنُ تصلي [1]

اسلوبه في النصح والحكيم :

لقد بذل ﷺ وقته وجهده لنقل القيم الصحيحة للزهد والتصوف الى العلماء وعامة المسلمين من خلال النصح الذكي والحكمة الواعية والفهم العميق للنفس البشرية .

ومما يُذكر عن نصحه للعلماء الذين وجد في تعاملهم ما يبعدهم عن الله تعالى قصة الشيخ الأصم مع أحد علماء المسلمين :

(دخل حاتم على مُحَمَّد بن مقاتل عالم الري يعوده في مرضه ، فرأى داره واسعة وفرشه وطيئة وغلماناً وخدماً بين يديه فلم يسلم عليه وقال له :

يا مُحَمَّد بمن اقتديت في بناء بيتك هذا وفرشك هذه وأمتعتك هذه أبالنبي ﷺ والصحابة والتابعين والأئمة ، والصالحين أم بفرعون ونمروذ فسكت مُحَمَّد فقال حاتم :

يا علماء السوء إنما مثلكم مثل الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها لا مثل العلماء العاملين بل أنتم فساد للعامة يقولون : إذا كان هذا مُحَمَّد العالم على هذا الحال فأنا تبع له .

فازداد مُحَمَّد بن مقاتل مرضاً على مرضه من كلام حاتم ﷺ .

ثم قال حاتم ﷺ لمحمد أنا رجل أعجمي أريد منك أن تعلمني كيف الوضوء للصلاة فقال له توضأ ، وأنا أنظر فغسل حاتم ثلاثاً في المضمضة والاستنشاق فلما جاء يده اليسرى غسل يده أربعاً فقال له :

أسرفت في غسل ذراعك أربعاً .

فقال حاتم : سبحان الله تنكر عليَّ الإسراف في كف ماء ولا تنكر على

---

[1] حلية الأولياء ٨/٧٤ برقم ٣٦٩

نفسك في إسرافك في جميع ما أنت فيه ؟

فعلم مُحَمَّد أن حاتماً إنما قصد بطلبه تعليم الوضوء هذه القضية فتنبه لنفسه وخرج من دار وغلمانه ولحق بالفقراء ﷺ) [1]

وفاته :

ذكر الذهبي في سيره عن ابن منده وأبي طاهر السلفي أنه توفي سنة مائتين وسبع وثلاثين للهجرة ٢٣٧ هـ، وكذلك قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان».

[1] الطبقات الكبرى ١١٨-١١٩

الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي

ابو عبد الله المحاسبي

١٧٠ هـ – ٢٤٣ هـ

الحارث بن أسد بن عبد الله العنزي المحاسبي البصري كنيته أبو عبد الله ، أحد العلماء في القرن الثالث الهجري .

ولد ونشأ بالبصرة من اعمال العراق ومات ببغداد ، واستمد كنيته من أفعاله ، فكان شديداً على نفسه ، شديداً في محاسبتها ، شديداً في تجنّب كل ما فيه شبهة ، أو قريباً منها .

كانت رحلته الأولى خروجه من البصرة الى بغداد مع أهله ، والتي تروي الأخبار انها كانت تعيش في بحبوحة من العيش .

وأصبحت بغداد موطن نشأته ، وتعلمه ، ولم يغادرها إلا حين زار الكوفة مضطراً في بداية خلافة المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ) .

وظل هواه بغدادياً ، وظل متعلقاً قلبه بمآذنها ، ومساجدها وشيوخها ، ولم يكن يثير شجنه شيء مثل الغربة عن بغداد الخالدة .

يقول ابو عثمان :

(أنشد قوّال بين يدي حارث المحاسبي هذه الأبيات :

أنا في الغربة أبكي ما بكت عين غريب

لم اكن يوم خروجي من بلادي بمصيبِ

عجباً لي ولتركي وطناً فيه حبيبي

فقام يتواجد ويبكي ، حتى رحمه كل من حضره)[١]

[١] متصوفة بغداد ص ٩٦ عن طبقات الصوفية

ورعه وزهده :

بلغ من ورعه ومن حرصه أنه ورث عن أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئا، لأن أباه كان قدرياً ، فتركها وَرَعاً ، وقال :

(صحَّت الرواية أنه لا يتوارث أهل ملتين شيئاً) ومات وهو محتاج إلى درهم [1]

ويذكر تلميذه مُحَمَّد بن مسروق أن أباه (خلّف له ضياعاً وعقاراً ، ولم يأخذ منها شيئاً)[2]

وذلك بدوافع الورع والخشية ، لأن الرواية صحَّت من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ انه قال : لا يتوارثُ أهلُ مِلَّتَيْن [3]

ومن ورعه وزهده ما رواه عنه الشيخ الجنيد رضي الله عنهما :

وكان يروى أن الله تعالى حماه بأنه كان إذا مد يده إلي طعام فيه شبهة تحرك في إصبعه عرق ، فكان يمتنع منه .

(قال الجنيد : مرَّ بي يوماً ، فرأيت فيه أثر الجوع .

فقلت : يا عم، ندخل الدار وتتناول شيئاً ؟

فقال: نعم ، فدخلت الدار، وحملت إليه طعاماً ، من عرس قوم .

فأخذ لقمة وأدارها في فيه مراراً، ثم قام وألقاها في الدهليز وفرَّ .

فلما رأيته بعد أيام ، قلت له في ذلك ، فقال :

أني كنت جائعاً وأردت أن أسرك بأكلي وأحفظ قلبك ، ولكن بيني وبين الله علامة : ألا يسوغني طعاما فيه شبهة ، فلم يمكنني ابتلاعه ، فمن أين كان

---

[1] انظر طبقات الأولياء ١/١٧٥ والرسالة القشيرية ص ١٣٣

[2] الرسالة القشيرية ص ١٣٣

[3] أخرجه أبو داود (٢٩١١)، وأحمد (٦٦٦٤) واللفظ لهما، وابن ماجه (٢٧٣١) مختصراً

ذلك الطعام ؟

فقالت : أنه حمل من دار قريب لي من العرس ، ثم قلت له : تدخل اليوم ؟ فقال : نعم . فقدَّمت اليه كسراً كانت لنا فأكل وقال : إذا قدمت إلى فقير شيئاً فقدِّم مثل هذا) [1]

وكان المحاسبي معروفاً بزهده .

وعن زهده ﷺ يقول الجنيد :

مات المحاسبي وإنه لمحتاج الى دانق فضة [2]

لقاءه بالشيخ احمد ابن حنبل :

قال إسماعيل بن إسحاق السراج: قال لي أحمد بن حنبل يومًا :

بلغني أن الحارث هذا -يعني المحاسبي- يكثر الكون عندك ، فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يرائي فأسمع كلامه .

فقلت : السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله .

وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله .

فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة . فقلت : وتسأل أصحابك أن يحضروا معك .

فقال : يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت .

ففعلت ما أمرني به ، وانصرفت إلى أبي عبد الله وأخبرته ، فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار ، واجتهد في وِرْدِه إلى أَن فرغ .

وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ، ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلّوا بعدها ، وقعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف

---

[1] الرسالة القشيرية ص ١٣٣

[2] طبقات الصوفية ص ٦١

الليل ، وابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون كأن على رءوسهم الطير ، فمنهم من يبكي ، ومنهم من يحن ، ومنهم من يزعق ، وهو في كلامه .

فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله ، فوجدته قد بكى حتى غشي عليه ، فانصرفت إليهم ، ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا ، فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال .

فقلت : كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله ؟

فقال: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، وعلى ما وصفت من أحوالهم فلا أرى لك صحبتهم .

ثم قام وخرج . [1]

أبرز اساتذته :

ان ابرز اساتذته في الحديث هم :

هشيم ، وشريح بن يونس ، ويزيد بن هارون ، وابو النضر ، وحجاج ، وسنيد بن داود .

(ويروى انه تتلمذ على الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هـ) في رحلته الثانية الى بغداد ١٩٥هـ [2]

واخذ علوم اللغة والقران عن عالمها الأول في ذلك العصر أبي عبيد القاسم بن سلام ، صاحب الكتابين المشهورين (غريب الحديث) و (الأموال) .

وقد روى عن اعلام كبار في الفقه واللغة والحديث .

(مارس المحاسبي التدريس زهاء ربع قرن او اكثر)[3]

---

[1] مناقب الإمام أحمد ص ١٨٠

[2] متصوفة بغداد ص ١٠١

[3] متصوفة بغداد ص ١٠١

مما يؤكد على انه كان صاحب دعوة ، وصاحب مذهب نظري متكامل ، وهو تبعاً لهذا الفهم اكبر من صاحب مدرسة تقليدية ، ذلك لأن كتبه وافكاره وكيفية تحاوره ، واسترساله في التثقيف بآرائه تشير الى انه جنَّد نفسه لرسالة انسانية كبيرة .

ابرز الذين رووا عنه :

يُعد الجنيد ، وابن مسروق ، وابن ميمون الخواص ، من اهم الذين نقلوا افكاره كما تأثر الإمام الغزالي كثيراً بالشيخ المحاسبي خصوصاً في كتابه (المنقذ من الضلال) ، كما ان تأثير كتاب (الوصايا) للمحاسبي كان واضحاً في كتابات الغزالي .

مؤلفات وكتب الشيخ المحاسبي :

مؤلفات الشيخ المحاسبي كثيرة وتمتاز بقوة الاقناع ورصانة الاسلوب الموصل للإقناع .

(يقول السبكي إن مؤلفات المحاسبي تبلغ مئتي مصنف في الزهد والسلوك والتصوف واصول الدين)[1]

قدم الشيخ العالم الرباني د . عبد الحليم محمود كشفاً بالكتب التي وصلت الينا من مؤلفات الشيخ المحاسبي فيذكر :

١- كتاب الرعاية لحقوق الله والقيام بها .
٢- كتاب ادب النفوس .
٣- كتاب الوصايا .
٤- كتاب المكاسب والورع والشبهات .

---

[1] متصوفة بغداد ص ١٠٠

٥- كتاب ماهية العقل ومعناه .

٦- كتاب المسائل في اعمال القلوب .

٧- كتاب التوهم .

٨- كتاب المسائل في الزهد .

٩- كتاب بدء من اناب الى الله تعالى (مخطوط)

١٠- فصل من كتاب العظمة (مخطوط)

١١- مختصر كتاب فهم الصلاح (مخطوط)

١٢- كتاب في المراقبة (مخطوط)

١٣- كتاب احكام التوبة (مخطوط)

١٤- كتاب المسترشد (مخطوط)

١٥- كتاب العلم (مخطوط)

١٦- كتاب الصبر والرضا (مخطوط)

١٧- المعرفة .

١٨- رسالة في التصوف .

اضافة الى الكثير من المؤلفات التي فُقدت .

قالوا عنه :

كُتب الكثير عن الشيخ المحاسبي ، وانشغل الكثير بمتابعة حياته ودراسة افكاره وما تناولته مؤلفاته وكتبه .

وقد حوت الكتب التي تناولت سيرته آرائه واذواقه ومواجيده ، فأقبل عليها من أقبل ، وأدبر عنها من أدبر ، ومن الذين الذين رأوا في المحاسبي مثال وقدوة وقائد ونموذج متميز فامتدحوه وأثنوا على تجربته .

ومن الذين أثنوا على المحاسبي :

قال عنه الإمام القشيري في رسالته :

عديم النظير في زمانه عِلماً ، وورعاً ، ومعاملة ، وحالاً [1]

قال الخطيب البغدادي: الحارث بْن أسد أَبُو عَبْد اللَّهِ المحاسبي، أحد من اجتمع له الزهد وَالمعرفة بعلم الظاهر وَالباطن .

وقال الذهبي في السير: الزَّاهِدُ، العَارِفُ، شَيْخُ الصُّوْفِيَّةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَارِثُ بنُ أَسَدٍ البَغْدَادِيُّ، المحَاسِبِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الزُّهْدِيَّةِ. انتهى.

وقال أيضا : المحَاسِبِيُّ كَبِيْرُ القَدْرِ .

وقال عنه ابن الملقن :

أحد الأوتاد والجامع بين الظاهر والباطن .

سمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه [2]

قال عنه السلمي في طبقاته :

من علماء مشايخ القَوم بعلوم الظاهر ، و علوم المعاملات و الإشارات .

له التصانيف المشهورة .

وقال عنه : أنه أستاذ أكثرِ البغداديين [3]

قال أبو عبد الله بن خفيف :

اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلِّموا لهم حالهم :

الحارث بن أسد المحاسبي ، والجنيد بن مُحَمَّد، وأبو مُحَمَّد رُويم ، وأبو العباس ابن عطاء ، وعمرو بن عثمان المكيّ ، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق [4]

اسلوب المحاسبي في التصوف :

يضع المحاسبي ﷺ منهجاً لطلابه يجسد فيه رؤيته للسلوك وللتصوف فيقول في

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٥٧

[2] طبقات الأولياء ١٧٥/١

[3] طبقات الصوفية ص ٦١

[4] مسالك الأبصار ٤٧/٥

كتابه (شرح المعرفة وبذل النصيحة) :

وأعون الأمور لك على التقوى لزوم طريق اصحاب رسول الله ﷺ ، واياك والمحدثات من الأمور ، والرغبة عن طريقهم ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، والضلالة وأهلها في النار ، أعاذنا الله تعالى واياك من النار .

واعلم انك اذا اخذت طريق اصحاب رسول الله ﷺ فقد اخذت بغاية الصدق ، وافلحت حجتك ، ونلت بغيتك ، فلا تخالفهم في شيء من الأشياء ، فإنهم كانوا على الحق المبين ، والنور الواضح ، فاتبع سبيلهم ومنهاجهم ، ولا تعرج عنهم فيعرَّج بك ، ولا تخالفهم فيخالف بك [1]

وبالتالي يكون المحاسبي واحداً ممن شقوا طريقاً وسيعاً في تاريخ المسلمين يزاوج بين وجدانيات التصوف والالتزام بالنص .

أي بين الشريعة والحقيقة ، دون ان يغمط حق العقل في التفكير والتدبر .

من اقواله رضي الله عنه :

(من كلامه : من أراد أن يذوق لذة طعم معاشرة أهل الجنة فليصحب الفقراء الصادقين .

وقال رضي الله عَنه : المحبة ميلك إلي المحبوب بكليتك ، ثم أيثارٌ له علي نفسك وزوجك ومالك ، ثم موافقتك له سراَ وجهراَ ، ثم علمك بتقصيرك في حبه) [2]

(وقال : المحاسبُة و الموازنُة في أربعةِ مواطِن :

فيما بين الأيمان و الكفْر، وفيما بين الصدق و الكَذبِ، و بين التوحيد و الشرك ، و بين الإخلاصِ و الرياء .

وقال رضي الله عَنه : من اجتهد في باطنه ورثَه اللهُ حسن معاملَة ظاهره. و من

---

[1] الرسالة القشيرية ص ١٣٣

[2] طبقات الأولياء ١ / ١٧٥

حسن معاملَته في ظاهره، مع جهدِ باطنه، ورثَه اللهُ تعالَى الهِدايةَ إليه، لقوله عز وجلَّ : ﴿والَّذِين جاهدوا فِينا لَنهدِينهم سبلَنا﴾ .

وقال رضي الله عَنه: العِلْم يورُث المخافةَ، و الزهد يورُث الراحةَ، و المعرفُة تورُث الإنابةَ

وقال رضي الله عَنه: خيار هذه الأُمةِ الذين لا تشغلهم آخِرتهم عن دنياهم ؛ ولا دنياهم عن آخِرتِهم ".

وقال رضي الله عَنه: الذي يبعُث العبد على التوبةِ ترك الإصرار. و الذي يبعُثه على تركِ الإصرار ملازمُة الخَوفِ .

وقال رضي الله عَنه: لا ينبغِي أن يطُلب العبد الورع بتضييعِ الواجِبِ ".

وقال رضي الله عَنه : أكثَر شغلِ الحكيمِ فيما يوجِبه عليه الوقت ؛ و الَّذي هو أَولَى به فيه .

وقال رضي الله عَنه : صِفَة العبودية ألاَّ ترى لِنفْسك مِلْكًا ، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً و لا نفْعاً .

وقال رضي الله عَنه: التسلِيم هو الثُّبوت عند نزولِ البلاء ، من غير تغير مِنه في الظَّاهِرِ و الباطنِ .

وسئِلَ الحارث عن الرجاء ، فقال : الطّمع في فَضلِ الله تعالى و رحمتِه ، و صِدق حسنِ الظن عند نزول الموتِ .

وقال الحارث : الحزن على وجوه :

حزن على فَقْدِ أمرٍ يحب وجوده ؛ و حزن مخافةَ أمرٍ مستقبلٍ ؛ و حزن لما أَحب من الظّفَرِ بأمرٍ ، فَيتأخر عن مرادِه ؛ وحزن يتذَكَّر من نفسه مخالَفَاتِ الحق، فَيحزن له .

وقال رضي الله عَنه : حسن الخُلقِ احتمال الأذَى وقِلَّة الغضب وبسط الوجه وطِيب الكلام وقال رضي الله عَنه : لكلِّ شيءٍ جوهر، و جوهر الإنسانِ العقل، و جوهر العقل الصبر .

وقال رضي الله عَنه: العمل بحركاتِ القلوبِ في مطالعاتِ الغيوب، أشرف من العملِ بحركاتِ الجوارِح.

وقال رضي الله عَنه : من طبِع علَى البِدعةِ متى يشِيع فيه الحق ؟

وقال رضي الله عَنه: إذا أنت لم تسمع نداءَ اللهِ؛ فكيف تجيب داعِي الله ؟

ومن استغنى بشيءٍ ، دون الله، جهلَ قَدر الله .

وقال رضي الله عَنه : الظالم نادم، و إن مدحه الناس ، و المظلوم سالم، و إن ذمه الناس . و القانع غَنِي ، و إن جاع ؛ و الحريص فقير، و ان ملَك ".

وقال رضي الله عَنه: من صحح باطِنه بالمُراقَبةِ و الإخلاصِ، زين اللهُ ظاهره بالمجاهدةِ و اتباعِ السنةِ .

وسئِلَ الحارث : من أَقْهر الناسِ لِنفْسِه ؟ فقال : الراضي بالمقدورِ .

وقال رضي الله عَنه: الخَلْق كلُّهم معذورون في العقْل، مأخوذون في الحكْم".

وقال رضي الله عَنه: من لم يشكرِ اللهَ على النعمةِ ، فقد استدعى زوالَها"

وقال رضي الله عَنه: أكمل العاقِلين من أقَر بالعجز أنه لا يبلغ كنه معرفته) [1]

وقال رضي الله عَنه في تنزيه الله :

(هو سبحانه علم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك لتفرده بعلم الغيوب فلا حاجة للقول بصفات حادثة ولا حاجة لنفي الصفات بحجة التنزيه ما دام العلم واحدا في كل حال والمتغير تعلقه أي المعلوم إذ أن العلم هو انكشاف المعلوم على ما هو عليه)[2]

---

[1] طبقات الصوفية ص ٦١ – ٦٣

[2] موسوعة نور الحكمة ص ٥٨

وقال : جوهر الإنسان الفضل وجوهر العقل التوفيق)

(ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين وتركها مع نسيانها صفة العارفين)

وكان يقول:

استعن بالله في كل الأمور ، فالعجب كيف تقر عينك أو يزول الوجل عن قلبك وقد عصيت ربك والموت نازل بك لا محالة بكربه وغصصه ونزعه وسكراته فكأنه قد نزل بك وشيكاً فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربك، فتوهم ذلك بقلب فارغ وهمة هائجة من قلبك بالرحمة لبدنك الضعيف وارجع عما يكره مولاك وترضاه عسى أن يرضى عنك واستقله عثراتك وابك من خشيته عسى أن يرحم عبراتك فإن الخطب عظيم والموت منك قريب ومولاك مطلع على سرك وعلانيتك ، واحذر نظره إليك بالمقت والغضب وأنت لا تشعر فأجلَّ مقامه ولا تستخف بنظره ولا تتهاون باطلاعه، واحذره ولا تتعرض لمقته فإنه لا طاقة لك بغضبه ولا قوة لك بعذابه [1]

وسأله سائل: – إن النعم من الله تعالى عليَّ لا تحصى، ظاهرة وباطنة، وعامة وخاصة، صغيرة وكبيرة، في كل أحوالي ومع كل أسبابي ، ومع كل شيء من بدني وجوارحي وعقلي وطبعي وحياتي وعيشي، وكل ما أتقلب فيه، وكل منفعة تحدث في ديني ودنياي، وكل ليل ونهار يختلف علي، وشمس وقمر، وسائر الأشياء نعم علي ، إلا أني أجدني في أكثرها غافلاً عن شكره عليها ، إلا النعمة العظيمة كالكرب ينزل بي فيفرج الله عني كربي ، وينفس عني غمي، وكالمال الكثير يرزقني ، فإن عظمت النعمة انتبهت لعظيم قدرها، وموقع منفعتها لي، فانتبهت للشكر، وذكرت أنها من الله تفضل، وحمدته عليها، وسائر النعم لقلة قدرها أنسى أنها نعمة، فإن ذكرت أنها نعمة ذكرتها ذكراً بغير تعظيم لها،

[1] حلية الأولياء ٩٥/١٠

ولم تهج شدة الشكر عليها، حتى لقد نسيت الشكر عند أكثر النعم، إلا عند الفرج من الكرب ، أو النعمة العظيمة المنفعة .

فقال الحارث : هذا فعل عامة العباد من الجاهلين ، يعاملون الله على قدر عظيم إحسانه وقلته ، وإن أكثر ما قل من النعم لربما كان أكثر منفعة من عظيمها ، وربما كان عظيمها يعقب ضراراً في الدين أو في الدنيا ، ولربما كان إحسان الله في النعمة الصغيرة أكثر من النعمة في كبيرها، لعاقبة منفعتها ، ولربما عظمت النعمة من سعة الدنيا فيطغى صاحبها وتشغله حتى يعصي الله فيدخل النار ، ولو كانت النعمة أقل من ذلك لما أطغته ولا ألزمته كثرة الفرائض فيها فلا يقوم بها ، كمن كثرت الحقوق عليه لله في السعة ، فلم يقم بحقه من أداء الزكاة في مواضعها بغير مكافأة ليد الفقير عنده ، ولا اجتلاب حمد ولا ثناء ، ولا مخافة ذم .

وكذلك صلة القرابة والجار والمحتاج البيّن حاجته وغير ذلك .

وربما ضرته السعة في الدنيا دون الدين ، وربما قتله كثرة ماله من لصوص يقتلونه عليه ، وغير ذلك من طيب الطعام الذي تضره كثرته حتى تورثه الأوجاع والأسقام.

وكذلك يوهب له الولد وقد أخبرك العليم الخبير بعواقب ضرر النعم ومنافعها قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً ﴾ [1] ،

فصرف عنهما بقتله أن يدخلا النار، وكذلك قلع الخضر لوحاً من السفينة في لجج البحر وكان عند أصحابها أن في ذلك الغرق ؛ وإنما خرقها لينجو أهلها أن لا تمر بالملك الغاصب فيراها صحيحة فيأخذها؛ فبين أنه يبدلهما خيراً من هذا

[1] الكهف / ٨٠

الغلام . قيل في التفسير: رزقا ابنة تزوجها نبي، وخرج من نسلها سبعون نبياً – والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين [1]

وفاته رحمه الله تعالى :

مات ببغداد سنة ثلاث واربعين ومائتين للهجرة [2]

ويروى عنه انه قال لمن حوله ساعة موته :

إن رأيتُ ما أحببت ، بسمت لكم ، وإن رأيتُ ما لا أحب وجدتموه على وجهي .

وقال رجل ممن شهد موته :

(رأيته يبتسم ، ثم يموت) [3]

---

[1] حلية الأولياء ١٠/١٠٢

[2] طبقات الصوفية ص ٦٣

[3] تاريخ بغداد ج ٨

حازم ابو غزالة

شيخ الطريقة الصوفية الشاذلية القادرية في الأردن حازم أبو غزالة

المولد والنشأة :

ولد الشيخ أبو غزالة في ١٩٣٣/٣/٣م في مدينة يافا التي ترعرع فيها سنوات طفولته الأولى .

ثم انتقل مع أهله إلى مدينة القدس ومنها إلى نابلس حيث أكمل دراسته الثانوية أوائل خمسينات القرن الماضي .

السفر الى سوريا لطلب العلم :

انتقل الشيخ أبو غزالة إلى سوريا في العام ١٩٥٥ لدراسة الشريعة الإسلامية في جامعة دمشق وعاش هناك ثماني سنوات قبل أن يعود إلى الأردن أواسط الستينات ويصبح الخطيب الأول والواعظ في المسجد الحسيني أقدم مساجد عمّان ليكون لهُ تلاميذ ربّاهم على الأخلاقِ الصوفيةِ التي تلقّاها على يدِ شيخه الراحل عبدالقادر عيسى .

حياته :

الذي يتابع الشيخ في عبادته يلمس بجلاء ان الشيخ ﷺ قد أوقف حياته على العبادة والدعوة الى الله وتربية المريدين .

فهو صائم كل دهره ، ولا يتجاوز إفطاره أيام العيد .

وهو دائم القيام طويل التهجد ، حتى انه يتم ما لا يقل عن ثلاثة أجزاء في كل ليلة .

اما تعاهده للقران فهو مواظب على قراءة القران الكريم الذي حفظه في صباه ، فلا يمر عليه أسبوع إلا ويختم فيه ما لا يقل عن ثلاثة خِتم ، ويتضاعف هذا العدد في رمضان ، مع كثرة مسؤوليات الشيخ والتزاماته .

الشيخ يقيم الآن في الأردن، ويدير جمعية دار القرآن الكريم التي تأسست سنة

١٩٦٤م، وقد كان يتردد على الزوايا الصوفية في نابلس بفلسطين التي تنحدر منها وقد درس الشريعة في سوريا، في جامعة دمشق .

للشيخ حازم أكثر من٣٠ ابناً بين ذكر وأنثى والعديد من الأحفاد الذين حرص على تربيتهم على طريق الخير والاستقامة .

شيوخه :

أذن للشيخِ حازم أبو غزالة شيخه عبدالقادر عيسى بالأذن العام والخاص ثم توالت عليه الأذونات من كبار مشايخِ الطرق في العالم وهذه الأذوناتُ تسمح للشيخِ بتلقين الناسِ حلقات الذكر والاستغفار وتلقينهم اسم الله الأعظم .

كما أذن له الشيخ مُحَمَّد الهاشمي التلمساني قبل خليفته الشيخ عبد القادر عيسى رحمهما الله بالإذن العام والخاص .

ثم توالت عليه الأذونات من كبار مشايخ الطرق في العالم، وكان على رأسهم في العراق: الشيخ عبد الكريم بياره (عبد الكريم مُحَمَّد المدرس) ، الذي كتب له الإجازة بكافة الأوراد العامة والخاصة، وقبل ذلك الشيخ الكبير عثمان سراج الدين، والشيخ مُحَمَّد كبارة، رئيس مشايخ الطرق في نيجيريا، وغيرهم، رضوان الله تعالى على أهل الله أجمعين .

منهجه في التصوف :

يرى الشيخ حازم أن المهمَّ في الطريقة الصوفية الشاذلية القادرية هي الاستقامة على كتاب الله وهدي نبيهِ عليه الصلاة والسلام وما عليه الفقهاء والأئمّة وأنَّ هذه الطريقة بعيدة عن كل ما هو شاذ ومنحرف .

كما يرى الشيخ أبو غزالة أنّ الصوفية مثال للمسلمِ في كل مكان وزمان وأنّ من يقول إنّ هذه الطريقة غير صحيحة يريد الطعن بالإسلام .

للشيخ حازم عدد كبير من المريدين من دول عدّة .

والشيخ ﷺ يدعو الى المعرفة والعلم كأساس وضرورة لسالكي طريق التصوف

ويحذر دائماً من الدراويشِ الجهلة الذين لا يتفقهون في دينهم على حد وصفه.
يقيم الشيخ حازم وعدد من مريديه عدداً من حلقات الذكرِ أسبوعياً حيث يقومون خلالها بذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ وقراءة القرآن الكريم وقيام الليل جماعة.

ومع كبر سن الشيخ والذي تجاوز الثمانين ويقترب من التسعين من عمره المبارك الذي قضاه في الدعوة إلى الله، إلا أنه لا يمر عليه شهر أو شهرين، إلا ويطوف البلاد مسافرا في رحلة الدعوة إلى الله تعالى، إلى سوريا والعراق وتركيا ونيجيريا وجنوب أفريقيا ودول المغرب وأميركا وهولندا والدنمارك وتايلند... وغيرها، وله من التلاميذ اليوم ما يجاوز المليون.

وللشيخ الكثرة الكاثرة من الخلفاء في بقاع الأرض، وعلى رأسهم الشيخ يعقوب قرش في فلسطين، والشيخ مُحَمَّد سعيد دولة في الأردن، والشيخ مُحَمَّد سالم في سوريا، والشيخ اسماعيل سرحان في العراق، وغيرهم كثير.

مؤلفاته رضي الله عنه :

للشيخ أكثر من خمسة وعشرين كتابا، ومن أبرزها :

الأجوبة الغزالية على الأسئلة الصوفية ، والدرر الغزالية شرح الحكم العطائية ، والبوارق اللائحة في تفسير سورة الفاتحة ، وتأملات إشارية في الآيات القرآنية ، والمنتقى في الأدعية والأذكار والرقى ، ودقائق الحقائق ، ومراقي التشوف إلى مراتب التصوف ، وكتاب الله الموجود الحق ، والأنبياء أولئك الكاملون ، والمحبة الإلهية في الإسلام، ومختصرة العقائد الخمسون ، وفقه المقاتل ، والمسلم المقاتل ، ونفحات في شرح الأسماء والصفات ، ومفاتيح الوصول إلى أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم .

حبيبُ بن عيسى بن مُحَمَّد العجميُ

أبو مُحَمَّد حبيب العجمي

رجل عاد الى الله وقد أثقله ذنبه ، فقبله الله بفضله ، وجعل له ذِكراً محموداً ، وجعل منه مناراً للتائبين وللسالكين بعده .

حبيبُ بن عيسى بن مُحَمَّد العجميُ ، أبو مُحَمَّد الفارسي أصلاً ، ثم البصري نشأة ، والبغدادي معيشة ووفاة .

قدم الشام ، وبها لقي الفرزدق

(قال حبيب أبو مُحَمَّد :

رأيت الفرزدق بالشام فقال: قال لي أبو هريرة: إنه سيأتيك قومٌ يُيأسونك من رحمة الله فلا تيأس)[1]

ويقال انه بصريُّ الأصل سافر ابوه الى بلاد فارس ثم عاد الى البصرة .

كان عابداً زاهداً مجاب الدعوة .

لقى الحسن وابن سيرين، وروى عنهما.

وكان مجاب الدعوة . تؤثر عنهُ كرامات وأحوال ، وكان لهُ دنيا ، فوقعت موعظة الحَسَن في قلبه ، فتصدَّق بأربعين ألفا ، وقنع باليسير .

وعَبَدَ الله حتى أتاه اليقين .[2]

روى عن :

الحسن البصري، وشهر بن حوشب، والفرزدق شيئا يسيرا.

وروى عنه :

---

[1] مختصر تاريخ دمشق ٣٤٢١٩

[2] سير اعلام النبلاء ١٤٣/٦

حماد بن سلمة ، وأبو عوانة ، وجعفر بن سليمان ، وداود الطائي، ومعتمر بن سليمان، وآخرون . [1]

ومن الذي حدَّثَ به أبو مُحَمَّد حبيب ، أنه سمع الحسن قال : الأوّاه هو الذي قلبه معلق عند الله .

العبد التائب من ذنبه .. العائد الى الله :

قال أبو جعفر السائح: كان حبيب تاجراً يعير الدراهم ، فمر ذات يوم بصبيان يلعبون ، فقال بعضهم : قد جاء آكل الربا .

فنكس رأسه وقال: يا رب ، أفشيت سرّي إلى الصبيان .

فرجع فلبس مدرعة من شعر ، وغلَّ يده، ووضع ماله بين يديه ، وجعل يقول: يا رب، يا غني أشتري نفسي منك بهذا المال فأعتقني .

فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة ، فلم يُرَ إلا صائماً أو قائماً أو ذاكراً أو مصلياً .

فمر ذات يوم بأولئك الصبيان الذين كانوا عيّروه بأكل الربا ، فلما نظروا إلى حبيب قال بعضهم لبعض :

اسكتوا فقد جاء حبيب العابد .

فبكى وقال: يا رب ، أنت تذم مرة وتحمد مرة ، فكل من عندك .[2]

من كراماته :

كان ﷺ مجاب الدعوة ، وروي الكثير عن استجابة دعواته .

عن السري بن يحيى انه قال :

---

[1] سير اعلام النبلاء ١٤٣/٦

[2] مختصر تاريخ دمشق ٣٤٢١٩

كان حبيب يُرى بالبصرة يوم التروية ويرى بعرفة من الغد [1]

وأتاه الحسن هارباً من الحجاج فقال الحسن : يا أبا مُحَمَّد، احفظني من الشُرَطَ على إثري ، فقال: استحييت لك يا أبا سعيد ، ليس بينك وبين ربك من الثقة ما تدعو فيسترك من هؤلاء ، ادخل البيت .

فدخل، ودخل الشرط على إثره فقالوا : يا أبا مُحَمَّد ، دخل الحسن هاهنا ؟

قال: هذا بيتي فادخلوا ، فدخلوا فلم يروا الحسن في البيت .

وذكروا ذلك للحجاج ، فقال: بلى ، كان في بيته ، ولكن الله طمس على أعينكم فلم تروه .[2]

قال عبد الواحد بن زيد :

كان في حبيب العجمي خصلتان من خصال الأنبياء: النصيحة والرحمة .

قال عبد الواحد بن زيد :

كنا عند مالك بن دينار ومعنا مُحَمَّد بن واسع وحبيب أبو مُحَمَّد ، فجاء رجل فكلم مالكاً فأغلظ له في قِسمَةٍ قَسَمَها ، وقال :

وضعتها في غير حقها ، وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك ، لتكثر غاشيتك وتصرف وجوه الناس إليك .

قال : فبكى مالك وقال: والله ما أردت هذا .

قال: بلى، والله لقد أردته .

فجعل مالك يبكي والرجل يغلظ له .

---

[1] جامع كرامات الأولياء ص٣٨٧

[2] مختصر تاريخ دمشق ٣٤٢١٩

فلما كثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء ثم قال :

اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك ، فأرحنا منه كيف شئت .

قال : فسقط والله الرجل على وجهه ميتاً فحمل إلى أهله على سرير. [1]

وكان يقال : إن أبا مُحَمَّد مجاب الدعوة .

قال الحسن بن أبي جعفر: مرّ الأمير يوماً ، فصاحوا : الطريق . ففرّج الناس ، وبقيت عجوز كبيرة لا تقدر أن تمشي ، فجاء بعض الجلاوزة فضربها بسوط ضربة .

فقال حبيب أبو مُحَمَّد : اللهم اقطع يده .

فما لبثنا إلا ثلاثاً حتى مرّ بالرجل قد أخذ في سرقة، فقطعت يده [2]

حدث مسلم أن رجلاً أتى حبيباً أبا مُحَمَّد فقال:

إن لي عليك ثلاث مائة درهم . قال: من أين صارت لك عليّ ؟

قال: لي عليك ثلاث مائة درهم . قال حبيب : اذهب إلى غد .

فلما كان من الليل توضأ وصلى وقال : اللهم إن كان هذا صادقاً فأدّ إليه ، وإن كان كاذباً فابتله في يده ، قال: فجيء بالرجل من غد قد حمل، وقد ضرب شقّه الفالج .

فقال: مالك ؟ قال : أنا الذي جئتك أمس لم يكن لي عليك شيء، وإنما قلت: يستحي من الناس فيعطيني

فقال له: تعود ؟ قال: لا.

قال: اللهم إن كان صادقاً فألبسه العافية.

---

[1] جامع كرامات الأولياء ص٣٨٨

[2] مختصر تاريخ دمشق ٣٤٢١٩

فقام الرجل على الأرض كأن لم يكن به شيء.[1]

قال حبيب :

أتانا سائل وقد عَجَنَت عمرة، وذهبت تجيء بنار تخبزه. فقلت للسائل: خذ العجين. قال: فاحتمله. فجاءت عمرة فقالت: أين العجين؟ فقلت: ذهبوا يخبزونه. فلما أكثرت عليّ أخبرتها، فقالت: سبحان الله، لا بد لنا من شيء نأكله، قال: فإذا رجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً.

فقالت عمرة: ما أسرع ما ردوه عليك، قد خبزوه وجعلوا معه لحماً. [2]

قال ابن المبارك: كان حبيب العجمي يضع كيسه خالياً، فيجده ملآن.

قال عبد العزيز بن مُحَمَّد: مرّ حبيب بمصلوب بالبصرة، فوقف عنده فقال: بأبي ذلك اللسان الذي كنت تقول: لا إله إلا الله، اللهم هب لي دينه. قال: وكان صلب ووجهه إلى الشرق، فأصبحت خشبته قد استدارت إلى القبلة. [3]

ومن أقواله :

كان يخلو في البيت ، فيقول : من لم تقر عينه بك فلا قرت . ومن لم يأنس بك فلا أَنِس .

وقيل لحبيب : ما بالك لا تضحك ، وتجالس الناس، ولا نراك أبداً ألا محزوناً ؟ فقال : أحزنني شيئان :

وقت أوضع في لحدي وينصرف الناس عني ، فأبقى تحت الثرى ، مرتهناً بعملي. ويوم القيامة ، إذا أنصرف الناس عن حوضه عليه السلام ، فأنه بلغني أنه يلقى الرجلُ الرجلَ ، في عرصة القيامة ، فيقول له : أشربتَ من الحوض ؟

فيقول : لا ، فيقول : واحسرتاه . فأي حسرة أشد من هذا ؟ .

---

[1] جامع كرامات الأولياء ص٣٨٩

[2] سير اعلام النبلاء ١٤٣/٦

[3] سير اعلام النبلاء ١٤٤/٦

وقيل له في مرض الموت : ما هذا الجزع الذي ما كنا نعرفه منك؟

فقال : سفري بعيد ، بلا زاد . ويُنزل بي في حفرة من الارض موحشة بلا مؤنس ، وأُقدِم على ملك جبار ، قد قدَم إلى العذر .[1]

ويروى أنه جزع جزعاً شديداً عند الموت ، فجعل يقول : أريد سفراً ما سافرته قط . أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط . أريد أن أزور سيداً ومولى ما رأيته قط . أريد أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط . أريد أن أدخل تحت التراب، وأبقى تحته إلى يوم القيامة ، ثم أقف بين يدي الله تعالى ، وأخاف أن يقول لي :

يا حبيب ، هات تسبيحة واحدة، سبحتني في ستين سنة ، لم يظفر الشيطان منها بشيء ؟

فماذا أقول ؟ ، وليس لي حيلة ؟ ،

أقول: يا رب . هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي .[2]

قال عبد الواحد :

هذا عَبَدَ الله ستين سنة مشتغلاً به ، ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط .

فأي شيء يكون حالنا ، واغوثاه يا الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفاته :

سكن حبيب العجمي في بغداد وتوفي فيها، ومرقدهُ معروف حالياً ولقد تم

---

[1] مختصر تاريخ دمشق ٣٤٢١٩

[2] سير اعلام النبلاء ١٤٣/٦

إنشاؤه في القرن التاسع الهجري، ويقع في محلة بشار على ضفاف نهر دجلة ويحتوي على مسجد فيهِ مصلى واسع ورواق تقام فيهِ الصلوات الخمس .

الحلاج

أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج

٢٤٤ هـ – ٣٠٩ هـ

٨٥٨ م – ٩٢٢ م

هو ابو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور .

النشأة :

ولد بواسط ثم قَدِمَ بغداد التي جلبته بشهرتها العظيمة بالمعارف والعلوم ، وبالمدارس الفكرية ، وبالطرق الصوفية .

وبصدى صوت عمه (الأقطع) الذي ظل يتردد في قليه :

(بغداد دار دنيا وآخرة ، من أقام فيها على السُنّة ومات ، نُقِلَ من جنة الى جنة) [١]

وتذهب مصادر اخرى ان ابا المغيث منصور الحلاج ولد في قرية الطور شمال شيراز ، ثم انتقل مع اسرته وهو طفل الى واسط في العراق [٢]

وقد انتقل بعدها وقبل ان يهبط الى بغداد انتقل الى تُستر الواقعة على ضفاف نهر كارون حيث صحب سهل بن عبد الله التستري أحد كبار الصوفية لمدة سنتين [٣]

وحين دخل الحلاج بغداد كانت ملجأ اصحاب العقول والقلوب ، والمطامع والأهواء من كل جنس وصنف وملَّة ونحلة ،، وقد وصلت في نهاية القرن الهجري الثالث الى مرحلة الحد الفاصل بين قمة الحضارة وبداية التحلل

---

[١] متصوفة بغداد ص ١٧٢

[٢] انظر الحلاج فيما وراء المعنى ص ٣٩

[٣] الحلاج فيما وراء المعنى ص ١٧

والانحدار [1]

فخالط الصوفية وصحب من مشيختهم الجنيد بن مُحَمَّد ، وأبا الحسين النوري ، وعمرو المكي الذي كان مرشده فترة قبل ان تقع بينهما القطيعة .

عاصر الحلاج تسعة من الخلفاء ، قُتِلَ خمسة منهم ومات ثلاثة منهم ميتة مشبوهة ، وكان رحمه الله تعالى شاهداً على تحلل الخلافة ، بفعل الظلم المتبدي والاستبداد المستشري والذي قاد الى ثورات واضطرابات فككت أوصال الخلافة ، فلم يبق تحت سيطرة بني العباس إلا العراق ، ومما زاد الأمر سوء ان المعتصم استعان بالترك الذين زادت سطوتهم وعلت مرتبتهم على العرب .

تسميته بالحلّاج :

في تسميته بالحلاج أقوال .

منها ان اباه كان يعمل في حلج القطن (وهو فصله عن الحَب) فنُسِب الى ذلك .

ومنها ان هذه التسمية لحقته حين ظهرت عليه الأحوال فكان (حلّاج الأسرار) لكشفه اسرار الموحدين واهل التصوف حتى غلب عليه الاسم .

ومنهم من يذهب أبعد من ذلك فيقول انه وهو في واسط سأل أحد الحلّاجين ان يعينه في بعض الأعمال ،فلما رفض الرجل القيام بما سأله بحجة انشغاله في عمله ، وعده ان يعينه في عمله ان هو نفّذ ما سأله .

وذهب الرجل معه ولما عاد الى حانوته وجد القطن محلوجاً كله .

فسمي الحسين بعدها بالحلاج [2]

حياته :

لم تشهد شخصيات التصوف على كثرتها جدلاً كالذي أُثير حول الحلاج ،

---

[1] متصوفة بغداد ص ١٧٤

[2] الحلاج فيما وراء المعنى ص ١٨

فكانت الآراء حوله متناقضة ومتباينة تتراوح بين التكفير والاتهام بالزندقة الى اعتباره ولياً وعالماً ربانياً .

(والمشايخ في أمره مختلفون ردَّه أكثر المشايخ ، ونفوه ، وأبوا ان يكون له قدم في التصوف ، وقَبِلَه بعضهم منهم ابو العباس بن عطاء ، ومُحَمَّد بن خفيف ، وابو القاسم النصراباذي ، وأثنوا عليه ، وصححوا حاله ، وحكوا عنه كلامه .وجعلوه أحد المحققين ، حتى كان مُحَمَّد بن خفيف يقول :

الحسين بن منصور عالم رباني) [1]

وكان ابن عطاء الحنبلي في مقدمة الفقهاء الذين دافعوا عن الحلاج ، إذ قيل انه عُرِضَ عليه بعض أقوال الحلاج فقال :

(إنها اعتقاد صحيح ، وانا أعتقده ، ومَن لا يعتقد مثل هذا فهو بلا اعتقاد) وقد كلّفه رأيه هذا حياته ، حين ضُرب وحُمل الى بيته وهو يحتضر فمات بعد ذلك بسبعة أيام وذلك قبل مقتل الحلاج .

أما ابو العباس بن سريح الشافعي فقال حين سُئل عن الحلاج : (أراه حافظاً للقران ، عالماً به ، ماهراً بالفقه عالماً بالحديث والأخبار والسنن صائماً الدهر ، قائماً الليل ، يعظ ويبكي ، ويتكلم بكلام لا أفهمه فلا أحكم بكفره)

ويقال انه سُئل عن فتوى قتل الحلاج فقال :

لعلهم نسوا قول الله تعالى : أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ [2]

ثم قضى في النهاية بجملة أثيرة تقول عن الحلاج :

هذا رجل خفي عني حاله ، وما أقول فيه شيئاً)[3]

وقال عنه الشيخ عبد القادر الجيلاني حين سُئل عن الحلاج قال: عثر الحلاج

---

[1] الطبقات الكبرى ص ١٥٧ وطبقات السلمي ص ١٠٤

[2] غافر / ٢٨

[3] الحلاج فيما وراء المعنى ص ٦٧

ولم يكن في زمانه من يأخذ بيده، ولو أدركته لأخذت بيده.
وقال عنهُ الشيخ أبو الحسن الشاذلي: أكره من العلماء تكفير الحلاج، ومن فهم مقاصده فهم مقصدي.

رحلات الحلاج وأسفاره :

عُرِف عن الحلاج كثرة أسفاره وتنقّله بين البلدان والمدن .
ربما يرجع ذلك الى الوجد الشديد الذي عاناه فما كان يطيب له الاستقرار بمكان ، او كان ساعياً الى نشر طريقته في مسعاه الى الله ، او ربما كان يبحث عن مزيد من المعرفة والعلوم ، وربما كل ذلك او سواه ، المهم .. انه انتقل كثيراً .
في واسط تعلم الحلاج النحو والقرآن الكريم على أيدي المحدثين الحنابلة، إلاّ أنه وعندما بلغ السادسة عشر من عمره ترك البيئة المحافظة التي درس فيها وانطلق إلى تستر، وهي مدينةٌ في خوزستان، وهناك تعرف على سهل التستري وأصبح صديقه المقرب وذلك في الأعوام ما بين ٨١٨ و ٨٩٦ للميلاد، وكان سهل باحثًا في علوم القرآن، كما كان متصوفًا درس على طريقةٍ تختلف عن الطريقة التقليدية المتبعة في واسط، حيث أنه ومنذ سنٍ مبكرة عاش بطريقة المتنسكين فحافظ على الصيام وسافر إلى البصرة والكوفة ومكة بحثًا عن الهداية .
تتلمذ الحلاج على يدي سهل التستري في تستر لمدة عامين ثم افترقا لأسبابٍ غير معروفة، وقد رحل إلى البصرة في فترةٍ متخمةٍ بالقلاقل السياسية، حيث انطلقت ثورة الزنج وأثرت تطوراتٌ مرافقةٌ لها على تستر لذلك تم إخلاؤها، فرحل سهل إلى البصرة وشرع الحلاج باقتفاء آثار سهل وأفكاره، فقلده في التنسك وفي مجاهدة النفس، وهما تقليدان انتقلا إلى البصرة التي أصبحت مركزًا للتصوف تخرج فيها أشكال تنسك على الطريقة الصوفية.
لم يعتنق الحلاج التصوف حتى انتقل إلى البصرة .
وفي البصرة وهو في الثامنة عشر من عمره صحب عمرو بن عثمان المكي الذي

ألبسه خرقة الصوفية .

كان هذا التحول جزءًا من وضعٍ معقد عام ٨٧٧ م ، حيث تزوج الحلاج من ابنة أبي يعقوب الأقطع البصري [١] الذي كان بدوره من تلامذة المتصوف ذائع الصيت الجنيد البغدادي وأحد أفراد عائلة من الكتاب الإيرانيين من الأحواز، وقد كان هذا هو الزواج الوحيد للحلاج ورزق فيه أربعة أبناء وابنةً واحدة .

وقد تحدث أحد أبنائه واسمه حمد، في إحدى الروايات عن شجارٍ حدث بين الحلاج وأحد تلامذة الجنيد وكان يدعى عمرو ابن عثمان المكي، حيث اعترض على زواج الحلاج .

ويُروى أن الحلاج سافر إلى شمال بغداد لحل هذه المشكلة مع الجنيد نفسه، فما كان من الجنيد إلا أن نصحه بالصبر .

لم تكن البصرة بالمدينة المثالية آنذاك، حيث كانت حرب الزنج مشتعلةً في المناطق المجاورة في الأعوام ما بين ٨٦٩-٨٨٣ م ، وقد كان الزنج عبيدًا جُلبوا من إفريقيا ومن مناطق أخرى وكان العديد منهم يعملون في مناجم الملح في ظروفٍ سيئة، كما كان معهم عبيدٌ من أعراقٍ أخرى وكذلك عربٌ أحرار وفارسيون.

أما نهاية الثورة فكانت بمجازر واسعة ارتكبتها الدولة العباسية، فقتلت الزنج ومات من هرب منهم في الصحراء، كما أعدمت قائد الثورة صاحب الزنج، أما الحلاج فكان رأيه متشددًا منذ شبابه في هذا الشأن، فكان دائم الاعتراض على الأوضاع القاسية التي يعاني منها الزنج في مناجم الملح وكان يوجه سهام نقده للخلافة العباسية، وهو الموقف ذاته الذي اتخذه في الدفاع عن البدو الجائعين الذين أتوا إلى البصرة وبغداد في جماعاتٍ بحثًا عن الطعام.

انتهت حروب الزنج عام ٨٨٣ بالقضاء على الثوار واستعادة الخلافة العباسية

---

[١] الطواسين ص ٧٠- ٧٣

السيطرة على البصرة .

ويرتحل الحلاج الى مكة بداية ، حاجاً ومجاوراً .

ويبدأ رحلة روحية عميقة بمكة أساسها المجاهدة والصبر .

كان ﷺ يجلس في حرم البيت ليلاً ونهاراً فلا يبرح مكانه الا للطهارة او الطواف ، وما كان يحترز من الشمس ولا من المطر .

وحين كان يؤتى له بالعشاء ليفطر بعد الصوم ويوضع امامه كوب ماءٍ وقرص من أقراص مكة ، كان كوب الماء صباحاً لم ينقص الا بمقدار شُرْبَةٍ او شربتين ، والقرص به آثار عضتين او ثلاث في أطرافه ... فيُحمل الماء وما تبقى من القرص .

ومرّات كان يصعد الى جبل أبي قبيس ويجلس على صخرة بأعلاه تحت الشمس ، فكان عرقه يسيل على الصخرة .

(وروى أحد مريديه وهو احمد بن كوكب بن عمر الواسطي قال :

صحبت الحلاج سبع سنين فما رأيته ذاق من الأدم سوى الملح والخل .

ولم يكن عليه غير مرقّعة واحدة وكان على رأسه برنس ، وكلما فُتِحَ عليه بإزار قَبِلَهُ وآثر به .

ولم ينم من الليل أصلاً إلا سويعة من النهار) [1]

وهذا يدل على تقشف هذا العارف ومجاهدته لترويض نفسه وجسده لكي يقوى على احتمال ما سوف تبلغه روحه في مسراها ، ولتماشيه في ما تصله روحه من تحقق .

ويبقى الشيخ ﷺ في الحرم سنة كاملة على تلك الحال من المجاهدة والصبر .

سنة كاملة بصحن الحرم صامتاً صائماً ، كأنه ينتظر أمراً ، وبعدها يخلو بنفسه بقمة جبل أبي قبيس يتعبد ويجاهد نفسه .

---

[1] فرسان العشق ص ٣٢

وبعد انقضاء العام يغادر الشيخ مكة ويتوجه الى الأهواز ، وبعد الأهواز يشد الشيخ رحاله ويتوجه الى خراسان ، وما وراء النهر .

كان يبشّر بالإسلام ويعلم الناس طريقته .

(وبعد خمسة سنين من الدعوة والجهاد والرياضات الروحية عاد الشيخ الى الأهواز لينتقل بأهله الى بغداد بدعوة من الوزير حمد القنائي .) [1]

ويواصل الحلاج دعوته في بغداد ، يدعو لمنهج جوهره الصلاح والإصلاح ، ويجمع حوله عدداً من المريدين كبير .

ويختلف فيه الناس وينقسمون بين مؤيد متشدد وكاره متعصب .

روى ابراهيم بن فاتك ، وهو أحد مريديه ، ان الحلاج قال له :

(يا بني ان بعض الناس يشهدون عليَّ بالكفر ، وبعضهم يشهدون لي بالولاية ، والذين يشهدون عليَّ بالكفر أحبُّ اليَّ والى الله من الذين يُقرّون لي بالولاية.

فقلت يا شيخ ولِمَ ذلك ؟

قال : لأن الذين يشهدون لي بالولاية من حسن ظنهم بي .

والذين يشهدون عليَّ بالكفر تعصباً لدينهم .

ومن تعصَّب لدينه أحب الى الله ممن أحسن الظن بأحد

ثم قال لي : وكيف أنت يا ابراهيم حين تراني وقد صُلِبْتُ وقُتلت وأُحرقتُ ؟

وذلك أسعد يوم من أيام عمري جميعاً .

ثم قال لي : لا تجلس واخرج في أمان الله) [2]

ويواصل الحلاج سعيه المعرفي والدعوي ، ويواصل ترحاله .

(ويذهب الى مكة المكرمة حاجاً ... وكان برفقته فيما يروى اربع مئة من أتباعه) [1]

---

[1] الحلاج فيما وراء المعنى ص ٣٢

[2] الحلاج فيما وراء المعنى ص ٣٣

اربع مئة ، كانت تلك تظاهرة من الأتباع الناقمين على الفساد التابعين للشيخ الحلاج ، المؤمنين برؤاه ، والمصدقين لقوله .

والظاهر ان الشيخ العارف أدخل على مريديه مفهوماً اجتماعياً يُعنى بإصلاح المجتمع كاعتنائه بصلاح الفرد .

ويصل هذا التجمع البشري الى مكة يؤدون مع شيخهم مراسم الحج . وربما تكون تلك رسالة سيتلقّاها السياسيون والحكّام وستثير في قلوبهم الخوف على مصالحهم ، مما سيؤثّر عل علاقتهم بالحلاج لاحقاً وعلى فهمهم لفكره ولتصوفه .

كان الحلاج ينادي بتهيئة الفرد روحياً وجسدياً ، وبأن جوهر التصوف في نظره هو استهلاك ناسوتية الإنسان في لاهوتية الله ، وبأن عامة الناس ان لم يستطيعوا استهلاك ناسوتيتهم كلها ، بإمكانهم استهلاك بعض هذه الأنا التي تثير البغضاء بين الناس ، والبغضاء لا تُستهلَك من القلوب إلا اذا استُهلِكَ الجور والفساد والظلم والعبودية .

لقد اصبح التصوف عند هذا العارف عملاً يتناول العامة كما يتناول الخاصة .

سبحان من أظهر ناسوته سرَّ سنا لاهوته الثاقب [٢]

ويواصل الحلاج ترحاله بعد اداء مناسك الحج ، ويمضي برحلة طويلة تأخذه شرقاً الى أبعد مما أخذته رحلته الأولى .

ويصل الحلاج الى الهند وتركستان ثم يصعِّد في نهر السند قاصداً مُلتان ثم كشمير ، ويمضي في طريقه متوجهاً نحو الشمال الشرقي حتى يبلغ مدينة ماصين

المعروفة كذلك بطُرفان ، وهي التي تحدد الأطراف الغربية للصين [١]

---

[١] الحلاج فيما وراء المعنى ص ٣٤

[٢] ديوان الحلاج ص ١٤

وكأنه في رحلته تلك كان يرمي الى تحقيق روح الإسلام الحق بالانفتاح على العالم اجمع ، فبعد ان فتح المسلمون ما فتحوا من أرض ، وكانوا في فتوحاتهم منفتحين على معارف شعوب هذه البلدان ومعارفهم وحضارتهم ، جاء دوره في مواصلة هذا الانفتاح او الفتح الآخر ، فتح العقول والمدارك ، فمضى في فتحه ذاك علّه يستطيع بالتفاعل المعرفي ان ينطلق بتوجهاته وتطلعاته الى تحقيق ما يصبو اليه من فكر تصوفي يجعل الإنسان قريباً من الله متجرداً عن شهوات الدنيا ، كما انه قد تعلّم من هذه الرحلة كثيراً من العلوم واكتسب معرفة مضافة وازداد تعمقاً في الحقائق .

أنشأ الشيخ صلات وثيقة بأهل البلدان التي زارها ، فكان بعد عودته الى بغداد يتلقى رسائل من تلك البلدان ، فكان اهل الهند يلقبونه (بالمغيث) ، واهل ماصين وتركستان (بالمُقيت)، واهل خراسان (بالمميَّز) ، وأهل فارس (بأبي عبد الله الزاهد) واهل خوزستان (بالشيخ حلّاج الأسرار) كما كان في بغداد من يلقبه بالمصطلم ، وفي البصرة (بالمجيب) [٢]

وهذا يدل على مكانة الشيخ عند أهل هذه البلدان .

وحوالي عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م عاد الحلاج من رحلته الطويلة الى بغداد مستقراً فيها ، وكان له من العمر ست وأربعين عاماً .

ثم ما لبث ان غادر الى مكة حاجاً للمرة الثالثة . ولما قضى حجه عاد الى بغداد ولزم بيته .

وكثيراً ما كان يلقي في أسواق بغداد ومساجدها أقوالاً تدل على فرط وجده وعمق مجاهدته .

روى احمد بن القاسم الزاهد انه سمع الحلّاج في سوق بغداد يصيح :

---

[١] الحلاج فيما وراء المعنى ص ٣٧

[٢] الحلاج ص ٣٨ عن الطبقات للسلمي ص ٣١١

(يا أهل الإسلام اغيثوني ، فليس يتركني ونفسي فآنس بها ، وليس يأخذني من نفسي فأرتاح منها ، وهذا دلال لا أطيقه . ثم أنشأ يقول :

حويتَ بكلي كلَّ كلك يا قدسي تكاشفني حتى كأنك في نفسي

أقلّب قلبي في سواك فلا أرى سوى وحشتي منه وأنت به أُنسي

فها أنا في حبس الحياة ممنَّعٌ عن الأُنس فاقبضني اليك من الحبس)[1]

وروى ابو الحسن علي بن احمد بن مردويه انه رأى الحلّاج ببغداد باكياً يصيح : أيها الناس أغيثوني عن الله (مكرراً استغاثته ثلاث مرات) ثم يقول :

فإنه اختطفني مني وليس يردني عليَّ ، ولا اطيق مراعاة تلك الحضرة ، وأخاف الهجران فأكون غائباً محروماً ، والويل لمن يغيب بعد الحضور ، ويُهجَر بعد الوصل .

فبكى الناس لبكائه ، ثم سار حتى بلغ مسجد عتّاب فوقف على بابه وأخذ يتكلم بكلام فهم الناس بعضه وأشكل عليهم بعضه .

وكان مما فهمه الناس :

ايها الناس ، إنه يحدّث الخلق تلطفاً فيتجلى لهم ، ثم يستتر عنهم تربيةً لهم ، فلولا تجلّيه لكفروا جملة ، ولولا ستره لفُتِنوا جميعاً ، فلا يديم عليهم احدى الحالتين .

لكني ليس يستتر عني لحظة فأستريح حتى أُستُهلِكَت ناسوتيتي في لاهوتيته وتلاشى جسمي في أنوار ذاته ، فلا عين لي ولا أثر ولا وجه ولا خبر .

ويواصل ابن مردويه روايته فيذكر ما قاله الحلّاج ولم يُدرك كنهه الناس ، وهو قوله : اعلموا ان الهياكل قائمة بيا هو ، والاجسام متحركة بياسينه ، والهو

والسين طريقان الى معرفة النقطة الأصلية [1]

[1] أخبار الحلاج ص ٨٠

وأخذ الحلاج يدعو الى التنكر للأنا ونبذ كل شيء ما عدا عشق الله الواحد الأحد والفناء فيه . فالتوحيد الحق انما هو توحيد الذات بالله .

وكل ما هو دون ذلك إن هو إلا تعلقٌ بالوهم الخادع [٢]

شكلت رغبته في الانعتاق من ربقة الجسد والسماح لروحه بالانطلاق مجدداً ، هاجسا دائما لدى الحلاج، وكانت شديدة إلى درجة أنه لم يمانع في قتله، بل كان يستفز الناس للإقدام على ذلك. فكان يصرح بآراء يعرف بأن ظاهرها يستفز العامة، رغم أن باطنها مختلف تماما.

ومن ذلك قوله "أنا الحق"، ففي الظاهر يفهم منها أنه يدعي الألوهية لنفسه، لكن الحقيقة أنها كانت محاولة منه لنفي نفسه وإثبات وجود الله. ففي اللغة العربية أو أية لغة أخرى، لا نستطيع أن نذكر الله من دون أن نقع في ثنائية "القائل" و"المخاطب".

فدائما هناك "أنا" و"هو"، بينما هناك "واحد" فقط.

الطريقة الوحيدة لتجاوز ذلك هي فناء الذات في الله، مثلما تعود القطرة إلى الماء.

وبهذا المعنى كانت مقولة "أنا الحق" هي الطريقة الوحيدة للإشارة إلى الله من دون الوقوع في الثنائية أو "الشرك".

بنى الحلاج دعوته الروحانية على أسس إنسانية شاملة، من دون تعصب لدين أو جنس أو قومية بعينها

وبحسب معاصريه فقد كان متشوقا للحظة الخلاص التي طالما أرادها وتنبأ بها منذ فترة طويلة. وفي اليوم الذي قتل فيه ضحك كثيرا ودمعت عيناه، ومما قاله : هؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصبا لدينك وتقربا إليك. فاغفر لهم، فإنك لو

---

[١] الحلاج فيما وراء ص ٤٥

[٢] الحلاج فيما وراء ص ٤٥ – ٤٦

كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت. فلك الحمد في ما تفعل ولك الحمد في ما تريد .

منهج الحلاج في التصوف :

رغم ان الطريق الى الله واحد من حيث التمسك بالشريعة ومحبة الله أكثر مما سواه ، والتوجّه الى الله بالكلية وعدم الانشغال بغيره عزَّ وجلَّ .

إلا ان خصوصية السالكين تفرضها الحال التي غلبت عليهم ، والسلوك الأقرب الى أنفسهم ، فغلب عليهم حال عُرِفوا به او شاع عنهم .

كان الحلاج ﷺ دائب الصلاة ملتزماً بالشريعة ،

عن ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الكريم الحلواني قال :

(خدمة الحلاج عشر سنين ، وكنت من أقرب الناس اليه ، ومن كثرة ما سمعت الناس يقعون فيه ، ويقولون : انه زنديق ، توهمت في نفسي فاختبرته فقلت له يوماً : يا شيخ ، أريد ان أعلم شيئاً من مذهب الباطن .

فقال : باطن الباطل ، أو مذهب الحق ؟ فبقيت متفكراً .

فقال : أما باطن الحق فظاهره الشريعة ، ومن يحقق في ظاهر الشريعة ينكشف له باطنها ، وباطنها المعرفة بالله . .. وأما باطن الباطن ، فباطنه أقبح من ظاهره ، وظاهره أشنع من باطنه ، فلا تشتغل به .

يا بني أذكر لك شيئاً من تحقيقي في ظاهر الشريعة ، ما تمذهبت بمذهب أحد من الأئمة جملة ، وإنما أخذت من كل مذهب أصعبه ، وأشده ، وانا على ذلك وما صليت صلاة الفرض قط إلا وقد اغتسلت أولاً ثم توضأت لها ، وها أنا ابن سبعين سنة ، وفي خمسين سنة صليت صلاة ألفي سنة ، كل صلاة قضاء لما قبلها) [1] ،

[1] اخبار الحلاج ص ٦٥

كان وهو يؤدي الشعائر الدينية يرافقه ايمانه بأن الحقيقة الإلهية هي الأصل ، وكل طرق الوصول اليها مشروعة وواجبة ، فكان فكره ينطوي على سعة روحانية واحتضان لظواهر الايمان بتعدد مذاهبه .

وكان مكثراً من الصلاة عند القبور خصوصاً عند قبر الشيخ (احمد بن حنبل) كثير الاستغراق بالنوافل مستهلكاً نفسه في الصلاة ، حتى تطغى عليه حالة الانتماء الروحي والفناء ، فيتلاشى الحضور الواعي لجسده ، فيتحول لشبه جثة لا تنبئ عن الحياة لولا النفس وبقايا حشرجات في الصدر .

لقد أكثر من الرياضات والمجاهدات وإذلال جسده وافراغ ساحته إلا من صوت التوحيد ، فكان صومه المتواصل إلغاء لجذوة الشهوات ومصدر تغذّيها ، فيصير الجسد محض روح تسعى للوصول الى خالقها وحبيبها .

يذكر ابن الأثير صوراً من حالاته في اثناء ذهابه الى مكة حاجاً فيقول :

كان الحلّاج في فكره وفي سلوكه لا يفرّق بين (النعمة) وبين (البلوى) وهو رحمه الله تعالى يقول في ذلك :

(والله ما فرّقت بين نعمةٍ وبين بلوى قط) [1]

لأنه كان يختار تعذيب الجسد كمفتاح لتحرر الروح او لم يكن يسعى لتنعّم الجسد على حساب الروح ، فكان يحاسب روحه بروحه فيقول :

يا ويح روحي من روحي فوا أسفي عليَّ مني فإني أصلُ بلوائي
كأنني غريق تبدو أناملـه تغوّثاً وهو في بحرٍ من الماء
وليس يعلمُ ما لاقيت من أحدٍ إلا الذي حلَّ منّي في سويدائي [2]

والواضح في طريقة الحلاج ، ان صوفيته اتسمت باستمرار اقصى العذاب للوصول للحرية ، فالافتداء بالروح لا يقدمه الا الجسد المضحّي .

---

[1] متصوفة بغداد ص ١٧٤

[2] ديوان الحلاج ص ٢

فكان القربان جسد الحلاج ، وربما تكون تلك هي المعادلة بين اللذة وبين العناء.

لقد شعر ان للعناء والمعاناة ديناً كبيراً ، فكأنه اقتطف من ثمار الحياة ما شغله عن شوقه الى الحبيب .

فاللذة والشهوات تحثُّ على التلبث ، والشوق يحث على الاسراع ، وليس هناك وسط بين الحالتين .

لذلك كان ﷺ يتلهف الى العذاب ليقطع الطريق على الركون الى اللذة والشهوة فلم يكن له من حجة في عشقه ، سوى التضحية بالجسد ... فلا عجب ان يهتف بقوة :

أريدك لا أريدك للثواب ولكنـي أريـدك للعـقاب

وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب [1]

ان هذا البحث الدائم عند هذا العارف عن الانعتاق او التحرر هو ما كان ينتظره الشيخ فهو لحظة الالتقاء بالحبيب حتى ولو كان السبيل هو ان يُصلب ويُحرق .

(روى تلميذه ابراهيم بن فاتك ان الحلّاج سمع ذات يوم وهو في نهاوند صوت البوق فقال : أي شيء هذا ؟ فأجاب ابن فاتك : يوم النيروز (اليوم الأول من السنة الجديدة) فتأوه الحلاج وقال : متى نُنورز ؟ فسأله ابن فاتك : ماذا تعني ؟ قال : يوم أُصلب

ان هذا الحب هو الذي حدا بالحلاج ان يجاهد غير هائب الموت ، بل مستعجلاً إياه ، ويوم عُلِّق للصلب ببغداد بأمر من وزير الخليفة المقتدر ، علي بن عيسى القنائي سنة ٣٠١ هـ ، ٩١٣ م ، اي بعد هذه الحادثة بثلاث عشرة سنة ، نظر الحلاج من رأس الجذع وقال لابن فاتك : (نَورَزْنا) فقال ابن فاتك

[1] ديوان الحلاج ص ١٥

: ايها الشيخ هل أُتحِفتَ ؟ (اي تلقيت هدايا النوروز) قال : بلى ، أُتحفتُ بالكشفِ واليقين ، وانا مما أُتحِفتُ به خَجِل ، غير اني تعجَّلتُ الفرح [1].

ويبدو ان الشيخ كان له القدرة على التأثير فيمن حوله فكانت دائرة أحباب والمريدين تتسع حوله أينما حلَّ أو أقام .

الحلاج رحمه الله لم يعرف التصوف ملبس او زي او انعزال .

كان التصوف عنده سعياً الى المعرفة والقرب وجهاداً ضد النفس وحرباً على الظلم والاستبداد ودعوة الى الحق والعدل .

سأل أحدهم الحلاج: كيف الطريق إلى الله تعالى ؟

قال: الطريق بين اثنين وليس مع الله أحد .

وهو يقصد بذلك أن الله موجود في كل مكان، ولا يوجد طريق للوصول إليه، لأن الطريق يقتضي وجود اثنين وليس مع الله أحد .

ولكن يمكن إدراك الله مع ذلك من خلال النظر إلى سائر المخلوقات ،

ومن هذا قال : ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه .

ان من الواضح ان التفاف خلق كثير حول الشيخ الحلاج كان لا يعني مجرد ولاء مريدين لشيخ متصوف ، فجماهير الناس حوله لم تكن مريدين فقط بل كانت تشمل مختلف الناس من مختلف الفئات والملل .

وذلك يؤشر بأن الحلاج كان يحظى بحب الكثير من الناس ، وانحيازهم اليه ، وكثيراً ما كان يرافقه البعض منهم في ترحاله وحجّه .

وأصبح الحلاج رمزاً يتجمع حوله الرافضون والمستضعفون والمريدون ... وهذه حالة لا تعجب الكثيرين .. سواء كانوا من أهل السلطة ، أو من الحسّاد ، أو من متصيدي أخطاء الآخرين وهفواتهم .

وربما هذا الذي جعل الحلاج يلاقي ذلك المصير المأساوي ، رغم انه ليس

---

[1] الحلاج فيما وراء ص ٤٢

الوحيد الذي قال ما قاله ، فمقولات أبي يزيد البسطامي مثلاً لم تكن بعيدة عما قاله الحلاج ، إلّا ان أبا يزيد وغيره كثيرون لم يلاقوا ما لاقى الحلاج .

وقد يكون مما لا يستوجب الإشارة اليه ان عارفاً كالحلاج لم يكن له تعلقٌ بالدنيا وبمتاعها الزائل

(يقول جندب : دخل عليَّ في نصف الليل في بغداد بهران بن مرزبان المجوسي وكان مكثراً (موسراً كثير المال) ومعه كيس فيه الف دينار ، وقال لي : تذهب معي الى الحلاج فلعله يحتشمك فتعطيه هذا الكيس ، فذهبت معه ودخلنا عليه ، وكان قاعداً على سجادته يقرأ القران ظاهر .فأجلسنا ، وقال : ما الحاجة في هذا الوقت ؟ فتكلمت في ذلك فأبى ان يقبل ، فألحت عليه ، وكان يحبني ، فقبل ، وقال لي : لا تخرج ، فوقفت وخرج المجوسي . فلما ذهب المجوسي ، قام الحلاج وقمت معه حتى دخل مسجد المنصور ، ومعه كيس النقود والفقراء نيام ، فأيقظهم ، وفرّق الدنانير عليهم حتى لم يبق في الكيس شيء .

فقلت يا شيخ هلا صبرت الى الغد . فقال : لأن يبيت الفقير في عقارب تلدغه خير له من ان يبيت ومعه معلوم) [1]

يقول تلميذ الحلاج ابراهيم بن فاتك : دخلت على الحلّاج ليلة ، وهو في الصلاة مبتدأ بسورة البقرة ، فصلى ركعات حتى غلبني النوم ، فلمل انتبهت سمعته يقرأ : (حم . عسق)[2] فعلمت انه يريد الختم ، فختم القران في ركعة واحدة ، وقرأ في الثانية ما قرأ ، فضحك اليَّ وقال : ألا ترى اني أصلي أراضيه ، من ظن انه يُرضيه بالخدمة فقد جعل لرضاه ثمناً ،

محاكمة الحلاج :

أحياناً يكون الصراع حتمياً بسبب اختلاف الرؤى او اختلاف المصالح ،

---

[1] انظر اخبار الحلاج ص ٨١ – ٨٢

[2] الشورى / ١ – ٢

ويصبح الصدام حتمياً حين تتسع الهوة ويكبر التناقض ، وكأن ساحة الصراع لم تعد تتسع لطرفي النزاع فيسعى طرفٌ لإزاحة الآخر من الساحة ، وتختلف الوسائل حسب اختلاف مستعمليها ، ثقافتهم ، وعيهم ، قوَّتهم ..... ويكون القتل الوسيلة الأقرب للطرف الذي تنقصه الحجة أو يصعب عليه النجاح .. ولطالما انتصر الدم المراق ، ولطالما انتصر القتيل على الجلّاد .. فالانتصار الحقيقي هو ببقاء المبادئ وبقاء القِيَم ، فالإنسان زائل ، والمواقف باقية .

العارف الحلاج نذر نفسه لقضية .

ويُستشف من بعض اشعار الحلاج وجود قضية نذر نفسه لها ، إلا ان ذلك الاستشفاف لا يجاوز حدود الافتراض لأن شعر المتصوفة مليء بالإيحاءات والاستعارات الروحية التي قد تستثمر الصفات والمعاني المباشرة للتعبير عن العشق الإلهي ، فيصبح صعباً الركون الى الدلالات التي تفرزها قصائدهم .

ان المتابعة المتأنية والاستقراء لحركة الأحداث قبل وأثناء مقتل العارف الحلاج تثير شكوكاً حول الأسباب الحقيقية لقتله ، فهو لم يكن الوحيد بين المتصوفين الذي قال الذي قاله ، ثم ان السلطة (التي سخَّرت كل موارد الدولة لترفها والصرف ببذخ على تحقيق شهواتها) لم تكن بذلك الحرص (الشديد) على الإسلام وقيمه بحيث تثأر للانتهاك اذا حصل لحرماته وبتلك الطريقة ، الطريقة القاسية بالقتل والتي يظهر بها جليّاً إسكات معارضة أو ارهاب مخالف ، فقد حشدت الخلافة العباسية كل قواها لقتل الحلّاج ، وأعدَّت كل ما تملك من وسائل الجبروت والعنف والتعذيب والمحاكمة والصلب ، من أجل مواجيده والحانه في الحب الإلهي ، ومن اجل الهاماته وفتوحاته في مقامات الفناء الصوفي.

والظاهر ان دعوات العارف الحلّاج للإصلاح ودفع الظلم ، حرّكت سيوف الدولة العباسية قبل ان تحرك قلوب زعمائها .

حين تحركت الدولة العباسية لحرب الحلاج تحركت بحركتها المئات من النفوس

التي تتمنى سقوط الحلاج ، جمعتها وحدة المصلحة ووحدة الهدف .
وكان الكثيرون يمثّل الحلّاج ودعوته الإصلاحية خطراً عليهم وعلى مصالحهم ، كان هناك جيش الحسّاد الذين يلبسون عباءة الدين ، وهناك رجال الدين الذين يعيشون على عطايا الدولة وما يهبه لهم رجالها .
وهناك غيرهم من الناقمين .
(ويحس الحلّاج بأن الصدام صار حتمياً ، وابتدأ الصراع سافراً وكان اول بوادره ان أصدر أنصار الحلاج في الوزارات ان يصدروا اول بيان تاريخي ، منهجي ، في العالم الإسلامي ، لميزانية الدولة الإسلامية . واستطاع هذا البيان ان يعيد تنظيم السياسة المالية للدولة وأن يخفف من قسوة الضرائب وان يتجه بفائض المال الى الخدمات العامة ، بدلاً من انفاقه على الخليفة وحاشيته) [1]
وهذا ما أثار حفيظة الوزير حامد بن العباس والذي كان يكنّ العداء أصلاً للحلاج .
وبالمقابل كان الوزير علي بن عيسى والذي استوزر سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م وهو محب للتصوف وشيوخه ، والحاجب نصر القشوري يوظفان امكانيتيهما لصالح الشيخ الحلّاج في معركته .

المحاكمة الأولى :

وشعر الوزير حامد بأن ميزان الصراع بدأ يميل لصالح الحلّاج ، وأحس بأن الأمر يستلزم موقفاً حاسماً ، كالإقدام على القبض على الحلاج ومحاكمته ، لكن أمراً كهذا من صلاحيات الخليفة المقتدر ، والتجأ الوزير حامد الى السلاح الديني الشرعي ، فاتصل بأحد اعضاء المحكمة الكبرى ببغداد وهو الفقيه مُحَمَّد بن داود ، والذي كان يكنُّ عداوة شديدة للحلّاج ، بل يمقت التصوف ورجاله و يرى ان عقيدة الحلاج منافية لتعاليم الإسلام كما يفهمها هو وقد قام ابن داود برفع

[1] انظر الحسين بن منصور ص ٨٦

أمر الحلاج الى القضاء طالباً محاكمته بتهمة الكفر ، ومهّدَ لذلك بعرض قضية الحلاج أمام الناس في بغداد ، وعلى عدد من الفقهاء والقضاة .

غير ان القاضي الشافعي أبا العباس ابن سُريج ، وكان مطلعاً على آراء المتصوّفة متفهماً لمعانيها ، عارض طلب ابن داود وأبى ادانة الحلّاج ، وكان يقول حين يُسئل عنه يقول : (هذا رجل خفي عني حاله وما أقول فيه شيئاً) وهذا يعني ان سُريج يرى ان أقوال وعقائدهم لا تدخل ضمن حقل المحاكم الشرعية .

واستمر الحلاج بحَثِّ الناس على الصلاح وعصيان النفس الأمارة بالسوء ونبذ الرذائل ، ويدعوهم الى الحب الإلهي الذي يصل بالمرء الى التوحيد الحق .

الاضطهاد والسجن :

وظلت الدولة العباسية ورموزها تقف من الشيخ الحلّاج موقف الريبة والعداء .

ويقرر الوزير علي بن مُحَمَّد بن الفرات سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ – ٩١٢ م ان يلقي القبض على الحلّاج .

لكن الشرطة لم تتمكن من القبض عليه إلا سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ – ٩١٤ م في بلدة سوس في الأهواز .

وأُخذ الحلّاج الى الوزير علي بن عيسى بن الجرّاح القنائي ، وكان علي محباً للصوفية فمنع محاكمة الحلاج واعدامه آخذاً بفتوى ابن سُريج السابقة وأطلق سراح تلميذيه اللذين كانا قد أُلقي القبض عليهما معه ، (واكتفى ارضاء لخصوم الحلاج بسجنه وصلبه صلب الاشتهار وهو حي ، وذلك بتعليقه على جذع بجبل تحت إبطيه أياماً ثلاثة من الصباح الى انتصاف النهار ، ثم بإعادته الى السجن .

وكان ذلك في الجانب الشرقي في مجلس الشرطة ، ثم في الجانب الغربي حتى رآه الناس ، ووضع في رجليه ثلاثة عشر قيداً وصلت الى ركبتيه) [١]

---

[١] الحلاج فيما وراء ص ٥٤

وصبر الحلّاج على ذلك وكان يقضي يومه بالصلاة والعبادة .
وبقي مسجوناً الى ان قُدِّمَ للمحاكمة بعد ثماني سنوات ، سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م وحُكم عليه بالإعدام وقُتل شر قتلة .
(ونجح الوزير حامد في سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢٢ م بإثارة قضية الحلاج من جديد ، وأظهر للخليفة خطره العظيم ان هو بقي على قيد الحياة ، ونجح في نقل الحلاج من السجن الى داره هو مبالغة بالتشديد عليه ، وطفق يسومه ألواناً من العذاب والاضطهاد .

المحاكمة من جديد :

وراح الوزير حامد يسعى لمحاكمة الحلاج وقتله اذا أثبت عليه تهمة الزندقة ، وهكذا وبعد السعي أحال الحلاج الى المحكمة من جديد .وأُلفت هيئة المحكمة من القاضي المالكي أبي عمر الحمّادي رئيساً وهو الذي وافق الوزير حامد وأفتى بقتل الحلاج اذا ثبتت عليه تهمة الزندقة ، اما القاضي الحنفي ابو جعفر البهلول الذي كان اعترض على قتل الحلاج ما لم يقرّ على نفسه بالزندقة فقد أُقصي وعُيِّن مكانه قاض حنفي آخر هو ابو الحسين عمر بن الأُشناني الذي أُستقدم من الشام ، كذلك حضر المحكمة رئيس الشهود القاضي عبد الكريم بن مُكرم .
وقد أُريد اختيار قاضٍ مالكي رئيساً للمحكمة بغية الحكم على الحلاج بالإعدام ، اذ ان المالكية لا يجيزون توبة الزنديق أصلاً ، بعكس غيرهم من أتباع المذاهب الأخرى .
وتقصّد الوزير حامد ان لا يكون في المحكمة قاض شافعي كي لا يتأثر بالفتوى السابقة بمحاكمة الحلاج التي أصدرها القاضي الشافعي ابن سُريج ، اضافة الى ان المذهب الشافعي كالحنفي يقبل توبة الزنديق اذا اعترف وتاب .
وعُقدت المحكمة وحضرها الشيخ الحلّاج وحضرها الوزير حامد .
ولم يستطع القضاة ولا الشهود ان ينالوا من الحلاج الذي دافع عن نفسه ضد

تهم الزندقة او ما يرتبط بها .

ورغم كل ذلك أصدر رئيس المحكمة أبو عمر أمره بإباحة دم الحلاج ، وكتب من حضر المحكمة ذلك والشهود . ..ويصرخ فيهم الحلّاج مذكّراً ومُحذراً :

ظهري حمي ودمي حرام ، وما يحلُّ لكم أن تتأوّلوا عليَّ بما يبيحه الدين ، واعتقادي الإسلام ومذهبي السنّة وتفضيل ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح ، ولي كُتُبٌ في السنّة موجودة في الوراقين ، فالله الله في دمي .

وكتب القضاة خطوطهم الى ان استكملوا ما احتاجوا اليه ونهضوا عن المجلس ورُدَّ الحلاج الى موضعه .

مقتل الحلَاج :

كان ذلك في الثالث والعشرين من ذي القعدة ، عندما اعلنت الأبواق (كما كانت العادة) ان الوزير يتهيأ لتنفيذ حكم بالإعدام . ونُقل الحلاج ليلاً من بيت الوزير حامد الى رحبة الجسر مكان الإعدام .

وبات الحلاج في حبسه يهيئ نفسه للاستشهاد وكان ذلك ليلة الثلاثاء .

بسط العارف سجادة الصلاة ومضى في صلاة وتبتل ، ثم أتبع ذلك بمناجاة وهو متوجّه صوب القبلة ويديه مدودتان باتجاهها .

ومما نقله خادمه احمد بن فاتك الذي كان حاضراً بعضها ومنه :

(نحن شواهدك نلوذ بسَنا عزَّتك لتبدي ما شئت من شأنك ومشيئتك ، وانت الذي في السماء إله وفي الأرض إله .

يا مدهِّر الدهور ، ومصور الصور ، يا من ذلت لك الجواهر ، وسجدت لك الأعراض ، وانعقدت بأمره الأجسام ، وتصورت عنده الأحكام .

يا من تجلى لما شاء ، كيف شاء ، مثل التجلي في المشيئة ، لأحسن صورِهِ ، والصورة هي الروح الناطقة ، التي أفردته بالعلم والبيان والقدرة .

ثم أوعزت الى شاهدك لما أردت بدايتي ، وأظهرتني ، عند عقيب كراتي ، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي صاعداً في معارج الى عروش أزلياتي ، عند القول من برياتي ، اني أحتضر ، وأقتل ، وأُصلب ، واحترق وأُحمل على السافيات [1]

فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء لستٍ بقين من ذي القعدة أُخرج الحلاج الى رحبة المجلس بعد سجن استمر ثماني سنين .

عن ابراهيم بن فاتك قال :

لما أُتي بالحسين بن منصور ليصلب ، رأى الخشبة والمسامير ، فضحك كثيراً حتى دمعت عيناه ، ثم التفت الى القوم ، فرأى الشبلي فيما بينهم فقال :

يا ابا بكر هل معك سجادتك ؟ فقال : بلى يا شيخ . قال :

افرشها لي . ففرشها ، فصلى الحسين بن منصور عليها ركعتين ، وكنت قريباً منه ، فقرأ في الأولى الفاتحة وقوله تعالى :

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ [2] وقرأ في الثانية الفاتحة ، وقوله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ [3]

فلما سلّم عنها ذكر أشياء لم احفظها ، وكان مما حفظته :

اللهم انك المتجلي عن كل جهة ، والمتخلي من كل جهة ، بحق قيامك بحقي ،

---

[1] الحسين بن منصور ص ١١٠

[2] البقرة / ١٥٥

[3] آل عمران / ١٨٥ - ١٨٦

وبحق قيامي بحقك وقيامي بحقك يخالف قيامك بحقي .

فإن قيامي بحقك ناسوتيّة ، وقيامك بحقي لاهوتيّة ، وكما ان ناسوتيتي مستهلكة في لاهوتيتك غير ممازجة إياها ، فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيتي غير مماسة لها .

وبحق قِدَمِكَ على حدثي ، وحق حدثي تحت ملابس قدمك ، ان ترزقني شكر هذه النعمة التي أنعمت بها عليَّ حيث غيَّبت أغياري عما كشفت لي من مطالع وجهك ، وحرمت على غيري ما أبحت لي من النظر في مكنون سرك ، وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصباً لدينك ، وتقرباً اليك ، فاغفر لهم ، فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا ، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما أُبتليت بما ابتليت .

فلك الحمد فيما تفعل ، ولك الحمد فيما تريد . ثم سكت وناجى سراً [1]

فتقدم ابو الحارث السيّاف فلطمه لطمة ، هشّم أنفه ، وسال الدم على شيبه ، فصاح الشبلي ومزق ثوبه ، وغشي على أبي الحسين الواسطي ، وعلى جماعة من الفقراء المشهورين ، وكادت الفتنة تهيج ، ففعل اصحاب الحرس ما فعلوا .

كان الحلّاج يتبختر بالقيود وهو يمشي الى الصلب وينشد :

نديمي غير منسوبٍ الى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيفِ
فلما دارت الكأس دعا بالنطع و السيف
كذا من يشرب الراح مع التنين بالصيف [2]

وهذه الأبيات كأنها تباريح شعرية لقلب سكران بالموت ، رغم ادراكه لخطورة اللعبة مع صاحب النطع والسيف .

---

[1] اخبار الحلاج ص ٦٤

[2] ديوان الحلاج ص ٢٢

ويتلى أمر الخليفة المقتدر وفيه :

(واضربه ألف سوط ، فإن لم يمت فتقدم بقطع يديه ورجليه ، ثم اضرب رقبته وانصب رأسه وأحرق جثته) [1]

ويُجلد الشيخ الحلاج ألف سوط وكان يقول مع كل جلدة (أحدٌ أحد)

وكأن الحلاج كان يستحضر حال بلال ﷺ مؤذن رسول الله ﷺ حين كان يعذبه كفار قريش ، او ربما كان يسخر من جلاديه ويتهكم ، فلا يحسب من السياط الألف التي تنهال عليه إلا واحداً ، فحين كان جلادوه مستهلكين في الكثرة ، أما هو فكان مستهلكاً في الواحد الأحد.

وتمَّ عدُّ السياط ألفاً لدى جلاديه وبقي عددها واحداً لديه .

وبقي هو على قيد الحياة وكأنه كان يعلِّم جلاديه والناس الصبر .

(وتقدم السيّاف وقطع يده ثم رجله ثم يده الأخرى ثم رجله الأخرى ، فما كان من الحلاج إلا ان مسح وجهه بيديه المبتورتين النازفتين دماً ، حتى تلطخ وجهه وساعداه بالدم . فقالوا له : لم فعلت ذلك ؟

قال : لقد ذهب من جسمي دم كثير ، وأعلم ان وجهي قد اصفر ، وقد تظنون ان اصفراري نتيجة للخوف ، فمسحت وجهي بالدم حتى يكون في نظركم محمراً ، فحمرة خد الرجال لا تكون الا بدمائهم .

فقالوا له : عندما حمّرت وجهك بالدم لم لطخت به ساعديك أيضاً ؟

فأجاب : اني أتوضأ . فقالوا : أي وضوء هذا ؟

أجاب : ركعتان في العشق لا يصح وضوؤهما إلا بالدم .

كان لابد من انتظار امر الخليفة بالإجهاز عليه . كما جرت العادة .

غير ان الإذن تأخر الى العشاء ، امعاناً في التنكيل او استهتاراً من الخليفة لتلهيه بأمور اخرى .

---

[1] الحلاج فيما وراء ص ٧٣

فلما وصل الإذن اخيراً رفض الحرس ان يُجهَز عليه مساء ، وبخاصة ان هذا الوقت لم يكن ملائماً للوزير حامد فهو وقت راحة واستجمام .

ولأن حضور الوزير ضرورياً عند النطق بالحكم الصادر من الخليفة ، فقد أرجيء الإعدام الى الصباح ، وتُرك الحلاج على صليبه بانتظار اليوم الجديد .

في الغد جاء الوزير الى ساحة الاعدام ، ثم أُنزل الحلاج عن الجذع وقدِّم امام السياف ، فقال بأعلى صوته : حسب الواجد إفراد الواحد له . ثم قرأ :

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ [1]

ثم ضرب السيّاف عنقه وسقط رأسه .

(ثم لُفَّت جثته في حصير من القصب وصبَّ عليها النفط وأحرقت .

وحمل رمادها الى باب الطاق في الضفة الشرقية لدجلة ليُلقى عن رأس منارة في النهر)[2]

مرقده في بغداد :

بني مرقد لهُ في بغداد، وتبلغ مساحته ١٥٠ متر مربع، ولقد تم إعادة بناء مرقد الشيخ منصور الحلاج الواقع في جانب الكرخ من بغداد وتم تجديده عام ٢٠٠٥م .

---

[1] الشورى / ١٨

[2] الحلاج فيما وراء ص ٨٢

حماد بن مسلم الدباس

ابو عبد الله الدباس

الشيخ حماد بن مسلم بن داود الدباس، وهو من رحبة الشام، وسكن بغداد بالظفرية إلى أن توفي بها سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م ودفن بمقبرة الشوينزي.

وكان أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق وانتهت إليه تربية المريدين ببغداد، وهو أحد من أخذ عنه الشيخ عبد القادر وصحبه وأثنى عليه .

نشأ ببغداد ، وكان يجلس في غرفة لعمل وبيع الدبس ، وكان من أولياء الله أولي الكرامات ، انتفع بصحبته خلق ، وكان يتكلم على الأحوال ، كتبوا من كلامه نحوا من مائة جزء ، وكان قليل العلم أميا .

فعنه قال : مات أبواي في نهار ولي ثلاث سنين .

قال أحمد بن صالح الجيلي : سمع من أبي الفضل بن خيرون ، وكان يتكلم على آفات الأعمال ، والإخلاص ، والورع ، قد جاهد نفسه بأنواع المجاهدات ، وزاول أكثر المهن والصنائع في طلب الحلال ، وكان مكاشفاً [١]

نقل ابن الأثير وسبط ابن الجوزي عنه ، وعظما حمادا ، رحمه الله ، وكان الشيخ عبد القادر من تلامذته .

و كان يقبل النذر ، ثم تركه ، لقول النبي ﷺ :

إنه يستخرج من البخيل [٢]

ثم صار يأكل بالمنام .[٣]

---

[١] سير اعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٤ – ٥٩٥

[٢] صحيح: أخرجه البخاري "٦٦٩٢" و "٦٦٩٣" ، ومسلم "١٦٣٩" وأبو داود "٣٢٨٧" والنسائي "٧/ ١٥– ١٦"، وابن ماجة "٢١٢٢"، وأحمد "٢/ ٦١ و ٨٦"، من حديث عبد الله بن عمر،.

[٣] سير اعلام النبلاء ٥٩٦/١٩

والشيخ حماد بن مسلم الدبّاس ،كان على درجة عالية من العلم الرباني والاستقامة ، وكان أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق وانتهت إليه تربية المريدين ببغداد .

وقد تحدث عنه ابن تيمية حيث ذكره وتلميذه الجيلاني بقوله :

(فأمر الشيخ عبد القادر وشيخه حماد الدباس وغيرهما من المشايخ أهل الاستقامة – ﷺ – بأنه لا يريد السالك مرادًا قطُّ ، وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها بل يجري فعله فيه فيكون هو مراد الحق) [1]

اللقاء بينه وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهما :

والشيخ حماد هو أحد من أخذ عنه الشيخ عبد القادر وصحبه وأثنى عليه.

يقول شيخنا الجليل الجيلاني :

لحقني الجنون مرة , وحملت الى المارستان فطرقتني الاحوال حتى حسبوا إني متُّ، وجاءوا بالكفن ، وجعلوني على المغتسل ، ثم سُرّي عني ، وقمت ، ثم وقع في نفسي أن أخرج من بغداد لكثرة الفتن .

فخرجت إلى باب الحلبة ، فقال لي قائل : إلى أين تمشي ؟ ودفعني دفعة خررتُ منها ، وقال : ارجع فإن للناس فيك منفعة .

قلت : أريد سلامة ديني .

قال: لك ذاك ولم أرَ شخصه .

ثم بعد ذلك طرقتني الأحوال ، فكنت أتمنى من يكشفها لي ، فاجتزت بالظفرية ، ففتح رجل داره، وقال : يا عبد القادر، ايش طلبت البارحة ؟

فنسيت ، فسكت ، فاغتاظ ، ودفع الباب في وجهي دفعة عظيمة ، فلما مشيت ذكرت ، فرجعت أطلب الباب ، فلم أجده .

---

[1] ابن تيمية : الفتاوى١٠/٤٥٥

قال : وكان حماداً الدباس ، ثم عرفته بعد ، وكشف لي جميع ما كان يشكل علي ، وكنت إذا غبت عنه لطلب العلم وجئت ، يقول :

إيش جاء بك إلينا، أنت فقيه ، مُرَّ إلى الفقهاء .

وأنا أسكت ، فلما كان يوم جمعة خرجت مع الجماعة في شدة البرد ، فدفعني والقاني في الماء، فقلت: غسل الجمعة ، باسم الله ، وكان علي جبة صوف ، فتركوني ومشوا ، فعصرت الجبة ، وتبعتهم ، وتأذيت بالبرد كثيراً ، وكان الشيخ يؤدبني ويضربني ، فطمع فيّ أصحابه ، وبدأوا يؤذونني ، فلما رآهم على ذلك، غار عليّ ، وقال :

يا كلاب لم تؤذونه ؟ والله ما فيكم مثله ، وإنما أؤذيه لأمتحنه ، فأراه جبلاً ، لا يتحرك .

مما قيل في الشيخ رحمه الله تعالى :

(الشيخ حماد الدباس ﷺ من اجلّاء مشايخ بغداد ، ورؤساء زهادهم ، واعلام عارفيهم ، صاحب الكشف الخارق ، والاحوال النفيسة ، والكرامات الظاهرة ، والوجاهة السنية ، والقبول التام عند الخلق ، له الطور الرفيع من المقامات ، والمكان المكين من القرب من الله تعالى ، وهو احد العلماء الراسخين في علوم الحقائق ، انتهت اليه تربية المريدين في بغداد وانعقد عليه الاجماع في الكشف عن مخفيات الموارد ، وانتمى اليه معظم مشايخ بغداد ، وصوفيهم في وقته ، وهو احد من صحبه الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني ﷺ ، واثنى عليه وروى كراماته ، وكان تاج العارفين ابو الوفاء ﷺ ، اذا قَدِم بغداد ينزل عنده ويعظم شأنه .

وكان المشايخ ببغداد يعظمون امره ويتأدبون في حضرته ، وينصتون لسماع كلامه ، ويحكّمونه فيما اختلفوا فيه ، وكان الشيخ نجيب الدين السهروردي ﷺ يقول :

لو رأى ابو القاسم القشيري لحق الشيخ حماد الدباس بقدمه في رسالته على كثير من المشايخ .

وكان الإمام القدوة ابو يعقوب يوسف بن ايوب الهمداني ﷺ ، يقول: للشيخ حماد الدباس تدقيقات في التحقيق سمع فيها الكثير من المتقدمين وكان شديد المناقشة لنفسه) [1]

من أقواله :

(فعنه انه قال : إذا أحب الله عبدا ، أكثر همه فيما فرط ، وإذا أبغض عبدا ، أكثر همه فيما قسمه له .

وقال : العلم محجة ، فإذا طلبته لغير الله ، صار حجة)[2]

(روي انه خرج يوماً يزور مقبرة معروف الكرخي ﷺ فسمع في طريقه صوت جارية تغني في دار مولاها فرجع الى منزله وجمع اهله وقال :

اي ذنب اصابني حتى عوقبت اليوم ، فلم يذكروا شيئاً غير انهم قالوا : قد اشترينا بالأمس اناء فيه صورة .

فقال : من هنا أوتي عليَّ وقام الى ذلك الاناء فمحى الصورة ، وكان له كلام عالٍ منه : القلوب ثلاثة قلب يطوف في الدنيا ، وقلب يطوف في الآخرة ، وقلب يطوف بالمولى . فمن طاف بالدنيا تزندق ، طهر قلبك باليقين لتجري فيه الأقدار .

وعنه : أقرب الطرق الى الله تعالى حبه ، وما يصفو حبه حتى يبقى المحب روحاً بلا نفس ، وما دام له نفس فلا بد ان يحب في الله تعالى ، وعند فقد النفس تجيء محبة الله الصادقة .

ومنه : أزِل الهوى من القدر تعرف ، وازل الهوى من الخلق والأمر تخلص ، على

---

[1] بهجة الاسرار ص ٢٧٣ – ٢٧٤

[2] سير اعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٦

قدر ما عندك من الأمر تسلم ، وبقدر ما عندك من القدر تعرف ، ما يوجد هناك في وجودك تكن موحداً ، ولإرادتك في تدبيره تكن فانياً ، فان دعاك أجب ، وان وعدك توكل ، وان قدّر عليك استسلم ، وان قال قد اخترتك قل قد فوضت ، وان قال لك اطلب قل قد صدقت ، وان قال لك اعبدني قل وفقني ، وان قال لك وحدني قل اجذبني ، فاذا جاءت المعرفة صارت افعالاً ربانية وزالت الاكوان وصرت في القبضة صاحب قلب ، لا يكون لك شيء الا به عز وجل ، وما كان به كان له ، وما كان بك كان لك ، فبالإيمان يشتغل عن اقسام الدنيا لأن فيه تصديقه ، وبالعلم يشتغل عن اقسام الآخرة لأن فيه معرفته ، وبالمعرفة يشتغل عن الكل ، حيث كنت لأنه معك من حيث معرفتك على قدرك .

وعن القاضي ابي سعد المخزومي قال : سمعت الشيخ حماد الدباس يقول وقد ذُكر عنده الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني وهو يومئذ شاب رأيت على رأسه علمين للولاية وقد نصبا له من البهموت الأسفل الى الملكوت الأعلى .

وسمعت الشاويش يصيح له في الأفق الأعلى بألقاب الصديقين)[1]

من كراماته ﷺ :

عن الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر السهروردي قال : سمعت عمي الشيخ نجيب الدين السهروردي يقول كان الشيخ حماد بن مسلم الدباس من أجلِّ من لقيت من مشايخ بغداد وهو اول شيخ فتح الله عليّ ببركته ، وكانت دباسته لا يدخلها زنبور ولا ذبابة ، وكان بعض مماليك المسترشد يتردد الى زيارته فقال له : اني ارى لك من السابقة نصيباً من القرب من الله عز وجل ، في الدرجات العلا ، فاترك دنياك وانقطع الى الله تعالى فلم يفعل ، وكان بمنزلة عند الخليفة ، فدخل عليه يوماً وانا عنده ، فأعاد عليه القول فامتنع عن موافقة

[1] بهجة الاسرار ص ٢٧٤ – ٢٧٥

الشيخ ، فقال له ان الله عز وجل قد حكّمني فيك لأجذبك اليه بما شئت واني أمرت البرص ان يغشاك ، قال فوالله ما تم كلامه حتى عم البرص جميع جسد المملوك ، فبهت الحاضرون ، وقام ودخل على الخليفة فأحضر له الخليفة الأطباء فأجمعوا ان لا دواء ، فأشار عليه وجوه دولته بإخراجه من القصر ، فأُخرج واتى الى الشيخ حماد وقبل رجليه وشكى اليه سوء حاله والتزم موافقته فيما يأمره به ، فقام اليه الشيخ ونزع عنه قميصه الذي كان على جسده وقال اذهب ايها البرص من حيث جئت فاذا بجسده كالفضة البيضاء ، فخطر له ان يرجع الى الخليفة من الغد فضرب الشيخ بأصبعه على جبهته فخط في غرته خطاً فاذا هو خط برص وقال هذا يمنعك من الدخول على الخلفاء ولزم خدمة الشيخ الى ان مات .

وعن الشيخ ابا النجيب عبد القاهر السهروردي ﷺ قوله :

اتيت في بدايتي الى الشيخ حماد الدباس ﷺ وشكوت اليه مجاهداتي وبطء الفتح عليَّ فقال ائتني غداً بسد من اللبن بعد قيامك من الدرس ولا تغير زيك فلما كان الغد خرجت من المدرسة وما غيرت شيئاً من لباسي وذهبت الى السوق واشتريت سد لبن وحملته على رأسي ومشيت في وسط بغداد واتفق ان لقيني كل من يعرفني وصار الناس يقفون ينظرون اليَّ وكنت كلما خطوت خطوة تذوب نفسي كما يذوب الرصاص على النار فلما قاربت دباسة الشيخ حماد رأيته واقفاً على بابها كالمنتظر لي فنظرني نظرة ملأني بها وغاب عقلي وسقطت لوجهي وتبدد اللبن على الأرض وانا الى الآن ببركة تلك النظرة .

وسمعته يقول انا لا آكل الا من طعام الفضل وكان يرى الشخص في المنام ان احمل الى حماد شيئاً وكان يعيّن للرائي في المنام ان احمل اليه كذا وكذا وكان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء ، ويعني بطعام الفضل ما يشهد له صحة الحال من فتوح الحق سبحانه وتعالى .

وعن الشيخ الأصيل ابو طاهر الخليل عن أبيه : مر الشيخ حماد الدباس ﷺ ببعض قرى بغداد فرأى بعض امراء الدولة المستظهرية راكباً سكران فأنكر عليه ، فسطا عليه الأمير فقال الشيخ يا فرس الله خذيه ، فعدت به فرسه كالبرق الخاطف تسبق البصر وفقد ولم يعلم اين ظهر ، وبعث الخليفة الخيل وراءه فلم يسمعوا له خبراً ، ولم يقفوا على أثر ، فقال الشيخ جماد ﷺ : وعزت من له العزة لم تستقر به فرسه دون بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل ، حتى ذهبت به الى وراء جبل قاف ومن هناك يُبعث) [1]

وفاته رحمه الله تعالى :

قال المبارك بن كامل : مات العارف الورع الناطق بالحكمة حماد في سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، لم أر مثله ، كان بزي الأغنياء ، وتارة بزي الفقراء .

سكن بغداد بالظفرية إلى أن توفي بها سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م ودفن بمقبرة الشوينزي ببغداد .

[1] بهجة الاسرار ص ٢٧٥ – ٢٧٦

حماد بن عبد الله التيناتي

أبو الخير الأقطع التيناتي

صاحب الكرامات رضي الله تعالى عنه .

وهو من أهل المغرب .

نزل وأقام في تينات من أعمال حلب فنسب اليها وأصله من المغرب ، وكان أسود اللون، سيداً من سادات الكون وكراماته أكثر من ان تُحصر .

صحب أبا عبد الله بن الجلاء وسكن جبل لبنان مدة وزار طرابلس ، ثم ذهب الى مصر .

حكى عنه :

مُحَمَّد بن عبد الله الرازي ، وأحمد بن الحسن ، ومنصور بن عبد الله ، الأصبهاني ، وغيرهم .

قالوا عنه :

قال عنه ابن الملقن :

أحد مشايخ الصوفية ، صحب كثيراً من جلة مشايخ الصوفية ، وكان من العباد المشهورين ، والزهاد المذكورين [1]

قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي :

بأنه : له آيَات وكرامات ، وَكَانَ أوحد فِي طَرِيقَته فِي التَّوَكُّل ، كَانَ يأنس إِلَيْهِ السبَاع والهوام ، وَكَانَ حاد الفراسة ، وكان ينسج الخوص بإحدى يديه لا يُدرى كيف ينسجه ، لم تزل ثغور الشام محفوظة أيام حياته إلى أن مضى لسبيله [2]

قال القشيري: كان كبير الشأن ، له كرامات وفراسة حادة .[1]

---

[1] طبقات الأولياء ١ / ١٩٥

[2] طبقات الصوفية ص ١٧٦

حكايات عن كراماته ﷺ :

كانت له كرامات وفراسة حادة .

قال القشيري : قال أبو الحسين القيرواني:

زرت أبا الخير التيناتي، فلما ودعته خرج معي إلى باب المسجد فقال :

يا أبا الحسين أنا أعلم أنك لا تحمل معك معلوماً ، ولكن احمل معك هاتين التفاحتين .

قال : فأخذتهما ووضعتهما في جيبي وسرت.

فلم يفتح لي بشيء ثلاثة أيام ، فأخرجت واحدة وأكلتها ، ثم أردت أن أخرج الثانية فإذا هما في جيبي .

فكنت كلما أكلت واحدة وجدتهما بحالهما إلى أن وصلت إلى باب الموصل، فقلت في نفسي إنهما يفسدان علي حال توكلي ، فأخرجتهما من جيبي فنظرت ، فإذا فقير مكفوف في عباءة يقول:

أشتهي تفاحة. فناولته إياهما. فلما عبرت وقع لي أن الشيخ إنما بعثهما إليه فرجعت فلم أجد الفقير [٢]

وعن منصور بن عبد الله، الأصفهاني ، يقول :

سمعت أبا الخير الأقطع، يقول : دخلت مدينة رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ وأنا بفاقةٍ. فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً؛ فتقدمت غلى القبر، وسلمت على النبي، صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر، رضى الله عنهما. وقلت: أنا ضيفك الليلة ، يا رسول الله .

---

[١] تاريخ الاسلام ٢٥/٤٨٨

[٢] تاريخ الاسلام ٢٥/٤٨٥-٤٨٦ ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/٥٩ و: طبقات الأولياء المؤلف ١ / ١٩٠

وتنحيت ونمت خلف المنبر.

فرأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر عن يمينه ، وعمر ، عن شماله ، وعلى بن ابى طالب بين يديه ، رضى الله عنهم.

فحركني عليٌّ، وقال: قم ، قد جاء رسول الله ، فقمت إليه ، وقبَّلت بين عينيه ؛ فدفع إلى رغيفاً ، فأكلت نصفه ، وانتبهت ، فإذا في يدى نصف رغيف [1]

قال أبو سعد إسماعيل بن علي الواعظ :

سمعت جماعة من مشايخنا : أن قوماً صلوا خلف أبي الخير الأقطع ، فلما سلم قال رجل : لحن الشيخ .

ففي نصف الليل خرج إلى البراز، فرأى أسداً والشيخ يطعمه، فغشي على الرجل، فقال الشيخ :

منهم من يكون لحنه في قلبه ، ومنهم من يكون يلحن بلسانه [2]

قال السلمي: سمعت جدي إسماعيل بن نجيد يقول:

دخل على أبي الخير الأقطع بعض البغداديين ، وقعدوا يتكلمون بين يديه ، وضاق صدره ، فخرج.

فلما خرج جاء السبع ، ودخل البيت ، فسكتوا ، وانضم بعضهم إلى بعض، وتغيرت ألوانهم .

فدخل عليهم أبو الخير وقال : يا سادتي ، أين تلك الدعاوى ؟

قال أبو القاسم القشيري :

وأبو الخير التيناتي مشهور بالكرامات. حكي عن إبراهيم الرقي أنه قال:

قصدته مسلّماً ، فصلى صلاة المغرب ، فلم يقرأ الفاتحة مستوياً ، فقلت في

---

[1] تاريخ الاسلام ٤٨٦/٢٥ و مختصر تاريخ دمشق ٥٩/٢٨ وتاريخ دمشق ١٦٠/٦٦

[2] مختصر تاريخ دمشق ٦٥/٢٨ وطبقات الأولياء المؤلف ١ / ١٩٠

نفسي: ضاعت سفرتي .

فلما سلمت خرجت للطهارة ، فقصدني السبع ، فعدت إليه فقلت:

أن الأسد قصدني ، فخرج ، وصاح على الأسد. وقال:

ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني ؟

فتنحى. وتطهرت ، فلما رجعت قال:

اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد [1]

قال أبو القاسم بكر بن مُحَمَّد:

ورد على أبي الخير رجل فقيه من العراق ، فلما وجبت صلاة العشاء خرج إلى المسجد وضيفه معه ، فتقدم الشيخ ، فصلى بهم، وكان في لسانه عجمة الحبش ، فلما فرغ من الصلاة قام الفقيه فأعاد صلاته التي صلاها خلفه ، فلما كان من غد قدم الشيخ ضيفه فقال : تقدم ، صل بنا الصبح ، فإنك تحقق القراءة أكثر مني .

فتقدم الرجل، وصلى بالشيخ والجماعة، ثم خرج الرجل بين الآجام ، فإذا به يصرخ ، فخرج الشيخ فدخل الأجمة ، فإذا بالرجل ملقىً على ظهره ، والسبع على صدره ، فتقدم الشيخ إلى السبع ، فأخذ أذنه وقال :

ويحك تخيف ضيفي ؟

ونحاه عن صدره ، فأقام الرجل مغشياً عليه ساعةً ، وحمل إلى المسجد ، فلما أفاق قال له الشيخ :

يا هذا، لو حققت يقينك كما حققت قراءتك لكنت أحد رجال الله، ففطن الرجل وقال: أيها الشيخ التوبة، فقال: يا هذا، لا يعرج إلى السماء إلا كما نزل

[1] مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٦٥

منها محققاً، ولي اجتهادك ، فصوّب يقينك كما صوبت قراءتك ، ارفع سوء الظن عن عباد الله. فقال: سمعاً لك وطاعةً [1]

وروي أنه كان أسود ، وفي لسانه عجمة الحبش ، وقصده بعض البغداديين – من أهل اللسان – ليمتحنه ، ومعه تلامذة له ، وأعلمهم أنه لا يحسن شيئاً .

فدخل عليه ، وحوله أصحابه، فسلم عليه وقال : أيها الشيخ ، مسألة . فقال : ليس هذا موضع مسألتك ، ولكن أجلس حتى يخلو الموضع .

فلما خلا أخذ بيد البغدادي ، وأدخله إلى مسجد يأوي أليه للخلوة في وسط الأجمة ، فأجلسه في المسجد ، وقام هو يركع ، فإذا هو بصياح الأسد من كل جانب ، فارتعد البغدادي واصفر لونه ، فسلم أبو الخير وقال :

هات مسألتك ، فغشى عليه .

فحمله أبو الخير على ظهره ، ورده إلى أصحابه، وقال :

خذوا شيخكم ، فلما أفاق هرب من عنده خفية [2]

ولأبي الخير ولد اسمه عيسى، كان صالحاً أيضاً.

طلب من والده الخبز، وكان صبياً فقال: أيما أحب إليك : أعطيك الخبز، وتكون عند السبع ؟ أو تكون عندي بلا خبز ؟

قال، فقلت في نفسي : هو والد، ولا تطيب نفسه أن يتركني مع السبع

فقلت : أعطني الخبز ، واحبسني حيث شئت .

فأعطاني الخبز، فلما أكلت ، قال لي : قم .

قلت : ترى يحملني إلى السبع ؟ فقمت معه ، فدخل الغابة ، وأنا خلفه ؛

---

[1] مختصر تاريخ دمشق ٢٦٦/٢٨ و تاريخ مدينة دمشق ٦٦ / ١٦٨

[2] طبقات الأولياء / ١٩٣

وإذا بسبعين، فلما أبصرا به قاما ، فقال لي : اجلس ،
فجلست ، ومضى هو ، وريض السبعان ، فكنت أرجف من الخوف ،
ثم سكنت وقلت : لو أراد بي أمراً لكانا قد فعلا .

ثم خطر لي أنه ولاهما بحفظي ، فبقيت إلى قريب المغرب هناك ، فلما جاء قرب العشاء جاء والدى ، فلما بصرا به قاما ؛ فأخذ بيدي وأخرجني ، وخرج كل واحد منهما إلى جانب [1]

(قال أبو الحسن بن زيد ما كنا ندخل على أبي الخير وفي قلبنا سؤال إلا تكلم علينا من ذلك الموضع من غير أن نسأله قال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على أبي الخير التيناتي وكنت اعتقدت في نفسي أن أسلم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعاما فلما خرجت من عنده ومشيت إذا به خلفي وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك .

قال أبو الحسن علي بن محمود الزوزني الصوفي كان أبو الخير التيناتي صاحب مشاهدة وكان يسميني غلام الله وكنت أنبسط إليه فقلت يا سيدي بأيش وصلت إلى هذا الحال فقال رأيت رسول الله (ﷺ) في النوم فقبل صدري فأنا أرى من خلفي كما أرى من قدامي .

قال وسمعت العراقي يحكي إني كنت ماضيا إلى التينات أزور الشيخ فالتقيت بإنسان بغدادي فقال لي إلى أين تمضي فقلت إلى التينات أزور الشيخ فقال إن نقم بزيارة إليه الساعة ندخل عليه ويقدم لنا الخبز واللبن وأنا لا أتمكن من أكله فإني صفراوي فدخلنا على الشيخ فقام ودخل إلى بيته وجاء على يده قصعة فيها لبن وخبز وقال كل أنت هذا وفي يده الأخرى رمان حلو وحامض فتركه بين يدي البغدادي فقال كل أنت هذا ثم قال لي من أين صحبت هذا فإنه

---

[1] طبقات الأولياء ١ / ١٩٥

بدعي [1] ، وما كنت سمعت منه شيئا فلما كان بعد عشر سنين رأيته بتنيس [2] وهو تاجر وإذا به معتزلي محض .

قال عبد العزيز الحبراني وكان يمشي حافيا في أسفاره قال خرجت من البصرة حافيا ونعلي بيدي إذا وصلت إلى بلد تحظيت فيهما وإذا خرجت حملتهما بيدي إلى أن دخلت الثغر فلما عدت من الغزو وأردت الخروج من الثغر أحببت أن ألقى أبا بكر التيناتي فعدلت إلى التينات فسألت صبيا على باب الزقاق كيف الطريق إلى مسجد الشيخ فقال ما أكثركم قد آذيتم هذا الشيخ الزمن [3] كم تأكلون خبز هذا الضعيف فوقع في قلبي من قوله فاعتقدت ألا آكل طعاما ما دمت بتينات وأتيته فبت عنده ليلتين ما قدم لي شيء ولا عرض علي شيئا فلما خرجت وصرت بين الزيتون إذ به يصيح خلفي قف فالتفت فإذا به فقلت أنا أرجع إليك فاستقبلته فدفع إلي ثلاثة أرغفة ملطوخة بلبن وقال لي كل هذه فقد خرجت من عقدك ثم قال أما سمعت قول النبي (ﷺ) إن الضيف إذا نزل نزل برزقه [4]

وقال: كنت بأطرابلس الشام بعد عشاء الآخرة ، وقد مضى من الليل وقت، فذكرت الحرم وطيبة ، فاشتد شوقي إليه .

فقلت: أيش أعمل الساعة ؟

---

[1] بدعي يعني أنه صاحب بدعة، والبدعة بالكسر: الحدث في الدين بعد الاكمال، أو هي ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال. وقال ابن الأثير: البدعة: بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلالة ضلال. (انظر تاج العروس: بدع).

[2] تنيس: بكسرتين وتشديد النون: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط (معجم البلدان).

[3] الزمن: الزمانة: العاهة: زمن زمنا فهو زمن وزمين وأزمن الله فلانا: جعله زمنا أي مقعدا، أو ذا عاهة (تاج العروس: زمن).

[4] تاريخ دمشق ٦٦/١٦٩ - ١٧٠

فسجدت ، ورفعت رأسي ، فإذا أنا في المسجد الحرام .

قال بكر بن مُحَمَّد:

سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله ويعرف بابن أم راغب قال: دخلت على الشيخ أبي الخير التيناتي في مسجده، فإذا هو مع شخص يحدثه، فقال لي :

يا إبراهيم، اخرج ورد الباب، فخرجت ، وجلست بالباب طويلاً ، وكانت بي حاجة إليه، فقلت في نفسي : إن كانا في سر فقد فرغا. ففتحت الباب ، ودخلت، وإذا به جالس وحده، فقلت:

حبيبي ، أين الرجل الذي كان معك، فإنه لم يخرج ؟

فقال: يا بني ، هو لا يخرج من الباب ،

فقلت: من هو؟ قال : هو الخضر ، فبكيت، فقال: لم تبكي ؟ قلت: لو عرفته لسألته الدعاء .

ثم مضت مديدة ، ففتح على الشيخ نقود تركية ، فقال:

يا بني ، لو حملت إلى الأذنة فبعته ، وابتعت به حوائج ذكرها .

فانحدرت ، فاشتريت الحوائج ، وحملتها في كساء على ظهري ، فلقيت رجلاً في الطريق ، فسلم علي وقد بقي إلى التينات ستة أميال .

فقال: يا أخي قد تعبت ، فناولني أحمل عنك ، فناولته ، فحملها ، وجعل يحادثني بأخبار الصالحين حتى بلغنا التينات ، فدفعها ، وودعني ، وقال : تقرأ على الشيخ مني السلام .

فقلت: حبيبي ، أقول من ؟

قال : هو يعرف.

فلما دخلت على الشيخ قال لي

: يا إبراهيم ، ما استحييت، حمّلته ستة أميال وما حسدتك ، وحسدتني على كلامه إياي ؟

فبكيت، وقلت: هو هو ؟

قال: هو هو ولا حيلة ، تبكي إذا لم تلقه ، وتبكي إذا لقيته [1]

وعن قطع يده يقول :

قال أبو نعيم الأصبهاني:

سمعت غير واحد ممن لقي أبا الخير يقول إن سبب قطع يده أنه كان عاهد الله ألا يتناول بشهوة نفسه شيئا مُشتَهياً ، فرأى يوماً بجبل لكام شجرة زعرور فاستحسنها فقطع منها غصناً فتناول منها شيئاً من الزعرور، فذكر عهده فتركه، ثم كان يقول:

قطعت غصنا فقطع مني عضو [2]

ويسهب مرة في روايته فيقول :

(فلما أردت أن آكله ذكرت فرميته ثم دخلت المغارة بالليل فإذا هناك قاطعوا الطريق وقد دخلوا إلى الغار قبلي ولم أعلم .

فلما دخلت إلى هناك فإذا نحن بصاحب الشرطة يطلبهم فدخل الغار فأخذهم وأخذني معهم فقُدِّموا جميعا فقُطِعوا فلما قدمت قالت اللصوص لم يكن هذا الأسود معنا وكان أهل الثغر يعرفونني فغطى الله عنهم حتى قطعوا يدي فلما مدوا رجلي قلت يا رب هذه يدي قطعت لعَقْدٍ عقدته فما بال رجلي فكأنه كشف عنهم وعرفوني وقالوا هذا أبو الخير واغتموا فلما أرادوا أن يغمسوا يدي في الزيت امتنعت وخرجت ودخلت الغار وبت ليلة عظيمة فأخذني النوم فرأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله فعلوا بي وفعلوا فأخذ يدي المقطوعة فقبلها فأصبحت ولا أجد ألم الجرح وقد عوفيت [3]

---

[1] مختصر تاريخ دمشق ٢٦٩/٢٨ – ٢٧٠

[2] تاريخ دمشق ١٦٠/٦٦

[3] تاريخ دمشق ١٦٣/٦٦

من اقواله ﷺ :

أنحل الحبُّ قلبه والحنين

ومحاه الهوى فما يستبين

ما تره الظنون إلا ظنوناً

وهو أخفى من ان تراه الظنون

– ((القلوب ظروف: فقلب مملوء إيماناً، فعلامته الشفقة على جميع المسلمين، والاهتمام بما يهمهم، ومعاونتهم بما يعود صلاحه إليهم ؛ وقلب مملوء نفاقاً، فعلامته الحقد، والغل، والغش، والحسد))

– ((لن يصفو قلبك غلا بتصحيح النية لله تعالى؛ ولن يصفو بدنك إلا بخدمة اولياء الله تعالى)

– (ما بلغ احد غلى حالةٍ شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الرائض، وصحبة الصالحين، وحرمة الفقراء الصادقين)

– حرام على قلب مأسور بحب الدنيا أن يسيح فى روح الغيب

– إن الذاكر لله تعالى لا يقوم له – في ذكره – عوض ؛ فإذا قام له العوض خرج من ذكره

– من لم يكن له مع اللذة صحبة دائمة ، بمعرفة اطلاعه عليه ، ومراعاته لتصريف الموارد به ، ومشاهدة منه قاطعة ، اعترضت عليه الأحزان ، من ظهور المحن، وتغيير الزمان

– الدعوى رعونة، لا يحتمل القلب إمساكها فيلقيها غلى اللسان، فتنطق بها السنة الحمقى، ولا يعرف الأعمى ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه)) [1]

وفاته رحمه الله تعالى :

---

[1] طبقات الصوفية ص ١٧٦

بعثت إلى الثغور فبكيت فقيل لي هي محروسة ما عشت انت وفلان وفلان وفلان (طائفة من الأخيار) ما بقي منهم غيري كلهم ماتوا

قال السلمي: سمعت أبا الأزهر يقول :

عاش أبو الخير التيناتي مائة وعشرين سنة، ومات سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، أو قريباً منه [1]

[1] مختصر تاريخ دمشق ٢٧١/٢٨

حرف الخاء

خ

خالد البغدادي النقشبندي

مولانا ذو الجناحين

١٧٧٨م / ١١٩٢ هـ- ١٨٢٦م / ١٢٤٢هـ

الطريقة النقشبندية تأسست في القرن السادس عشر في تركستان (آسيا الوسطى) وبالذات في بخارى وطشقند، ثم انتشرت في الهند وايران .

بعدها انتشرت في العراق وعموم الشرق الاوسط على يد واحد من ابرز شيوخ الطريقة هو السيد خالد البغدادي فيما يسميه مؤرخوا الطرق الصوفية بالمرحلة النقشبندية الثالثة .

ويعتبر السيد(خالد البغدادي) من أهم الشخصيّات البارزة في تاريخ الطريقة النقشبنديّة، وأكثرهم معرفة بالعلوم العقلية والنقلية .

وبه دخلت النقشبندية مرحلتها الثالثة حسب تطورها التاريخي.

تنسب النقشبندية في هذه المرحلة إلى خالد البغدادي ، والذي تذكر المصادر أن نسبه يصل إلى عثمان بن عفان نسباً وإلى الإمام علي بن أبي طالب حسباً،

اسمه :

أبو البهاء، ضياء الدين خالد بن أحمد بن الحسين الشهرزوري البغداديّ .

ويعرف بين أتباعه بلقب مولانا خالد ذو الجناحين

ولد البغداديّ عام ١١٩٢ من الهجرة الموافق لسنة ١٧٧٨ من الميلاد بمحل اسمه (قره داغ) وتعني (الجبل الأسود)، وهي قرية جميلة ، تزدان بجمال الطبيعة من أشجار ومياه ، وتقع على مسافة خمسة أميال (٨ كم) من مدينة السليمانية في جنوبي كردستان العراقية ، وفيها مدارس دينية عديدة .

رحلته لطلب العلم :

نشأ الشيخ في قريته برعاية والده، وقرأ في مدارسها القرآن الكريم، والمحور للإمام الرافعي، ومتن الزنجاني في الصرف، وشيئاً من النحو، وبرع في النظم والنثر وهو

دون البلوغ ، وجعل يدرب نفسه على الزهد والعفة منذ وقت مبكر.

ثم رحل إلى بعض نواحي بلاده لطلب العلم، فقرأ في السليمانية على الشيخ عبد الكريم البرزنجي وعلى الملا مُحَمَّد صالح، والملا إبراهيم البياري، والشيخ عبد الله الخرباني.

وواصل تجواله في المناطق المحيطة طلباً للعلم ، فقرأ شرح الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على الملا عبد الرحيم الزيادي المعروف بملا زاده، وقرأ على غيره ثم رجع إلى السليمانية فقرأ فيها وفي نواحيها الشمسية والمطول والحكمة والكلام، ثم قدم بغداد فقرأ المنتهى في الأصول .

وفي هذه الزيارة الأولى لبغداد اجتمع به كبار العلماء

ثم رحل إلى (سنندج)[1] ونواحيها فقرأ فيها الحساب والهندسة والإسطرلاب والفلك على الشيخ مُحَمَّد قسيم السنندجي وكمل عليه المادة كالعادة.

ثم ولي تدريس مدرسة أجلّ أشياخه الشيخ عبد الكريم البرزنجي بعد وفاته بطاعون السليمانية سنة ١٢١٣هـ، وبقي فيها حتى سنة ١٢٢٠هـ حين جذبه الشوق إلى البيت الحرام وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، فخرج قاصداً الحج عن طريق الموصل ودمشق.

وفي دمشق اجتمع بعلمائها كالشيخ مُحَمَّد الكزبري سمع منه وأخذ عنه الأسانيد العالية والإجازات المسلسلة في ذهابه، وإيابه، حيث أسند الشيخ مصطفى الكردي القادري في دمشق له خلافة الطريقة القادرية إليه في العراق .

ولما وصل المدينة المنورة مدح النبي صلى الله عيه وسلم بقصائد فارسية .

وفي السنة نفسها رحل إلى بغداد فنزل في زاوية الشيخ عبد القادر الجيلي أيام

---

[1] سنندج ويطلق عليها أيضا "سين"، هي عاصمة محافظة كردستان ايران في شمال غرب ايران وتبعد ١٥٣ كيلومتر عن الحدود الإيرانية العراقية، وتعد ثاني أكبر مدينة كردية في إيران.

وزارة سعيد باشا ابن سليمان باشا، وبقي يرشد الناس نحو خمسة أشهر ثم عاد إلى كردستان بشعار الصوفية.

الرحلة الى الهند :

ارتحل خالد البغدادي من العراق إلى الهند عام ١٢٢٥هجريا، إبان الاحتلال الإنجليزي للهند ولما قابل الشيخ عبد الله الدهلوي شيخ الطريقة النقشبندية في الهند .

أجاز له الشيخ عبد الله الدهلوي مشيخة الطريقة، وإقامة طقوس الطريقة النقشبندية الخالدية بعد ان قضى في خلوته عشرة أشهر .

وبعد عودت الشيخ الى منطقة كردستان بدأ بنشر تعاليم الطريقة النقشبندية الخالدية حيث نشر روح الزهد والتقوى بفضل طريقته فقلَّت أحداث السرقة والنهب والقتل وساد الهدوء والأمان في المنطقة الكردية في العراق. حيث نشر اسلوباً ونمطاً جديداً في الذكر يعرف ب"رابطة الشيخ".

اشتهر خالدٌ البغداديّ بعد عودته من الهند بصورة غير معهودة، وذهب صيته إلى أقصى بقاع المملكة العثمانيّة لأنّ أتباعَ خالدٍ البغداديّ كانوا يسعون بحماسة شديدة لنشر طريقتهم في جميع أنحاء المملكة، وكانت لهم نشاطات كثيفة حتّى في مدينة إسطنبول عاصمة الدولة.

وفي السليمانية بنى له أمير الأمراء محمود باشا بن عبد الرحمن باشا زاوية ومسجداً، وأوقف عليهما وقفاً ورتب للطلاب المواظبين فيها رواتب كافية، فأقبل المريدون عليه وطلبة العلم من مختلف البلاد، وانتفع به خلق كثيرون من الأكراد وأهل أربيل وكركوك والموصل والعمادية والجزيرة وعينتاب وحلب والشام والروم والمدينة المنورة ومكة المكرمة والبصرة وبغداد.

رحل إلى بغداد بعد ذلك فنزل المدرسة الأحسائية أيضاً، وجددت له، فجعل ينشر العلم، وانقاد له العلماء وشاع فضله، وصار يرسل الخلفاء إلى البلدان

المختلفة .

الرحلة الى الشام :

أرسل الشيخ ذو الجناحين إلى الشام الشيخ عبد الرحمن العقري الكردي ، ثم أرسل الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي الذي تلقى عنه كثيرون الطريقة النقشبندية، ومنهم مفتي دمشق الشيخ حسين المرادي الذي كتب إلى الشيخ خالد يشير عليه بقدوم دمشق فانشرح صدره للرحلة إليها.

وصل دمشق بموكبه الحافل في السنة المذكورة، واستقبله كثير من أهلها بالإعزاز والترحيب، كان نزوله أولاً في الجامع المعلق وهرع لزيارته العلماء والأمراء والحكام، ثم نزل في خلوة بني الغزي بالجامع الأموي، وتزوج بعد ذلك منهم شقيقة الشيخ إسماعيل الغزي السيدة عائشة، وأحضر أهله من بغداد، ثم اشترى داراً فخمة بحي القنوات جعل قسماً منها مسجداً.

وفاته :

وأراد الله ان يتوفى ولدى الشيخ في الطاعون الذي اصاب الشام سنة ١٢٤٢هـ وكان وعد قبل ظهور الطاعون في شوال أن يزور القدس مع إخوانه فلما ظهر الطاعون سألوه إنجاز الوعد، فقال: ما نحن فيه من مصابرة الطاعون خير ثواباً مما ترغبون. وقال ما جئنا إلى الشام إلا لنموت في هذه الأرض المقدسة .

وبعد وفاة ولديه كأنما أحس بدنو أجله، فأحضر الشيخ إسماعيل الغزي شقيق حرمه، وأشهده أنه أقام خليفته من بعده على سجادة الإرشاد الشيخ إسماعيل الأنارني، وبعده الشيخ مُحَمَّد الناصح، وبعده الشيخ عبد القادر العقري، ثم أقام أخوه من بعدهم. وأوصى بأملاكه التي في كردستان إلى أخيه الشيخ محمود الصاحب.

ثم جمع خلفائه وأعاد الوصية، وأمرهم باتباع السنة والتمسك بالطريقة والاتفاق والاتحاد.

وجمع أهله ليلة الأربعاء ١١ ذي القعدة ١٢٤٢هـ وأوصاهن واستبرأ ذمته من كل حق لهن عليه وبقين معه حتى مضت ساعات من الليل فقام وتوضأ وصلى ركعات ثم قال: إني طعنت الآن فلا يدخل علي أحد ، ثم اضطجع على هيئة السنة ولم يسمع منه تأوه ولا توجع.

ولما كانت صبيحة الخميس دخل عليه الخلفاء وسلموا وأشار إليهم أن يقلّوا من الكلام. وبقي كذلك حتى ليلة الجمعة ١٤ ذي القعدة ١٢٤٢هـ حين سمع مؤذن المغرب يقول الله أكبر ففتح عينيه وقال الله حق الله حق (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي) ثم لحق بربه .

حزن عليه الناس ، واضطرب خلفاؤه ومريدوه ، واشتد عليهم أمره بعدما حملوه ليلتئذ.

ثم خرجت فجراً جنازته حافلة إلى جامع يلبغا وحضر الناس للصلاة عليه أفواجاً فلم يسعهم المسجد وأمّهم الشيخ مُحَمَّد أمين عابدين بناء على وصيته. ثم ساروا به إلى سفح قاسيون فأعيدت الصلاة عليه ودفنوه هناك حيث كان أمر أن يحفر قبره وعيّن لهم محله ومحل قبور حرمه والخلفاء .

خير النساج

٢٠٢ – ٢٢٢ هـ

مُحَمَّد بن إسماعيل المعروف بخير النساج ، يكنى أبا الحسن
الزاهد الكبير . له أحوال وكرامات ، وكان يحضر السماع ، سماع المشايخ .
أصله من " سر من رأى "، ونزل بغداد وكان له حلقة يتكلم فيها ، وصحب أبا حمزة البغدادي ، ولقى سرياً السقطي . وكان من أقران النوري .
وعمّر طويلاً ، وصحب الجنيد، وابن عطاء. وتاب في مجلسه ابرهيم الخواص والشبلي، وكان أستاذ الجماعة.
مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، عن مائة وعشرين سنة .[١]
من كلامه : الخوف سوط الله، يقوم به أنفساً قد تعلمت سوء الأدب؛ فمتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر ".

تسميته بالنساج :

وإنما سمي النساج لخبر؛ قال جعفر الخلدي: سألت خيراً النساج : أكان النسج حرفتك ؟ قال: لا، قلت: فمن أين سميت به ؟
قال: كنت عاهدت الله أن لا آكل الرطب أبداً، فغلبتني نفسي، فأخذت نصف رطل، فلما اكلت واحدة إذا رجل نظر إلي وقال :
يا خير، يا آبق هربت مني، وكان له غلام هرب منه اسمه خير، فوقع علي شبهه وصورته، فاجتمع الناس وقالوا: هذا والله غلامك خير، فبقيت متحيراً، وعلمت بم أخذت، وعرفت جنايتي، فأخذني وحملني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلامه وقال لي :
يا عبد السوء، تهرب من مولاك ادخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل، وأمرني

---

[١] طبقات الأولياء ١ / ١٩٦

بنسج الكرباس، فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آلته وكأني كنت أعمل من سنين.

فبقيت معه أشهراً أنسج له، فقمت ليلة إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي : إلهي لا أعود إلى ما فعلت .

فأصبحت وإذا الشبه ذهب عني، وعدت إلى صورتي التي كنت عليها، فأطلقت.

وثبت علي هذا الاسم ؛ وفي بعض الروايات :

كان يقول : يا خير، فيقول: لبيك، ثم قال له الرجل بعد ذلك: لا أنت عبدي، ولا اسمك خير، فمضى وقال : لا أغيّر اسماً سماني به رجل مسلم[1]

من اقواله :

كان ﷺ يقول:

- إذا أحبك دللك وَعافاك، وَإذا أحببته أتعبك وَأبلاك.[2]
- لا نسب أشرف مِنْ نسب مَنْ خلقه الله بيده فلم يعصمه، ولا أعلم أرفع ممن علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه .[3]
- (من عرف من الدنيا قدرها ، وجد من الاخرة حقها ، ومن جهل من الاخرة حقها قتله من الدنيا نزرها.
- الصبر من اخلاق الرجال ، والرضا من اخلاق الكرام.
- شَرح صدور المتقين ، وكَشَف بصائر المهتدين ، بنور حقائق الايمان.
- من سبق بخطوة لا يُدرك ، اذا كان صادقا مجتهدا.
- الاخلاص هو الذي لا يُقبل عمل عامل الا به.

---

[1] طبقات الأولياء ١ / ١٩٦

[2] طبقات الأولياء ١ / ١٩٦

[3] وفيات الأعيان ٢/٢١٣

• العمل الذي يُبلِغ الغايات هو رؤية التقصير والعجز والضعف.

•لانَسبَ اشرف من نسب مَن خلقه الله تعالى بيده ،فلم يعصمه ، ولا علم اشرف من علم من علمه الله الاسماء كلها ، فلم ينفعه في وقت جريان القدر والقضاء عليه ، ولا عبادة اتم ولا اكثر من عبادة ابليس ، لم يُنجِه ذلك من المسبوق عليه)[1]

• توحيد كل مخلوق ناقص ، لقيامه بغيره وحاجته الى غيره.

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [2]

اي المحتاجون اليه في كل نَفَس (والله هو الغني) عنكم وعن توحيدكم ، وافعالكم ، (الحميد) الذي يقبل منك ما لا يحتاج اليه ، ويثيبك عليه ما تحتاج اليه.

• ميراث افعالك ما يليق بأفعالك ، فاطلب ميراث فضله ، فانه أتم واحسن ، قال الله تعالى ﴿قلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [3]

• الخوف سوط الله في الارض ، يُقَوّم به انفساً قد تعودت سوء الادب ، ومتى [4]ما اساءت الجوارح الادب فهو من غفلة القلب ، وظُلمة السّر.) [5]

من كراماته :

قال بعضهم :

كُنتُ عند خير النساج فجاءه رجل، فقال :

---

[1] صفة الصفوة ص ٤٨١

[2] فاطر / ١٥

[3] يونس / ٥٨

[4] وفيات الأعيان ٢١٣/٢

[5] طبقات الصوفية ص ١٥٧ – ١٥٨

أيُها الشَّيخ رأيتُك بالأمس وقد بِعتَ الغزل بدرهمين، فجئت خلفك فحللتهما من طرف إزارك، وقد صارت يدي منقبضة على كفِّي،

قال: فضَحِكَ خير وأومأ بيده إلى يديّ ففتحهما ، ثم قال : امضِ واشترِ بهما لعيالك شيئاً ولا تعُد لمثله [1]

قال خير النساج: كُنتُ جالساً في بيتي، فَخَطَر لي أن أبا القاسم الجُنيد (إمام الصوفية الكبير) في الباب أخرج إليه، فنفيتُ ذلك عن سري، وقُلتُ وسوسة، فوقع خاطرٌ ثانٍ كذلك فنَفَيتُ ذلك عن سرّي، فوَقَع خاطرٌ ثالث كذلك، فقلت: إنَّه خاطرٌ حق وليس بوسوسة، ففتحتُ الباب، فإذا الجُنيد قائم، فسَلَّم عليَّ وقال: يا خير لم لا خرجتَ من الخاطِر الأول ؟ [2]

وقال أبو الحسين المالكي كنت أصحب خيرا النساج سنين كثيرة ورأيت له من كرامات الله تعالى ما يكثر ذكره، غير أنه قَالَ لي قبل وفاته بثمانية أيام: إني أموت يوم الخميس المغرب فأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة، وستنسى فلا تنسه. قال أبو لحسين: فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من خبرني بموته، فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين، فسالتهم: لم رجعوا ؟

فذكروا أنه يدفن بعد الصلاة .

فبادرت ولم ألتفت إلى قولهم فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة ، و كما قَالَ . [3]

وكان خير قد احدودب، وكان إذا سمع قام ظهره ورجعت قوته كالشاب المطلق،

---

[1] جامع كرامات الأولياء ١٤٢/١

[2] الرسالة القشيرية ص ١٠٣

[3] سير أعلام النبلاء ٢٦٩/١٥ و طبقات الأولياء ١ / ١٩٦

فإذا غاب عن الوجود عاد إلى حاله.

قَالَ أبو الخير الديلمي كنت جالسا عند خير النساج فأتته امرأة وقالت أعطني المنديل الذي دفعته إليك . قَالَ نعم .

فدفعه إليها فقالت كم الأجرة ؟

قَالَ درهمان.

قالت ما معي الساعة شيء ، وأنا قد ترددت إليك مرارا فلم أرك ، وأنا آتيك به غدا إن شاء الله.

فقال لها خير: إن أتيتني به ولم تريني فارمي به في الدجلة ، فإني إذا رجعت أخذته.

فقالت المرأة: كيف تأخذ من الدجلة ؟

فقال خير: هذا التفتيش فضول منك ، افعلي ما أمرتك .

قالت إن شاء الله. فمرت المرأة.

قال أبو الخير فجئت من الغد وكان خير غائبا ، فإذا بالمرأة جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تر خيراً ، فقعدت ساعة ثم قامت ورمت بالخرقة في دجلة ، فإذا بسرطان تعلقت بالخرقة وغاصت ، وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ فإذا بسرطان خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها، فلما قربت من الشيخ أخذها ،

فقلت له : رأيت كذا وكذا .

فقال: أحب أن لا تبوح به في حياتي، فأجبته إلى ذلك.[1]

[1] الرسالة القشيرية ص ١٠٣

وفاته :

وحكى علي بن هارون الحربي عن غير واحد ممن حضر موته من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب، ثم افاق، ونظر إلى ناحية من باب البيت، وقال: قف، عافاك الله، فإنما أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور ، ما أُمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني، فدعني أمضي لما أمرت به، ثم امض أنت لما أمرت به، ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى وتمدد وأغمض عينيه وتشهد، ثم مات، رحمه الله تعالى .

فرآه بعض أصحابه في النوم ، فقال : ما فعل الله بك ؟

فقال : لا تسلني عن هذا، ولكن استرحت من دنياكم المضرّة .

وكانت وفاته في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى [1]

[1] طبقات الأولياء ١ / ١٩٦ و وفيات الأعيان ٢/٢٥١

حرف الدال

د

داود بن نصير الطائي

ابو سليمان الطائي

هو من أكابر القوم الأعيان وأشياخ الطريق أهل العرفان ، الفَقِيْهُ، القُدْوَةُ، الزَّاهِدُ، العارف الشهير، خليفة الحسن البصري الإمام أبو سليمان داود بن نصير الطَّائِيُّ، الكُوْفِيُّ، أَحد الأَولِياء ، ولد بالكوفة من اعمال العراق في القرن الثاني الهجري بعد المائة بسنوات .

(سمع الحديث ، واشتغل بالفقه مدة ، ثم اختار العبادة والزهد ، فبلغ منهما الغاية)[1]

ودرس الفقه وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة. وآثر الانفراد والخلوة، ولزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره .

من تعلم منهم وحدث عنهم :

أخذ الفقه عن ابي حنيفة النعمان ، وروى عن إسماعيل بن أبي خالد، وحبيب بن أبي عمرة وحميد الطويل وسعد بن سعيد الأنصاري وسليمان الأعمش، وعبد الملك بن عمير، ومُحَمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهشام بن عروة.

أثر الآخرين فيه : حكي عن سفيان بن عيينة أنه قال: كان داود الطايي ممن علم وفقه، وكان يختلف إلى أبي حنيفة رحمه الله حتى نفذ في ذلك الكلام ، فأخذ حصاة فحذف بها إنسانا، فقال له: يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك! قال: فاختلف بعد ذلك سنة لا يسأل ولا يجيب، فلما علم أنه يصبر عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات، ثم أقبل على العبادة وتخلى..[2]

أثره في الآخرين : إن نفسًا تحمل بين جوانبها هذا الزهد ، وتلك العبادة لخليق

---

[1] طبقات الأولياء ١ / ٢٠٠

[2] صفة الصفوة ص ٥٧٨

بها أن تعمل لنصح الآخرين ، قال له رجل:

أوصني فقال : فاجعل الدنيا كيوم صُمته عن شهوتك واجعل فطرك الموت فكأن قد صِرت إليه،

قال: زدني قال: لا يراك الله عند ما نهاك عنه، ولا يفقدك عند ما أمرك به، قال: زدني قال: ارض باليسير مع سلامة دينك، كما رضي قوم بالكثير مع هلاك دينهم.[1]

ويقول ظفر بن عبد الرحمن عم يحيى الحماني: قلت لداود: يا أبا سليمان، ما ترى في الرمي فإني أحب أن أتعلمه؟ قال: إن الرمي لحسن، ولكن هي أيامك فانظر بم تقطعها.

وعن الربيع الأعرج قال: أتيت داود الطائي وكان داود لا يخرج من منزله حتى يقول المؤذن قد قامت الصلاة فيخرج فيصلي، فإذا سلم الإمام أخذ نعله ودخل منزله، فلما طال ذلك علي أدركته يومًا فقلت له: يا أبا سليمان، على رسلك فوقف لي، فقلت: يا أبا سليمان، أوصني قال: اتق الله، وإن كان لك والدان فبرهما ثلاث مرات، ثم قال في الرابعة: ويحك صم الدنيا، واجعل الفطر موتك، واجتنب الناس غير تارك لجماعتهم.

وقال داود لسفيان ناصحًا له: إذا كنت تشرب الماء البارد، وتأكل اللذيذ الطيب، وتمشي في الظل الظليل، فمتى تحب الموت والقدوم على الله تعالى ؟ فبكى سفيان.

وعن ابن السماك قال: أوصاني أخي داود بوصية فقال لي: انظر أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك، واستح في قربه منك وقدرته عليك.

حدث رجل من أهل داود الطائي قال: قلت له يومًا يا أبا سليمان قد عرفت الرحم التي بيننا فأوصني، قال: فدمعت عيناه ثم قال: يا أخي إنما الليل والنهار

---

[1] طبقات الأولياء ١ / ٢٠٠

مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك، إني لأقول لك هذا وما أعلم أحدًا أشد تضييعًا مني لذلك. ثم قام وتركني. [1]

من كلامه :

ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا بشر .

من مآثره رحمه الله :

(دخل عليه رجل ، فقال له : ما حاجتك ؟

قال : زيارتك

فقال : أما أنت فقد فعلت خيراً حين زرت ، ولكن أُنظر ما ينزل بي أنا ، إذا قال لي: من أنت لتزار ؟ من الزهاد؟ لا والله ، أنت من العباد ؟ لا والله ، أنت من الصالحين ؟ لا والله .

ثم أقبل يوبخ نفسه : كنت في الشبيبة فاسقاً ، ولما شبت صرت مرائياً .

وقال عبد الله بن ادريس ، قلت لداود : أوصني ، فقال : أقلل من معرفة الناس قلت : زدني ، قال : ارض باليسير من الدنيا ، عن سلامة الدين ، كما رضى أهل الدنيا بالدنيا ، مع فساد الدين .

قلت : زدني ، قال : اجعل الدنيا كيوم صمته ، ثم أفطر على الموت .

وأحتجم داود، فأعطى الحجام ديناراً، فقيل له : هذا إسراف ،

فقال : لا عبادة لمن لا مروءة له.

ودخل عليه بعض أصحابه ، فرأى جرة ماء ، قد انبسطت عليها الشمس ،

---

[1] صفة الصفوة ص ٥٧٨

فقال له : ألا تحملها إلى الظل ؟

فقال : حين وضعتها لم يكن شمس ، وأنا أستحي من الله أن يراني أمشى لما فيه حظ نفسي .

وقيل له : قد رضيت من الدنيا باليسير ، فقال: ألا أدلك على من رضى بأقل نم ذلك ؟ من رضى بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة .

ويروى أنه خرج يوماً إلى السوق ، فرأى الرطب ، فاشتهته نفسه ، فجاء إلى البائع فقال :

أعطني بدرهم إلى الغد .

فقال له : اذهب إلى عملك .

فرآه بعض من يعرفه ، فأخرج له صرة فيها مائة درهم ، وقال له : اذهب فان أخذ منك بدرهم رطباً فالمائة لك .

فلحقه البائع ، وقال له : ارجع خذ حاجتك .

فقال : لا حاجة لي فيه ، أنا جربت هذه النفس ، فلم أرها تسوى في هذه الدنيا درهماً ، وهى تريد الجنة غداً .

ودخل عليه رجل، فوجده يأكل ملحاً جريشاً بخبز يابس ، فقال له :

كيف يُشتهى هذا ؟ قال : ادعه حتى أشتهيه)[1]

(وقدم مُحَمَّد بن قحطبة الكوفة فقال: أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله ﷺ وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس؛ فقيل له: ما يجمع هذه إلا داود الطائي، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم، وقال: استعن بها على دهرك، فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما: إن قبل البدرتين فأنتما حران، فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما، فقالا: إن في قبلوهما عتق رقبتانا من الرق، فقال لهما: إني أخاف أن يكون في

[1] طبقات الأولياء ١ / ٢٠٠ – ٢٠٣

قبولهما وهق رقبتي في النار، رداهما إليه وقولا له: إن ردّهما على أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا.

وقال إسماعيل بن حسان جئت إلى باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحدا فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت فقال ما بدا لك في الاستئذان قلت سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحدا قال لا ولكن كنت أخاصم نفسي اشتهت البارحة تمرا فخرجت فاشتريت لها فلما جئت اشتهت جزرا فأعطيت الله عهدا يقال إن لا آكل تمرا ولا جزرا حتى ألقاه) [1]

عبادته :

تُحدِث جارته أم سعيد عن عبادته فتقول: كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير، فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ، وربما ترنم في السحر بالقرآن، فأرى أن جميع النعيم قد جمع في ترنمه وكان لا يسرج عليه.[2]

زهده :

وقد طال زهده حتى في الإشارة اليه بأنه عالم او عارف ذو علم . .. زهد في كل ذلك .. وفي سواه .

يروى عنه رحمه الله تعالى :

(وكان من كبار أئمة الفقه والرأي ، برع في العلم بأبي حنيفة ، ثم أقبل على شأنه ، ولزم الصمت ، وآثر الخمول ، وفرَّ بدينه .

سأله رجل عن حديث ، فقال : دعني أبادر خروج نفسي . وكان الثوري يعظمه ، ويقول : أبصر داود أمره ، قال ابن المبارك : هل الأمر إلا ما كان عليه داود .

---

[1] حلية الأولياء ٧ ٢٧٧

[2] صفة الصفوة ص ٥٧٧ برقم ٤٤٢ و سير اعلام النبلاء ٤٢٥/٧

وقيل : إنه أغرق كتبه .

وسأله زائدة عن تفسير آية فقال : يا فلان ، انقطع الجواب)[1]

قول حفص الجعفي عن زهده في الدنيا واستغناءه عنها :

ورث داود الطائي من أمه أربع مئة درهم فمكث يتقوت بها ثلاثين عاما، فلما نفذت جعل ينقض سقوف الدويرة فيبيعها. وقال عطاء بن مسلم: عاش داود عشرين سنة بثلاث مئة درهم.

وعن قبيصة قال: حدثني صاحب لنا أن امرأة من أهل داود الطائي صنعت ثريدة بسمن ثم بعثت بها إلى داود حين إفطاره مع جارية لها، وكان بينها وبينهم رضاع .

قالت الجارية : فأتيته بالقصعة فوضعتها بين يديه في الحجرة، فسعى ليأكل منها فجاء سائل فوقف على الباب، فقام فدفعها إليه وجلس معه على الباب حتى أكلها ، ثم دخل فغسل القصعة ثم عمد إلى تمر كان بين يديه ، قالت الجارية: ظننت أنه كان أعده لعشائه فوضعه في القصعة ودفعها إلي وقال :

أقرئيها السلام .

قالت الجارية : ودفع إلى السائل ما جئناه به، ودفع إلينا ما أراد أن يفطر عليه ، قالت: وأظنه ما بات إلا طاويا .

وعن حماد بن أبي حنيفة قال : قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسمًا .

قال: فافعلي فطبخت له شحمًا ثم جاءته به .

فقال لها : ما فعل أيتام بني فلان؟

قالت: على حالهم

---

[1] سير اعلام النبلاء ٤٢٣/٧

قال: اذهبي به إليهم ،

فقالت له : فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء ،

قال: إني إذا أكلته كان في الحش، وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخورًا

فقالت له: يا سيدي أما تشتهي الخبز؟ قال: يا داية، بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية [1]

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي ؟

فقالوا: داود يجيبكم ؟ أرسلوا اليه ،

قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة :

نحن نذهب إليه ، قال ابن السماك لحماد في الطريق :

إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها ،

فقال حماد : رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها ؟

فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال :

سوءة ، إنما يفعل هذا بالصبيان ، وأبى أن يقبلها .[2]

ويقول مُحَمَّد بن بشر:

دخلت على داود الطائي المسجد فصليت معه المغرب، ثم أخذ بيدي فدخلت معه البيت، فقام إلى دن له كبير فأخذ رغيفا منه يابسا فغمسه في الماء ثم قال: ادن فكل قلت: بارك الله لك فأفطر .

فقلت: يا أبا سليمان ، لو أخذت شيئا من ملح .

فسكت ساعة ثم قال : إن نفسي تنازعني ملحًا ، ولا ذاق داود ملحًا ما دام في الدنيا، قال: فما ذاقه حتى مات رحمه الله.

---

[1] صفة الصفوة ص ٥٧٨

[2] حلية الأولياء ٣٣٥/٧

وعن حماد بن أبي حنيفة قال: جئت داود الطائي والباب عليه مصفق فسمعته يقول: اشتهيت جزرًا فأطعمتك، ثم اشتهيت جزرًا وتمرًا، ليت أن لا تأكليه أبدًا، فاستأذنت وسلمت ودخلت فإذا هو يعاتب نفسه.

قالوا في سبب زهد الشيخ الطائي :

تَرَك الدنيا تعفّف عن متاعها يبتغي متاعاً أكبر وأجراً أعظم .

أحبَّ الله سبحانه وسعى اليه ، وترك ما سواه ، فكان من كبار الزهاد ومن أعلام الفقراء .

تحدّثوا عن زهده وعن السبب الذي جرّه الى ترك الدنيا والزهد فيها .

ونحن اذا نرى ان الزهد ليس فكرة يتبناها الزاهد او نظرية يؤمن بها العابد ، بقدر ما هو لطف من الله ومنحة ، وجذبة من الحق ، ومحبة من الله لعبده تنعكس في روحه محبة وتعلّق وزهد وتوجّه .

أما الأسباب فهي كالشرارة التي توقد الجذوة او تفجرها سلوكاً ونوراً ويقين .

فكم من سبب مرَّ بالناس لم يؤثِّر فيهم كما أثَّر بالزهاد ، حيث لا جذوة في القلوب يحرّكها السبب ، او مجموعة الأسباب ، ويبقى المهم النتيجة ، زهد يقرِّب من الله ، ويساعد الصوفي في الوصول اليه .

وقيل : كان سبب زهده :

أنه كان يجالس أبا حنيفة، ﷺ، فقال له أبو حنيفة يوماً :

يا أبا سليمان: أمَّا الأداة فقد أحكمناها .

فقال له داود: فأي شيء بقي ؟

فقال : العمل به .

قال داود: فنازعتني نفسي إلى العُزلة، فقلت لنفسي :

حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة .

قال: فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة، وكانت المسألة تمرُّ بي، وأنا إلى الكلام

فيها أشد نزاعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلَّم به . ثم صار أمره إلى ما صار. [1]

فلما علم أنه تصبّر عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات ثم أقبل على العبادة وتخلى.

وقال عبيد بن جناد سمعت عطاء يقول:

كنا ندخل على داود الطائي فلم يكن في بيته إلا بارية ولبنة يضع عليها رأسه واجانة فيها خبز ومطهرة يتوضأ منها ومنها يشرب.[2]

وقيل انه كان سبب زهد داود الطائي: « أنه كان يمرُّ ببغداد، فمرَّ يوماً ، فنحّاه المطرقون بين يدي حميد الطوسي ، فالتفت داود فرأى حميداً ، فقال داود:

أُفٍّ لدنيا سبقك بها حميد .

ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة.

وسمعت ببغداد بعض الفقراء يقول :

إن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول :

بأيِّ خديك تبدي البلى وأي عينيك إذاً سالا [3]

ويقال كان بدء توبة داود الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر و هي تقول :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى و أنت قريب

تزيد بلى في كل يوم و ليلة وتسلى كما تبلى و أنت حبيب [4]

وفاته :

يقول حفص بن عمر الجعفي: اشتكى داود الطائي أيامًا، وكان سبب علته أنه

---

[1] صفوة الصفوة ص ٥٧٨

[2] حلية الأولياء ٢٧٨/٧

[3] سير اعلام النبلاء ٤٢٥/٧

[4] صفوة الصفوة ص ٥٧٩

مر بآية فيها ذكر النار فكررها مرارًا في ليلته فأصبح مريضًا، فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة ففتحوا باب الدار ودخل ناس من إخوانه وجيرانه ومعهم ابن السماك، فلما نظر إلى رأسه قال: يا داود فضحت القراء فلما حملوه إلى قبره خرج في جنازته خلق كثير، حتى خرجت ذوات الخدور ومات سنة اثنتين وستين ومائة، وقيل: سنة خمس وستين ولم يخلف بالكوفة أحدًا مثله.[1]

بعد وفاته :

ولما مات جاء ابن السماك ووقف على قبره ثم قال:

أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غداً عليهم، وإن أهل الرغبة فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غداً عليهم، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك، ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها: أجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريها، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، أخشنت الملبس وإنما تريد لينه؛ أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه، ومن الماء بارده، ومن اللباس لينه؟ بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت، فما أيسر ما ضيعت، وأحقر ما فعلت في جنب ما أملت، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك، آنس ما يكون إذا كنت بالله خالياً وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس. سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمت في دين الله وتركتهم يفتون. لا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك، ولا ستر على بابك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع

[1] سير اعلام النبلاء ٤٢٦/٧ وطبقات الأولياء ٢٠٣/١

الكثير لكان حقيقاً بالاجتهاد، فسبحان من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى لأحد صنيعاً.

وقيل إن ابن السماك لما قام على قبر داود قال: رحمك الله يا داود! كنت تسهر ليلك والناس نائمون، وكنت تربح إذ الناس يخسرون، فقال الناس جميعاً: صدقت؛ وكنت تسلم إذ الناس يخوضون، فقال الناس جميعاً: صدقت؛ حتى عدد فضائله كلها. ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله، وفرغ من دفنه وقام الناس [1]

[1] وفيات الأعيان ٢/٢٦٢

دلف بن جحدر

أبو بكر الشبلي

تاج الصوفية ... وريحانة المؤمنين

٢٤٧ – ٣٣٤ هـ

صوفي زاهد مَلَكَ الحب قلبه ونفسه ، وشَغَلَهُ عن كل شيء سوى محبوبه ، فهام في عوالم الحب ، حتى صار الحب محور حياته ومحرِّكها ، فلم يعد يرى غير مولاه. عاش حب الله بكل جوارحه فعاش به وعاش له ، ومضى مع تيار الحب قاطعاً أواصر العلاقة مع الأشياء الترابية .

فالمحبة كما يقول الشبلي : صراط الأولياء .

لذلك سار حب الشبلي في الطريق المستقيم .

كان حب الشبلي ثمرة لجهاد في العبادة لا يفتر ، وسيثمر جهاداً مستمر ، جهاداً في المجتمع ليستقيم ، وليعبد الله ثم ليحب .

ولقد جاهد الشبلي في المجتمع بسلوكه ، وجاهد بكلامه ، وكان واعظاً ، وكان قدوة ، وكان مدرساً ، من أجل هدف واحد ، هو المحبة .

وصفه الشيخ الجنيد بأنه (تاج الصوفية)

وتلك تسمية كبيرة من صوفي وعالم كبير .

الاسم والنشأة :

وشيخنا اسمه المشهور به هو أبو بكر الشبلي .

واختُلف في اسمه فكان هناك أكثر من رأي فمنهم من يرى انه جحدر بن دلف الشبلي ، ويقال انه دُلف بن جحدر ، وقيل جعفر ، كما يقال جعفر ابن يونس [١]

---

[١] طبقات الصوفية للسلمي ص ١١٧ ، و وفيات الأعيان

ولد سنة ٢٤٧ هـ ، وهو خراساني الأصل ، بغدادي المولد والمنشأ ، ويقال ان مولده في سامراء .

وكنيته الشبلي نسبة الى (شبلة) من قرى خراسان .

ينتمي الشبلي الى أسرة ذات جاه ونفوذ ، فأبوه حاجب الحجّاب للخليفة ، وكان خاله أمير أمراء الإسكندرية ... وعاش طفولته مع ابناء الملوك والأمراء .

عاش طفولة مترفة ، فكان طبيعياً ان تعنى أُسرته بتعليمه على أعلى مستوى ، والأسس الأولى للثقافة اذ ذاك انما هي اللغة العربية وبشكل مستفيض ، ثم علوم الشرع وبكثير من العناية ، وبعدها يختار الدارس المادة التي سيتخصص فيها : حديثاً ، او تفسير ، او فقه ، او غير ذلك من العلوم .

لقد شبَّ الشبلي وصورة والده الرجل الناجح ماثلة أمام عينيه ، وطمح للنجاح الذي حققه أبوه .

وراح يتطلع للمجد الذي حققه أبوه .

وكان طريق الشبلي الى المجد سالكاً ، فكما يسَّر الله له طريق العلم والثقافة يسَّر له طريق الوظائف .

وتقلَّبَ في الوظائف حتى وصل الى حاجب الموفق حين كان ولياً للعهد ، ثم تولّى منصب والي دنباوند وهي ناحية من نواحي رستاق الري في جبال خراسان ، كما تولّى حكم البصرة .

والوظائف لم تُلهِ الشبلي عن طلب العلم والسمو عن طريق الثقافة والعلم .

لقد درس وثابر ، وسهر الليالي في طلب العلم ، ولم تشغله الوظيفة عن طلب العلم ... فكان يحضر مجالس العلم وهو في وظيفته .

يقول السلمي في طبقاته :

(كتب الحديث الكثير ، ورواه)

وتقول عنه كتب الطبقات والتراجم :

(وكان الشبلي فقيهاً عالماً ، كتب الحديث الكثير)

يقول احمد بن عطاء : سمعت الشبلي يقول :

كتبت الحديث عشرين سنة .

وجالست الفقهاء عشرين سنة .

ولم تكن دراسته هينة ، فقد أخذ نفسه بالعزائم ، فحفظ الموطأ للإمام مالك عن ظهر قلب ، وحفظ القران الكريم بأكثر من رواية .

وانتهى به الأمر الى أن أصبح عَلَماً من أعلام العلماء ، وأصبح صاحب حلقة يدرِّس فيها وبعظ ، ويهدي بقوله وسلوكه ، واستحق ان يقول فيه ابو عبد الله الرازي :

(لم أر في الصوفية أعلم من الشبلي)

وكان له مع العلماء صولات وجولات [1]

العناية تحيط بالشبلي :

واستمر الشبلي في طلب العلم الكسبي ، واستمر في الترقّي بالوظائف والمناصب.

فبعد ان تفقّه على مذهب الإمام مالك ، وكتب حديثاً كثيراً ، اراد الله لهذا الشاب ان يتعرض قلبه لنفحة ربانية ، فتشغله العناية عن الرواية .

ويوم ان اراد الله للشبلي ان يسلك طريقاً جديداً كانت البداية يوم التقى قلبه بقلب أحد أولياء الله في محاضرةٍ للولي ليتفجر ألف سؤال بقلب الشبلي لم تستطع قراءاته السابقة ان تسعفه بالإجابة عليها ... ولتتصور له رؤى ما عهدها من قبل ... وليشهد أنواراً ما رآها من قبل .

كانت البداية محاضرة لولي صالح يدعى (خير النساج) تجرد الى الله ، وامتلأ قلبه بحبه ، فكان كلامه ينبع من قلب صادق فيصل الى القلوب بلا تكلّف ،

---

[1] تاج الصوفية ص ٨

وكان حديثه عذباً يثير في القلوب طمأنينة وسكينة ويثير أسئلة واضطراب .
ويمنّ الله على عبده بجذبة ، ويأخذه من نفسه اليه ، فيتغير بداخله كل شيء ، ترى هل ممكن لمحاضرة ان تفعل به ما فعلت ؟ وهو العالِم ؟ وهو الفقيه ؟
ويتوالى حضور الشبلي لمحاضرات الشيخ خير النساج ، ويزداد تأثير الشيخ على الشبلي الذي بدأ يحس بأن كلام الشيخ يزلزل نفسه من جذورها ، ويدفعه الى الله دفعاً بطريق جديد لم يألفه لكن القلبَ يطمئنُّ لهُ والروحَ ، وأحس بحب الرياسة يُنتزَعُ من قلبه ، ويتهافت حبُّ الملذات من شعوره ، وان نفسه بدأت تستشرف سعادة من نوع آخر .
وحين يطلب الشبلي من الشيخ النساج ان يزيده ، يوجهه النساج الى بغداد ... الى الجنيد شيخ الطائفة وإمام اهل زمانه .

الشبلي ... في رحاب التصوف :

ويحمل الشبلي ﷺ : علمه ، وفقهه ، وأسئلته ، وحيرته ، ويتوجه الى الجنيد العالم الفقيه المتصوف ، بعد ان يطوف على البلاد التي كان والياً عليها يطلب من أهلها ان يجعلوه في حلٍّ .
ويستبدل الشبلي أصحابه الموسرين والأغنياء ، بالصلحاء من الرجال .
ويستبدل علوم العقول بعلوم القلوب .
ويستبدل زَي الأمراء بثياب الزاهدين .
ويصير الشاب المترف جليس الأمراء وحاجب الملوك (المجتذب الولهان ، المستلب السكران ، الوارد العطشان ، اجتذب عن الكدور والأغيار ، وأستُلب الى الحضور والأنوار ، وسقي بالدنان وارتهن ممتلأ ريان ، ابو بكر الشهير بالشبلي) [1]
ويصحب الجنيد ويلازمه ويستبدله بكل من عرف من الأصحاب قبله .

---

[1] حلية الأولياء ١٠ / ٣٦٦

ويلبس لباس الزاهدين ، ويعيش عَيْشَهُم .

كان ابو القاسم الجنيد وقتها قطباً من اقطاب التصوف ، عميق العلم والمعرفة ، قانتاً ، زاهداً ، عابداً ، وكان الكتبة يحضرون مجلسه لعذب بيانه ودقة الفاظه ، والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لعمق نظره وصواب معانيه ، والمتكلمون لاهتمامه بالتحقيق ، والمتصوفة لإشاراته وحقائقه .

كان الذين يحضرون دروس الجنيد لم يكونوا طلبة بالمعنى العادي للكلمة ، وانما كانوا علماء واساتذة في فروع العلم المختلفة .

ولا ريب ان الذين كانت تجذبهم انوار الجنيد بصورة أشد انما كانوا من أصحاب المواجيد والأذواق ، أي من الصوفية ، وكان الجنيد إماماً لهم ، ومرشداً ، وآخذاً بأيديهم ان قصّروا ، ومهدئاً لهم ان زاد بهم الوله ، يفرح بالواصل ، و يشد أزر من تعثّر به الطريق ، ويرد جماح الجامحين ، والكل يدين له بالفضل ويعترف له بالتقدير .

وارتبط الشبلي بالجنيد وما كان ليهدأ اذا أتاه الوارد حتى يذهب الى الجنيد ويلتقيه ، فيتحدث اليه ويسمع منه .

وحينما يأتيه الوارد ويأخذ بالبحث عن الجنيد لا يرى الأشخاص الآخرين ، ولا يعرفهم ، كانت صورة الجنيد تسيطر على فكره .

ذهب مرة يبحث عن الجنيد ، وسار هنا وهناك ، ودخل المسجد ومر بأناس كثيرين ، وكأنه لم ير منهم أحداً ، ولم يسلّم على أحد ، وذهب الى بيت الجنيد ، فوقف بين يديه وأنشد :

عودوني الوصال والوصل عَذْبُ ورموني بالصدِّ والصدُ صعب

زعموا حين أزمعوا ذنبي فرط حبي لهم وما ذاك ذنب

لا وحق الخضوع عند التلاقي ما جزى من يحب إلا بحب

وسمعه الشيخ الجنيد فتأثر تأثراً شديداً وقابل انشاده بإنشاد ، وردَّ عليه قائلاً :

وتمنيت ان أراك فلما رأيتكا غلبت دهشة السرور فلم أملك البكا

وأحب الجنيد ان يخفف مرة عن الشبلي فقال له مداعباً :

لو رددت أمرك الى الله استرحت .

قال : لا ، بل لو ردَّ الله أمري اليه استرحت .

فقال الجنيد : سيوف الشبلي تقطر دماً .

ودخل على الجنيد يوماً فقال له الجنيد مداعباً ايضاً :

من كان الله همه زاد حزنه .

فقال الشبلي : لا ، من كان الله همه زال حزنه .

لقد ظهر تأثير الجنيد في الشبلي ، شأنه شأن الكثيرين من رموز التصوف ومريديه في زمانه ، لا سيما في مسائل ثلاث وهي : التوحيد والمعرفة اللدنية والمحبة ، كذلك في ربط الحقيقة بالشريعة ، حيث كان الجنيد يربط بينهما في مذهبه ويراهما ممتزجتين لا فصل بينهما ، بل ان الحقيقة عنده يجب ان تستمد نورها من نور الشرع الإلهي .

ارتبط الشبلي بالجنيد ارتباطاً روحياً شديداً فكان يجتهد في ان يأخذ عنه بقدر ما يستطيع ، فكان يبحث عنه في كل مكان ويسعى وراءه اين ما حلَّ .

يقال ان الشبلي اول من سمّى التصوف بعلم الخِرَق ، في مقابل علم الورق (أي الفقه والعلم الظاهر) .

وقد ورد ذلك في أبيات منسوبة للشبلي ، وقد ذكرها علي بن مهدي ، حيث وقف على حلقة الشبلي فنظر اليه فوجد معه محبرة فأنشأ الشبلي يقول :

تسربلت للحرب ثوب الغرق وهمتُ البلاد لوجد القلق

ففيك هتكت قناع الغوى وعنك نطقتُ لدى من نطق

اذا خاطبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق [1]

[1] متصوفة بغداد ص ٢٠٢

تاج الصوفية :

كان الجنيد يقول عنه (لكل قوم تاج ، وتاج هؤلاء القوم الشبلي)

وكان يقول عنه (لا تنظروا الى الشبلي بالعين التي ينظر بها بعضكم الى بعض ، فإنه عين من عيون الله عزَّ وجلَّ)

وكان ابو عبد الله الرازي يقول (لم أرَ في الصوفية أعلم من الشبلي ، كان واحد زمانه حالاً و نفساً) [1]

ومن شدة زهده وعبادته كان يلقب بريحانة المؤمنين [2]

فإذا كان التصوف هو الزهد في الحياة ، وترك السلطان ، فإن الشبلي تجرد من كل ما تملك يداه من متاع الحياة وترك مجداً تلألأت انواره ، اما اذا اخذنا التصوف في أعلى مراتبه ، وفي أرفع غاياته الا وهو التصوف الذي أساسه المحبة والشوق الى الله الحق ، المرتبط بالمعرفة ، فإن الشبلي قد أقبل على مجالس العابدين يملأ آفاقهم وجداً وحباً وأنساً .

وكان له دور بارز في نشر التصوف ، وكان له حلقة يؤمها خلق كثير يعقدها في جامع المنصور في بغداد .

قال له الجنيد : نحن حبّرنا هذا العلم (يعني التصوف) تحبيراً ، ثم خبأناه في السراديب ، فجئت انت ، فأظهرته على رؤوس الملأ .

فقال : أنا اقول وانا أسمع ، فهل في الدارين غيري ؟ [3]

يعني اني ما زلت أسمع من غيري وأتعلم ، ثم انقل العلوم لمن حولي ، وليس مثلي تلميذ واستاذ في ذات الوقت .

---

[1] متصوفة بغداد ص ٢٠٢ عن الخطيب البغدادي ج ١٤

[2] متصوفة بغداد ص ٢٠٢ عن دراسات في التصوف الإسلامي د . مُحَمَّد جلال

[3] التعرف لمذهب أهل التصوف

التصوف عند الشبلي :

ركز الشبلي في تعريفه للتصوف على الأخلاقيات والأحوال النفسية والقلبية ، مما يدلل على الأهمية الكبيرة للمفاهيم والمبادئ الأخلاقية في منهج التصوف .

وقد جسّدَ الشبلي هذه المفاهيم التي آلت به من (الغنى) الدنيوي الى (الفقر) قال عن التصوف : هو ترويح القلوب ، وتجليل الخواطر بأردية الوفاء والتخلق بالسخاء والبِشْرِ في اللقاء . [١]

ويرى ﷺ ان التصوف : ضبط حواسك ، ومراعاة أنفاسك [٢]

وبنفس النظرة للأشياء من خلال النظام الاجتماعي وبناؤه يقول في التصوف : التصوف هو التآلف والتعاطف [٣]

انها النزعة عن التحرر من كل ما سوى الله تعالى ، يقول الشبلي :

التصوف هو الجلوس مع الله بلا هم [٤]

وكان ﷺ يقول عن التصوف : لا حال يقلّ ، ولا سماء يظلّ [٥]

قاصداً بذلك ان المتصوفة لا يثبتون على حال ، بل يسعون دوماً الى التقدم في محبتهم لله سبحانه ، والترقي في الزهد والتعبد ، والبحث الذي لا يفتر عن تحصيل رضا المحبوب .

ثم اليس الشبلي ﷺ من يقول :

(ليس يخطر الكون ببالي ، وكيف يخطر الكون ببال من عرف المكوِّن ؟)

كان منهجه ﷺ الزهد في كل ما سوى الله وتفريغ القلب إلا من محبته سبحانه

---

[١] متصوفة بغداد ص ٢٠٣

[٢] الطبقات للسلمي ص ١١٥

[٣] الطبقات للسلمي ص ١١٦

[٤] الرسالة القشيرية

[٥] فرسان العشق الإلهي ص ٤٩

وتعالى ، ولذلك يقول في تسمية المتصوفين بهذا الاسم :

انما سميت الصوفية صوفية لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولاها ما تعلقت بهم تسمية .

ويرى الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى :

(ان الشبلي يريد ان يقول إن الاتجاه الى الله والقرب منه سبحانه (وهذا هو التصوف) يقتضي ان يتجرد الانسان من النزعات والشهوات والنفس الأمارة بالسوء ، وان تذوب شخصيته في جو الأخلاق الربانية ، وتمحى ارادته في ارادة الله ، وان يكون هواه تبعاً للشريعة .

يقول رسول الله ﷺ :

لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به

وما من شك في انه لا يؤمن الانسان حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .

ولقد قال سيدنا عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ :

والله لأنت يا رسول الله أحب اليَّ من كل شيء الا نفسي .

فقال : لا والذي نفسي بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك ، فقال عمر : فأنت الآن أحب اليَّ من نفسي ، فقال : الآن يا عمر .

وقول رسول الله ﷺ : الان يا عمر .

اي ان الأمر الآن قد استقام وبلغ الايمان غايته .

وكل هذا معناه ان الانسان المتمسك بفرديته الشخصية وبشريته ، لا يكون سائراً في جو القرب من الله سبحانه)[1]

تصوف الشبلي ... والشريعة :

التصوف يقوم على الشريعة يأخذ منها ويتحدد بثوابتها .

---

[1] تاج الصوفية ص ١٧ – ١٨

ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى: علمنا هذا مشيد بالكتاب، والسنة

ويقول ابن خلدون : إن أصل التصوف ((العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه وانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامة في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية)) [١]

وحينما يفهم أحد شيوخ المتصوفين مثل رُويم بن أحمد[٢] أن ((التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد))[٣] ...

وماذا يريد الله تعالى لعباده سوى خير الدنيا والآخرة ..وماذا يريد الله لهم غير الاسلام ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ))[٤] ، ((وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً))[٥]

وبهذا الفهم للتصوف فانه يكون شكلاً من اشكال الشريعة الاسلامية بل وشكلها الأقرب للقلوب والأرواح .

والشبلي لم يخرج على هذا التوجه في الالتصاق بالشريعة والعمل ضمن اطارها .

يقول المؤرخون عن الشبلي :

(كان يبالغ بتعظيم الشرع المطهر)

وكان اذا دخل شهر رمضان المبارك جدَّ في الطاعات ، ويقول :

---

[١] المقدمة ٨٤٢

[٢] روَيم بن احمد بن يزيد البغدادي ، ابو مُحَمَّد المقرئ ولد في بغداد وهو من كبار مشايخها ، كان فقيهاً على مذهب داود الأصبهاني ، وكان مقرئاً ، توفي سنة ٣٠٣ هجرية ينظر طبقات الصوفية ص١٨٩

[٣] عوارف المعارف ص ٣٩

[٤] سورة ال عمران ١٩

[٥] سورة المائدة ٣

(هذا شهر عظمه ربي ، فأنا اقوم بتعظيمه) [1]

وكان الشبلي يقول :

كل صديق لا يكون له معجزة فهو كذاب

فلما دخل دار العلاج ، دخل الوزير عليه فقال : أين قولك :

كل صديق يلا معجزة فهو كذاب ، فأين معجزتك أنت ؟

فقال : موافقة الله في أوامره ونواهيه .

وهذا حال المتصوفين أو ما يسعون ليكونوا عليه .

وروي عن الحسين الصفار قال : سُئل الشبلي – وانا حاضر – أي شيء أعجب ؟

قال : قلب عرف ربه ثم عصاه .

ولما سُئل الشبلي عن كمال العقل ، وكمال المعرفة قال :

اذا كنت قائماً بما أُمرت تاركاً لتكلف ما كُفيت ، فأنت كامل العقل .

واذا كنت بالله متعلقاً لا بأعمالك ، غير ناظر الى سواه ، فأنت كامل المعرفة .

وكان ﷺ يقول :

ذكر الله على الصفاء ، يُنسي مرارة البلاء .

وحين سُئل يوماً عن الصاحب الذي يصطفيه فقال :

ألهجهم بذكر الله ، وأسرعهم مبادرة لرضاه .

السكر بالمحبة :

كان الشبلي يطالب الناس دوماً بأن يبحثوا عما يأخذهم بعيداً عن الدنيا ومفاتنها ، فهو يقول :

(ما أحوج الناس الى سكرة)

فقيل له : أي سكرة ؟

---

[1] تاج الصوفية ص ٤٦

فقال : (سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم ، وأفعالهم ، وأحوالهم ، والأكوان وما فيها) وأنشأ يقول :

وتحسبني حياً وإني لميت وبعضي من الهجران يبكي على بعضي [1]

وقال ليلقي الضوء على قصده :

(ليس يخطر الكون ببالي ، وكيف يخطر الكون ببال من عرف المكوِّن)

وكان الشبلي ينظر الى الناس اللاهين في الحياة ، والساعين الى مزيد من القوة والتمكن في العاجلة ، ويقول :

(مساكين هؤلاء المماليك ، نظروا بعيونهم الى الملكوت المخلوق ، ورضوا بالجنان المخلوقة ، فبقوا معها خالدين فيها ، وأما الملوك فلم ينظروا بها ، فنظروا بقلوبهم الى مالك الملوك ، فبقوا معه في مقعد صدق عند مليك مقتدر)

وتتوضح نظرة الشبلي الى التعلق الدائم الدائب بالذات الإلهية فيقول :

(طرفة عين في غفلة عن الله لأهل المعرفة شرك)

واهل المعرفة هم الذين توغلوا في طريق الله ، فحصلوا على الإلهام ما لم يؤت لغيرهم ، فترتب عليهم ما لم يترتب على الذين لم يذوقوا ولم يعرفوا .

كان الشبلي منادياً بالمحبة التي رأى فيها (صراط الأولياء) وهي عنده (اتباع اوامر المحبوب ، وتجنب نواهيه ، والفراغ للحبيب ، وترك الاعتراض على الرقيب ، وهي كأس لها وهج ، أن استقرت في الحواس قتلت ، وان سكنت في النفوس أسكرت ، فهي سكر في الظاهر ، ومحبة في الباطن ... المحبة الكاملة ان تحبه من قبله)

كانت اقامة الشبلي في حال السكر قوية ، معلومة ، فكانت مناجاته لله تعالى تستولي على فكره وجوارحه ، وتبعده عن الانتباه الى حاجات نفسه ، فصار السكر حالاً له ومقاماً وربما استغرقه طويلاً .

---

[1] متصوفة بغداد ص ٢٠٢

قال عنه الجنيد يوماً : (الشبلي سكران ، ولو أفاق من سكره لجاء منه إمام يُنتَفَع به)

لقد عاس الشبلي حال السكر ، في المحو والصحو فلم يعرف الانتهاء من حال ، والدخول في الحالات الاعتيادية لأنه وضع نفسه في موضع الاستسلام لفناءه بالله ، فكان سكره وصحوه متكاملين بحقيقة واحدة ، هي حقيقة الانجذاب الى الله ، والى انوار قدسه .

قال عن كرامته حينما طُلب منه الدليل : إن تعرّض خاطري في حال صحوي ، على خاطري في حال سكري ، فلا يخرجان عن موافقة الله تعالى .وفي هذا الجدل الصوفي ، استلهم الشبلي العلاقة الصميمية بين الوصل والهجر في اطار المحبة والتفاني .

فالسكر هو طريق الصوفي الى المعرفة بالله ، والانتساب الى اللاهوتية ، وهو زاد رحلة الوجد الكبرى التي تستغرق عمر الصوفي .

ويطمح السكران الصوفي لتحقيق الوصل ، الوصل الذي يعطي للصوفي حقيقة تصوفه وغايته .

قال ابو مُحَمَّد الحربي : سمعت الشبلي كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين :

والهجر لو سكن الجنان تحولت نِعَمُ الجنان على العبيد جحيما

والوصل لو سكن الجحيم تحولت حرَّ السعير على العباد نعيما [1]

(قال احمد بن مجمد بن مقسم : سمعت ابا بكر الشبلي يقول :

نظرت في ذل كل ذي ذل فزاد ذلي عليهم ، ونظرت في عز كل ذي عز فزاد عزي عليهم ، فإذا عزهم ذل في عزّي ، وتلا في أثره :

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ [2]

---

[1] حلية الأولياء ١٠ / ٣٦٧

[2] فاطر / ١٠

وكان يقول :

من اعتز بذي العزِّ فذي العز له عزُّ [1]

لقد نظر الشبلي الى محبوبه ، ففقد شعوره ، إلا من وعيه بالمحبوب .

ولقد بهره نور المحبوب ، وغمره بلا حدود ، فكان وجوده مرتهناً بهذا النور السرمدي .

وفي هذا الحب العاصف ، تاه عقل الشبلي ، وقال فيه :

والله ما أعطيت فيه الرشوة قط ، ولا رضيت بسواه ، ولقد تاه عقلي فيه) [2]

لقد قضّى الشبلي عمره ينادي بالمحبة التي رآها (صراط الأولياء) وهي عنده (اتباع اوامر المحبوب ، وتجنب نواهيه .. والفراغ للحبيب ، وترك الاعتراض على الرقيب .. وهي كأس لها وهج ، ان استقرت في الحواس قتلت ،وان سكنت في النفوس اسكرت ، فهي سكر في الظاهر ومحبة في الباطن ... المحبة الكاملة ان تحبه من قبله)

وكان شرط المحبة الأساسي لديه هي الهمّة ، ولذا ردد دوماً (من ملّت همته ، ضعفت محبته)

قالوا .. عن الشبلي :

استفاض الكثيرون في الثناء عليه خصوصاً أصحاب الطبقات .

يقول عنه صاحب الكواكب الدرية :

(إمام اشتهر شرفه ، وسمت في جنان المعرفة غرفه ، وأضاء كوكب زهده وديانته ، ونما فرع ورعه وصيانته .

ويقول ايضاً (صار أوحد وقته علماً وحالاً) [3]

---

[1] حلية الأولياء ١٠ / ٣٦٧

[2] متصوفة بغداد ص ٢١٠

[3] تاج الصوفية ص ١٠٩

ويقول عنه العروسي في (حاشية الرسالة القشيرية) :

(فكان لا نظير له في مجاهداته ومعاملاته لربه ، وفي كياسته وحذقه وذكاء قريحته ، وتنبيهه على مكملات الرجوع الى الحق باستحلال الخلق ، وان تحقق الخلو من حقوقهم اتهاماً للنفس بالذهول والتقصير)

ويقول عنه الإمام الشعراني :

صار أوحد أهل الوقت علماً وحالاً وظرفاً [1]

ولقد مشى الشبلي يوماً الى ان جاء الى مسجد ابي بكر بن مجاهد . فدخل على ابي بكر ، فقام اليه ابو بكر فتحدث اصحاب ابن مجاهد بحديثهما ،وقالوا لأبي بكر : انت لم تقم لعلي بن عيسى الوزير ، وتقوم للشبلي ؟

فقال أبو بكر : الا اقوم لمن يعظّمه رسول الله ﷺ ... رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي :

يا ابا بكر اذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة ، فاذا جاءك فأكرمه .

قال ابن مجاهد فلما كان بعد ذلك بثلاثين او أكثر ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي :

يا ابا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلاً من أهل الجنة .

فقلت : يا رسول الله بما استحق الشبلي هذا منك ؟

فقال :هذا رجل يصلي كل يوم خمس صلوات ، يذكرني في إثر كل صلاة ، ويقرأ :﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [2] ... أفلا أكرم من يفعل هذا ؟

---

[1] الطبقات الكبرى ص ١٥١

[2] التوبة / ١٢٨

وفاته :

وفي ليلة وفاته أخذ الشبلي يذكر تارة ، وتارة يردد هذين البيتين :

كل بيت أنت ساكنه غير محتاج الى السرج

وجهك المأمول حجتنا يوم تأتي الناس بالحجج

وتوفي الشبلي ﷺ في ذي الحجة ، سنة ٣٣٤ هـ ، ودفن ببغداد في مقبرة الإمام الأعظم ، عن عمر يقارب السبع والثمانين سنة [١]

رحم الله الشبلي الذي عاش عالماً زاهداً تقياً ملتزماً بالشرع هائماً في عوالم العشق الرباني محباً للخالق العظيم جلَّ شأنه وعظمت قدرته .

[١] الطبقات للسلمي ص ١١٥

حرف الذال

ذ

ثوبان بن ابراهيم

ابو الفيض ذو النون المصري

١٧٩ هـ / ٧٩٦ م – ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م

اسمه : ثوبان بن إبراهيم ، كنيته (أبو الفيض) ولقبه الذي اشتُهر به (ذو النون) أحد علماء المسلمين في القرن الثالث الهجري ومن المحدثين الفقهاء والمتصوفين الذين ذاع عنهم زهدهم وإجابة دعائهم .

يقول عنه صاحب الكواكب الدرية :

(العارف الناطق بالحقائق، الفاتق للطرائق، ذو العبارات الوثيقة، والإشارات الدقيقة، والصفات الكاملة، والنفس العالمة العاملة، والهمم الجلية، والطريقة المرضية، والمحاسن الجزيلة المتبعة، والأفعال والأقوال التي لا تخشى منها تبعة، زهت به مصر وديارها، وأشرق بنوره ليلها ونهارها)[١]

عالم علم زاهد ، أصله من النوبة ، ثم نزل إخميم [٢] ، ثم ارتحل عنها الى مصر فسكنها ، ومات فيها رحمه الله تعالى .

ولد سنة ٧٩٦ م وتوفي في الجيزة سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ ميلادية) ، ويقدر أن عمره عندها كان تسعين سنة. روى الحديث عن مالك بن أنس والليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة. من أقطاب المتصوفين ويعد في منزلة الجنيد البغدادي وأبو يزيد البسطامي، وينسب إليه أنه أول من تناول ترتيب المقامات والأحوال، ويعده الصوفيون من مؤسسي طريقتهم .

درس على علماء عديدين وسافر إلى سورية والحجاز. كما عد وليّ الأطباء في بدايات العصر الإسلامي في مصر.

قال بأن للشريعة ظاهراً وباطناً، وتكلم عن العلم اللدني و ينسب إليه "إرجاع

---

[١] الكواكب الدية، ج ١، ص ٢٢٣

[٢] إخميم : بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد . معجم البلدان

أصل الخلق إلى النور المحمدي"، فيذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي و أنه أول من وضع تعريفات للوجد والسماع .

اتهمه معاصروه بالزندقة وحاولوا الإيقاع بينه وبين الخليفة المتوكل واصفيه بأنه "أحدث علماً لم تتكلم به الصحابة"، فاستجلبه المتوكل إليه في بغداد سنة ٨٢٩م ، ويقال أنه لما دخل عليه وعظه فبكى، فردّه إلى مصر مكرّماً .

روي عن عمر بن سنان المنبجي انه قال :

لما أقبل ذو النون منبج استقبله الناس فخرجت فيهم وأنا صبي، فوقفت على القنطرة، فلما رأيته اقبل، وحوله قوم من الصوفية، وعليهم المرقعات. ازدريته. فنظر إلى شزرا، وقال: "يا غلام ، إن القلوب إذا بعدت عن الله مقتت القائمين بأمر الله ".

فأرعدت مكاني، فنظر إلى ورحمني ، وقال :

" لن تراعَ ياغلام، رزقك الله علم الرواية، وألهمك علم الدراية والرعاية [١]

توبته رحمه الله :

قال يوسف بن الحسين الرازي : حضرت ذا النون ، فقيل له : يا أبا الفيض ، ما كان سبب توبتك ؟

قال : نمت في الصحراء ، ففتحت عيني فإذا قنبرة عمياء سقطت من وكر ، فانشقت الأرض ، فخرج منها سكرجتان [٢] ذهب وفضة ، في إحداهما سمسم ، وفي الأخرى ماء ، فأكلت وشربت . فقلت : حسبي ، فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلني .[٣]

---

[١] تاريخ دمشق ٢٤/٥٤٤

[٢] سكرجتان : مثنى والواحدة منها سكرجة (بضم السين) وهي الصحفة التي يوضع فيها الطعام

[٣] سير اعلام النبلاء ٥٣٣ – ٥٣٤ والرسالة القشيرية ص ٤٦

وتلك القصة قد تكون رمزية تحمل دلالات تشير الى عناية الله تعالى بمخلوقاته ورحمته بهم ، وقد تكون قصة واقعية تعبر عن أحداث وقعت ، ولله تعالى عجائب في الكون تظهر لذوي البصيرة ، لا يعدها عد ، ولا يحدها حد ، والقصة ليست بالمستحيلة .

وتورد مصادر تاريخية وكتب التراجم والسير سبب آخر ودافع آخر وراء توبة الشيخ ، فحين سُئل ﷺ عن سبب توبته حين قيل له :يا شيخ : ما كان بدء شأنك ؟

قال : (كنت شاباً صاحب لعب ولهو)

وهو هنا يقصد كما ذهب اليه الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود انه كان يعيش الحياة العادية للشبان لا يعبأون بوقت يمر لا يشغلونه بما يفيد ، ولا تعني الكلمة انه كان عاصياً سيء الأخلاق ، لأنه كان يقول بعد ذلك :[1]

(وخرجت حاجاً الى بيت الله الحرام ومعي بضيعة في المركب مع تجار من مصر)

وهذه الكلمة الأخيرة قد ترشد الى انه اشتغل في شبابه بالتجارة .

ويبدو ان ذهابه الى الحج كان الأساس في اتجاهه الى الله .[2]

وهناك احتمال ثالث تحدثت عنه كتب السير ويورده صاحب كتاب (الكواكب الدرية) عن ذي النون :

انه سمع يوماً صوت لهو ودفاف .

فقال : ما هذا ؟ قيل : عرس .

وسمع بجانبه بكاء وصياح .

فقال : ما هذا ؟ فقيل : مات فلان .

فقال : أُعطي هؤلاء فما شكروا ، وابتلى هؤلاء فما صبروا

---

[1] العالم العابد ذو النون ص ١٨ – ١٩

[2] العالم العابد ذو النون ص ٢٠

وأقسم ان لا يبيت في البلد ، فخرج فوراً الى مصر فقطنها .[1]

وهذه في الواقع قصة عادية تحدث كل يوم .. ويمر بها الناس فلا تثير في نفوسهم شيئاً .

ومع ذلك فإنها عبرة للذين هيأ الله نفوسهم للتأمل في عِبَرِ الحياة حينما تمر بهم ، والحياة مليئة بالعبر ، ولكن لا يعتبر بها إلا من اراد له الله الهدى ومدَّه بالحكمة.

لقد هيأ الله نفس ذي النون في تلك اللحظة ، فأثرت فيه عبرة الحياة ، فكانت الهداية .

وهذه الاحتمالات على تعددها لا تدعوا الى الغرابة ، فقد تؤثر مجموعة عوامل وتقود لفعل واحد او حالة واحدة .

فكان لكل هذه الأحداث تأثير بهذا القدر او ذاك في نفس الشيخ ذي النون وقادته بالتالي الى الهداية .

ثم ان كل هذه الاحتمالات لا تنفي رابعاً له قيمته الكبرى بنظرنا ، وذلك ان صاحب الحلية يقول : وكان شيخه شقران .[2]

فهل كان شقران اساس هدايته ؟

وهل تلقفه قبل ان تتحول به الحياة من طريق الى طريق ؟

فكان الموجّه له ، والمرشد بعد ان ذهب الى الحج ؟

أم تلقفه وهو في حيرة يتحسس الطريق حتى يسير آمناً مطمئناً ؟

وكل هذه الاحتمالات ممكنة .

ولعلها جميعاً تظافرت فأخرجت لنا ذا النون المصري رضوان الله عليه .

وربما لا تكون اسباب التوبة مهمة بقدر أهمية صدق التوبة وصِدقِ العبد فيما بعدها ، لأن الطريق الى الله تعالى يبدأ بالتوبة .

---

[1] الكواكب الدرية ص ٥٩٨

[2] العالم العابد ذو النون ص ٢٣

محنته :

قال السلمي في " محن الصوفية " :

ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال ، ومقامات الأولياء ، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم ، وهجره علماء مصر . وشاع أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف ، وهجروه حتى رموه بالزندقة . فقال أخوه : إنهم يقولون : إنك زنديق . فقال :

وما لي سوى الإطراق والصمت حيلة ووضعي كفي تحت خدي وتذكاري

وقال مُحَمَّد بن الفرخي :

كنت مع ذي النون في زورق ، فمر بنا زورق آخر ، فقيل لذي النون : إن هؤلاء يمرّون إلى السلطان ، يشهدون عليك بالكفر . فقال : اللهم إن كانوا كاذبين ، فغرّقهم ، فانقلب الزورق ، وغرقوا . فقلت له : فما بال الملاح ؟ قال: لم حملهم وهو يعلم قصدهم ؟ ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهود زور ، ثم انتفض وتغير ، وقال : وعزتك لا أدعو على أحد بعدها.[1]

يقول صاحب الكواكب الدرية :

(ولما تكلم بعلوم لدنّيّة لا علم لأهل مصر بها ، وَشوا به الى الخليفة بغداد ، فحُمِل في جماعة ، مغلولاً مقيداً ، فقُدِّمَ للقتل ، فكلّم الخليفة فأعجبه ، فأطلقه ورفقته ، وقال :

إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم) [2]

وكان الشيخ ذو النون يقول وهو وفي يده الغلّ وفي قدميه القيد يعلن :

هذا من مواهب الله ومن عطاياه ، وكل فِعاله عذب حسن طيب .

---

[1] سير اعلام النبلاء ٥٣٤/١١

[2] الكواكب الدرية ص ٣١

ثم أنشد :

لك من قلبي المكان المصون كل لوم علي فيك يهـــون

لك عزم بأن أكون قتيلا فيك والصبر عنك ما لا يكون [1]

ويقص ذو النون بعض اخباره في هذه المحنة فيقول :

(لما حُمِلتُ من مصر في الحديد الى بغداد لقيتني امرأة مزمنة ، فقالت :

اذا دخلت على المتوكل فلا تَهَبْهُ ، ولا تَرَ انه فوقك ، ولا تحتجَّ لنفسك مُحقاً كنت او متهماً .

لأنك ان هبته سلطه الله عليك ، وان حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالاً ، لأنك باهتَّ الله فيما يعلمه ، وان كنت بريئاً فادعُ الله تعالى ان ينتصر لك ، ولا تنتصر لنفسك فَيَكِلكَ اليها .

فقلت لها : سمعاً وطاعة .

فلما دخلت على المتوكل سلمت عليه بالخلافة .

فقال لي : ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة ؟

فسكَتُّ .

فقال وزيره : هو حقيقٌ عندي بما قيل فيه .

ثم قال لي : لم لا تتكلم ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان قلت لا كَذَّبتُ المسلمين ، وان قلتُ نعم كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه إلا الله مني ، فافعل انت ما ترى فإني غير منتصر لنفسي.

فقال المتوكل : هو رجل بريء مما قيل فيه .

فخرجت الى العجوز فقلت لها :

جزاك الله عني خيراً ، فعلتُ ما أمرتني به ، فمن اين لكِ هذا .

---

[1] وفيات الأعيان ٣١٦/١

فقالت : من حيث خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام .

تريد بذلك ما قال الهدهد : ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [1]

وتريد قول الهدهد :﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [2]

بيد ان قصة هذه المحنة انتهت الى كثير من الخير ،

وقد أوردت كتب السير والطبقات الكثير عما عاد من الخير على الشيخ ذي النون بعد محنته التي ابتلاه الله بها .

ومما أورده ابو نعيم في الحلية عن ابراهيم بن يحيى اليزيدي :

قال : لما حُمِلَ ذو النون بن ابراهيم الى جعفر المتوكل أنزله في بعض دوره وأوصى به زرافة . وقال : اذا انا رجعت من ركوبي فأخرج اليَّ هذا الرجل .

فقال له زرافة :

إن أمير المؤمنين أوصاني بك.

فلما رجع من الغد، قال له: فلما خرج إليه قال له: سلم على أمير المؤمنين.

فقال ذو النون:

ليس هكذا جاء الخبر.. إنما جاء في الخبر أن الراكب يسلم على الراجل .

فتبسم أمير المؤمنين وبدأه بالسلام، فلما نزل قال له:

– أنت زاهد أهل مصر؟

– قال: كذا يقولون .

فقال هل زرافة: إن أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام الزهاد، فأطرق مليًا ثم قال : يا أمير المؤمنين إن لله عبادًا عبدوه بخالص من السر، فشرفهم بخالص من شكره، فهم الذين تمر صحفهم من الملائكة فرغي، حتى إذا صارت إليه ملأها

---

[1] النمل / ٢٢

[2] النمل / ٢٢

لهم من سر ما أسروا إليه.

أبدانهم دنيوية، وقلوبهم سماوية، قد احتوت قلوبهم من المعرفة حتى كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الفرج وأطباق السموات، لم يخبوا في ربيع الباطل، ولم يرتعوا في مصيف الآثام، ونزهوا الله ان يراهم يتواثبون على حبائل المكر: هيبة منهم له، وإجلالًا أن يراهم يبيعون أخلاقهم بشيء لا يدوم، وبكثرة من العيش مزهودة، فأولئك الذين أجلسهم على كراسي أهل المعرفة بالأدواء، والنظر في منابت الداء، فقال لهم:

إن أتاكم عليل من فقدى فداووه، أو مريض من ذكرى فأدنوه، أو ناسٍ لنعمتى فذكّروه، أو من برز لي بالمعاصي فنابذوه، أو محب لي فواصلوه، يا أوليائي، فيكم عاتبت، ولكم خاطبت، ومنكم الوفاء طلبت، ولا أحب استخدام الجبارين، ولا تولى المتكبرين، ولا مصافاة المترفين.. يا أوليائي وأحبائي، جزائي لكم أفضل الجزاء، وإعطائي لكم أفضل العطاء، وبذلي لكم أفضل البذل، وفضلى عليكم أوفر الفضل، ومعاملتي لكم في المعاملة، ومطالبتي لكم أشد المطالبة، أنا مقدس القلوب، وأنا علام الغيوب، وأنا أعلم بمجال الفكر ووساوس الصدور، من أرادكم بسوء قصمته، ومن عاداكم أهلكته .

ثم قال ذو النون:

وردت قلوبهم على بحر محبته، فاغترفت منه ريًا من الشراب.. فسهل عليها كل عارض لها دون لقاء المحبوب، قد سكنت لهم النفوس، ورضوا بالفقر والبؤس، وأطمأنت جوارحهم على الدؤوب على طاعة الله بالحركات، وظعنت انفسهم عن المطاعم والشهوات، فتوالوا بالفكرة، وأعتقدوا الصبر، وأخذوا بالرضا، ولهوا عن الدنيا، وأقروا العبودية للملك الديان، ورضوا به دون كل قريب وحبيب، فخشعوا لهيبته، وأقروا له بالتقصير، وأذعنوا له بالطاعة ولم يبالوا بالقلة. إذا دخلوا فأهل تقي، وإذا عوملوا فإخوان حياء، وإذا تكلموا فحكماء، وإذا سئلوا

فعلماء، وإذا جهل عليهم فحلماء، فلو رأيتهم لقلت: عذارى في الخدور، قد تحركت لهم المحبة في الصدور، بحسن تلك الصور التي قد علاها النور، وإذا كشفت عن القلوب رأيت قلوبًا لينة منكسرة وبالذكر نائرة وبمحادثة المحبوب عامرة، لا يشغلون قلوبهم بغيره، ولا يميلون إلى ما دونه، قد ملأت محبة الله صدورهم فليس يجدون لقرب المخلوقين شهوة، ولا بغير الأنس بمحادثة الله. لذا، أخوان صدق، وأصحاب حياء ووقار، وتقى وورع، وإيمان ومعرفة ودين، فاستقبلوا الوفاء بالصبر على لزوم الحق، واستعانوا بالحق على الباطل، فأوضح لهم الحجة، ودلهم على المحجة، فرفضوا طريق المهالك، وسلكوا خير المسالك، أولئك هم الأوتاد الذين لهم توهب المواهب، وبهم تفتح الأبواب، وبهم ينشأ السحاب، وبهم يدفع العقاب والعذاب، وبهم يسقى العباد والبلاد.. فرحمة الله علينا وعليهم .[1]

فلما سمع كلامه ، ولع به وأحبه . وكان يقول : إذا ذكر الصالحون ، فحي هلا بذي النون [2]

وعن عمرو بن السرح : قلت لذي النون : كيف خلصت من المتوكل ، وقد أمر بقتلك ؟ قال : لما أوصلني الغلام ، قلت في نفسي : يا من ليس في البحار قطرات ، ولا في ديلج الرياح ديلجات ، ولا في الأرض خبيئات ، ولا في القلوب خطرات ، إلا وهي عليك دليلات ، ولك شاهدات ، وبربوبيتك معترفات ، وفي قدرتك متحيرات ، فبالقدرة التي تحير بها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَّد ، وأخذت قلبه عني ، فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني ، ثم قال : أتعبناك يا أبا الفيض .

---

[1] حلية الأولياء ٩/٣٣٧ – ٣٣٨

[2] سير اعلام النبلاء ١١/٥٣٥

وقال يوسف بن الحسين : حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل ، وكان مولعا به ، يفضله على الزهاد ، فقال : صف لي أولياء الله .

قال : يا أمير المؤمنين ، هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته ، وجللهم بالبهاء من إرادة كرامته ، ووضع على مفارقهم تيجان مسرته . فذكر كلاما طويلا .[1]

روى عن :

مالك ، والليث ، وابن لهيعة ، وفضيل بن عياض ، وسلم الخواص ، وسفيان بن عيينة ، وطائفة .

وروى عنه :

أحمد بن صبيح الفيومي ، وربيعة بن مُحَمَّد الطائي ، ورضوان بن محيميد ، وحسن بن مصعب ، والجنيد بن مُحَمَّد الزاهد ، ومقدام بن داود الرعيني ، وآخرون .[2]

من اقواله :

(قال ذو النون ﷺ :

إلهي لو أصبتُ موئلاً في الشدائد غيرك ، أو ملجأ في النوازل سواك ، لحقَّ لي أن لا أعرض بوجهي عنك ، ولا أختاره عليك لقديم احسانك عليَّ وحديثه ، وظاهر منتك عليَّ وباطنها ، ولو تقطعتُ في البلاء إرباً إربا ، او انصبّت علي الشدائد صبّاً صبّا ، ولا أجد مشتكى لبثّي غيرك ولا مفرجاً لما بي سواك ، فيا وارث الأرض ومن عليها ، ويا باعث جميع من فيها ورِّث أملي فيك مني أملي وبلّغ همتي فيك منتهى وسائلي .

وقال : من لم يعرف قدر النعم سُلِبها من حيث لا يعلم .

---

[1] سير اعلام النبلاء ٥٣٦/١١

[2] سير اعلام النبلاء ٥٣٣/١١

وقال ﷺ :

سقم الجسد في الأوجاع ، وسقم القلوب في الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب .)[1]

(وحين سُئل : ما أخفى الحجاب وأشدَّه ؟ قال :رؤية النفس وتدبيها .

وقال : من اراد التواضع فليوجِّه نفسه الى عظمة الله ، فإنها تذوب تذوب وتصفو ، ومن نظر الى سلطان الله ذَهَبَ سلطان نفسه ، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته .

وقال : لئن مددتُ يدي اليك داعياً ، فلطالما كفيتني ساهياً ، أأقطعُ منك رجاي ، بما عَمِلت يداي ؟ حسبي من سؤالي علمك بحالي .

مَن أنِسَ بالخلق فقد استمكن من بساط الفراعنة ، ومن غُيِّبَ عن ملاحظة نفسه ، فقد استمكن من الإخلاص ، ومن كان حظه في الأشياء (هو) لا يبالي ما فاته ، مما هو دونه)[2]

(قال علي بن حاتم : سمعت ذا النون ، يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق .

وقال مُحَمَّد بن احمد السلمي سمعت ذا النون يقول :

احذر ان تنقطع عنه فتكون مخدوعاً ، قلت : فكيف ذلك ؟

قال : لأن المخدوع من ينظر الى عطاياه فينقطع عن النظر اليه بالنظر الى عطاياه .

ثم قال : : تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصدّيقون بولي الأسباب .

ثم قال : علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا ، ومن علامة تعلق قلب الصدّيق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به .

ثم قال : ليكن اعتمادك على الله عز وجل في الحال ، لا على الحال مع الله ،

---

[1] صفة الصفوة ص ٨٦٨

[2] طبقات الصوفية ص ٥٠ – ٥١

ثم قال : اعقل فإن هذا من صفة التوحيد)[1]

وقال يوسف بن الحسين : سمعت ذا النون ، يقول : مهما تصور في وهمك ، فالله بخلاف ذلك ، وسمعته يقول : الاستغفار جامع لمعان :

أولهما : الندم على ما مضى .

الثاني : العزم على الترك .

الثالث : أداء ما ضيعت من فرض لله .

الرابع : رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها .

الخامس : إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام .

السادس : إذاقة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية .

وقال :

(لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص مثل الوحدة ، لأنه اذا خلا لم ير غير الله ، فاذا لم ير غير الله لم يحركه الا حكم الله ، ومن احب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص .

وقال ﷺ :

ما طابت الدنيا الا بذكره ، ولا طابت الآخرة الا بعفوه ، ولا طابت الجنة الا برؤيته .

ومن اقواله رحمه الله تعالى حين سُئل عن الآفة التي يُخدع بها المريد عن الله عز وجل ؟

فقال : برؤية الكرامات .

قيل : فبم يُخدع قبل وصوله الى هذه الدرجة ؟

قال : بوطء الأعقاب وتعظيم الناس له .

ومنه قوله رحمه الله تعالى :

---

[1] صفة الصفوة ص ٨٦٩

من ذكر الله على حقيقة نسي في جنبه كل شيء ، ومن نسي في جنب الله كل شيء حفظ الله سبحانه وتعالى عليه كل شيء ، وكان له عوضاً من كل شيء ، وقال : أكثر الناس إشارة الى الله في كل شيء أبعدُهم من الله .

وقال : الهي ان كان صَغُرَ في جنب طاعتك عملي فقد كَبُرَ في جنب رجاءك أملي .

قال مُحَمَّد بن احمد بن سلمة : سمعت ذا النون وقد سألته عند الفراق ان يوصيني ، فقال :

لا يشغلنك عيوب الناس عن عيب نفسك ، لست عليهم برقيب . ثم قال : إن احب عباد الله الى الله عز وجل أعقلهم عنه ، وإنما يستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله بحسن استماعه للمحدث إن كان به عالماً ، وسرعة قبوله للحق وإن كان ممن هو دونه ، وإقراره على نفسه بالخطأ اذا جاء منه .)[1]

منهجه في التصوف :

(حين سُئل ﷺ عن الصوفي قال :

من اذا نَطقَ أبانَ نُطقه عن الحقائق ، وإن سكتَ نطقت عنه الجوارح بقَطْعِ العلائق)[2]

من يُطالع أقوال ذي النون في المعرفة اللدنية والمحبة الإلهية والفناء يدرك تمامًا أن الرجل ترك علامة قوية في تاريخ التصوف برمته ، حين طلع على الناس بكلام جديد لا عهد لهم به في المقامات والأحوال والكشف والظاهر والباطن ، فكانت له الريادة والسبق في هذا عن متصوفة مصر جميعاً .

وُينسب إلى ذي النون أنه كان أول من عرَّف التوحيد بمعناه الصوفي ، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع ، وأول من استخدم الرمز في التعبير عن حاله .

---

[1] صفة الصفوة ص ٨٦٨ -٨٦٩

[2] طبقات الصوفية ص ٥٠

وهام ذو النون عشَقاً في ربّه ، وعبَّر عن هذا شعًرا في نظمه:

اطلبــوا لأنفسكــم ... مثلما وجدت أنا

قد وجدت لي سكناً ... ليس في هواه عنا

إن بعدت قـرَّبـني ... أو قربت منه دنا

ويناجي ذو النون ربه أن يلهمه نور المعرفة وأسرار المحبة ، ويكشف عنه الحجب ؛ ليقترب منه أكثر، فها هو يقول :

(إلهي ، لا تترك بيني وبين أقصى مرادي حجابًا إلا هتكته ، ولا حاجًزا إلا رفعته ، ولا وعًرا إلا سهلته ، ولا باباً إلا فتحته ، حتى تقيم قلبي بين ضياء معرفتك، وتذيقني طعم محبتك ، وتبرد بالرضى منك فؤادي ، وجميع أحوالي، حتى لا أختار غير ما تختار هـ، وتجعل لي مقاًما بين مقامات أهل ولايتك ، ومضطرًبا فسيحاً في ميدان طاعتك)

وقد سُئل ذو النون ذات يوم : بم عرفت ربك ؟

فقال: (عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي)

وكانت المعرفة لديه هي يقين يناله الإنسان بثلاثة أمور ترتبط جميعها بالذات الإلهية :

النظر في الأمور كيف دبّرها ، وفي المقادير كيف قدرها ، وفي الخلائق كيف خلقها .

ومفتاح العبادة لدى ذي النون هو الفكرة ، وآية الوصول مخالفة النفس والهوى ، ومخالفتها في ترك الأماني ، وإن كل من داوم على التفكير يرى علم الروح في قلبه .

(ولذا كان ينصح دائماً كل من يسعى إليه بقوله : لا تصحب مع الله تعالى إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة .

وكان ذو النون مخلصاً ومتعمقاً في إخلاصه ، متحرياً للصدق في عبادته ، لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً ، متكتماً على احواله وأعماله .

وكان يقول ثلاث من علامات الإخلاص :

استواء الذم والمدح من العامة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ، وترك اقتضاء ثواب العمل في الآخرة.

ولم يكن الإخلاص لدى ذي النون منفصلا عن الخوف والمراقبة واليقين والتوكل والحياء والصدق والذكر، وكلها من مقامات المتصوفة وأحوالهم. فها هو يقول عن الأول :

الناس على الطريق، ما لم يُزل عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف، ضلوا عن الطريق .

وسئل ذات مرة : متى يتيسر على العبد سبيل الخوف ؟

فقال : إذا أنزل نفسه منزلة السقيم يحتمي من كل شيء مخافة طول السقام .

أما المراقبة فإن علامتها ودليل تحققها لديه هما :

إيثار ما آثر الله تعالى، وتعظيم ما عَظّم الله تعالى ، وتصغير ما صغر

وفيما يخص اليقين يرى ذو النون أن ثمة ثلاثة من أعلام اليقين :

قلة مخالطة الناس في العشرة ، وترك المدح في العطية ، والتنزه عن ذمهم عند المنع وثلاثة من أعلام يقين اليقين : النظر إلى الله تعالى في كل شيء ، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال .

أما التوكل فيعّرفه بأنه :

ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة ، وإنما يقوى العبد على التوكل ، إذا علم أن الله سبحانه وتعالى يعلم ويرى ما هو فيه)

ويرى ذو النون أن الحياء هو : وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى

ويؤمن بأن الصدق هو: سيف الله ، ما وضع على شيء إلا قطعه
وأخيراً كان يرى ان من ذكر الله ذكّرا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء) [1]

كان ذو النون أول صوفي في تاريخ الإسلام يتكلم في المعرفة على أساس علميّ منظم، بل اعتبر المعرفة بالله الغاية القصوى من الطريق الصوفي، يقول: "إنه بمقدار ما يعرف العبدُ من ربّه يكون إنكارُه لنفسه، وتمام المعرفة بالله تمام إنكار الذات"، والمقصود بمعرفة الله هنا؛ إدراك العبد أن الله الحق وحده هو الفاعل لكل شيء، المريد لكل شيء، القادر على كل شيء، وأن العبد لا فعل له ولا قدرة ولا إرادة، وهكذا تؤدي المعرفة بالله كما يفهمها ذو النون إلى تمام إنكار الذات، وهذا معنى الفناء الصوفي الذي تجلى عند أبي يزيد البسطامي فيما بعد.

وقد فصّل ذو النون القول في المعرفة وأنواعها ودرجاتها وطرق الوصول إليها على نحو لم يسبق إليه، فمعرفة وحدانية الله طريقها الكتاب والسنة، ومعرفة فردانيته وقدرته طريقها الكشف، ومعرفة اسم الله الأعظم هبة من الله يختص بها من يشاء من عباده.

وكان لذي النون المصري الفضل في تعميق فكرة "الباطن" كأحد السِمات الملازمة لمفهوم التصوف، فحين يتكلم عن التوبة، يذكر أنها نوعان؛ توبة العوام، وتوبة الخواص، وتوبة العوام عنده تكون من الذنوب، أما توبة الخواص تكون من الغفلة عن ذكر الله والتفكر في ملكوته .

كما كان ذو النون المصري صاحب مدرسة صوفية متنقلة، كثير الأسفار، طلبا للقاء إخوانه ومريديه للسماع منهم وإسماعهم، ويحكي عن نفسه حكايات كثيرة تدل على حبه للترحال والسياحة في أرض الله، فقد زار مكة والبصرة والشام وجبال القدس وسيناء وأنطاكية والعراق وغيرها، وأصبح له في كل مدينة وبلد

[1] انظر فرسان العشق ص ١٥٣ – ١٥٤

من هذه البلدان مريدين نهلوا منه، وتأثروا به، وكان ذو النون مغرمًا بحب الطبيعة، وهو في دعواته لله يتجلى هذا العشق للطبيعة وجمالها، وينصرف كلامها وشعره في معظمه إلى المحبة وأشواقها والحبيب والغيبة والوصال، كما أنه رائد التعريف بالألفاظ والمصطلحات الصوفية مثل الأُنس والوجد والسماع والتوبة والإخلاص والتقوى والورع والتوكل والغفلة وغيرها ...

أقوال العلماء فيه :

قال عنه الذهبي في ترجمته في كتاب سير اعلام النبلاء :

ذو النون الزاهد شيخ الديار المصرية .. هو من روى عن مالك والليث وابن لهيعة وفضيل بن عياض وسلم الخواص وسفيان بن عيينة .. وغيرهم [١]

(وكانت لذي النون مهارة في علم الكيمياء وصناعتها ، يقال انه تعلمها من الكيميائي العربي الشهير جابر بن حيان ، وبرع في فنون التنجيم وفك الطلاسم.

وكان من المنشغلين بحل رموز ورق البردي في إخميم ، التي كانت حافلة بالرسوم القبطية القديمة .

وقد تمكن بالفعل من حل كثير من رموزها ونقوشها ، فصارت معلومة للناس بعد جهل ، وواضحة بعد غموض) [٢]

وقال عنه الشيخ ابو نعيم الأصفهاني :

العلم المضي ، والحكم المرضي ، الناطق بالحقائق الفائق للطرائق ، له العبارات الوثيقة والاشارات الدقيقة ، نظر فعبّر وذكر فازدجر [٣]

---

[١] سير اعلام النبلاء ٥٣٣/١١

[٢] فرسان العشق الإلهي ص ١٥١

[٣] حلية الأولياء ٣٣١/٩

وقال عنه الشيخ القشيري :

فائق في هذا الشأن ، وأوحد وقته علماً ، وورعاً ، وحالاً ، وأدباً [1]

وقال الشيخ ابن الجلاء :

لقيت ستمائة شيخ ، ما لقيت فيهم مثل أربعة : أحدهم ذو النون [2]

(قال عنه ابن يونس :

كان عالماً فصيحاً حكيماً ، امتُحن وأُوذي لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه ، وكان اول من تكلم بمصر بترتيب الأحوال ، وفي مقامات الأولياء وفحول الرجال ، فقال جهلة المتفقهة فيه : هو زنديق .

وقال مسلمة بن قاسم : كان عالماً صالحاً ، زاهداً ورعاً ، مفتياً في العلوم ، واحداً في عصره) [3]

وفاته رحمه الله تعالى :

روى المنذري في تاريخه عن ابي مُحَمَّد بن رمان النضري قال :

لما مات ذو النون رأيت على جنازته طيوراً خُضراً ، فلا ادري أي شيء كان ، ومات عندنا بمصر [4]

ويقول الامام الشعراني في طبقاته :

منهم ابو الفيض ذو النون المصري ﷺ ، واسمه ثوبان بن ابراهيم ، وكان نوبياً توفي سنة خمس واربعين ومائتين .

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٤٥

[2] صفة الصفوة ص ٨٦٧

[3] الكواكب الدرية ص ٥٩٧

[4] سير اعلام النبلاء ٥٣٣/١١

ولما توفي ﷺ بالجيزة حُمل بقارب مخافة ان ينقطع الجسر من كثرة الناس في جنازته ، ورأى الناس طيوراً خضراء ترفرف على جنازته حتى وصلت الى قبره رضي الله عَنه .

ودفن في القرافة ، وقبره فيها ظاهر مقصود بالزيارة ، وعليه أُنس ومهابة .

وكلموه وهو في النزع فقال :

لا تشغلوني ، فقد عجبتُ من كثرة لطف الله بي [1]

[1] العالم العابد ذو النون ص ٤١

حرف الراء

ر

رويم بن أحمد بن يزيد
القاضي ابو مُحَمَّد

رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم بن يزيد ابو مُحَمَّد الصوفي المتوفي سنة ٣٠٣ هجرية ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري ، من أهل بغداد ومن جلّة مشايخهم ، كان عالما بالقرآن ومعانيه ، وكان فقهياً على مذهب داود بن علي الظاهري الأصبهاني

وكان مقرئاً فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد [١]

من أفاضل اهل بغداد عالم بالقران ومعانيه ومن علماء المتصوفين ، جمع بين العلم والعمل واتفق الكل على مشيخته وعلى تجرده ورياضته .

وضع كتاباً في تفسير القران الكريم على المذهب الظاهري (فهم القران على اساس المعنى الظاهر في كلماته وجُمَلِه وعدم البحث عن المعنى فيما وراء الكلمات او في باطنها او فيما وراء النص) .

يروى انه كان يتجول يوماً في بغداد فعطش وطلب الماء من أحد الدور ، فجاءه غلام بالماء فلما شرب قال الغلام متعجباً :

صوفيٌّ ويشرب الماء في النهار ؟

فوقعت الكلمة في قلب الشيخ رويم ، فما رؤي بعدها مفطراً أبداً .

عمله في القضاء :

(عندما تولى أبو اسحاق اسماعيل بن اسحاق الحمادي الأزدي قضاء بغداد وكانت بينه وبين رويم بن الصوفي صداقة ومودة ، أشار القاضي على رويم بأن يكون وكيلاً أي محامياً في مجلس القضاء إذ كان المحامي في العهد العباسي يسمى وكيلاً على ابواب القضاء تمييزاً له عن الوكيل العام .

---

[١] طبقات الصوفية ص ٥٨

وتروي المصادر ان رويم ترك مظاهر التصوف ومظاهر الزهد والتقشف ، فلبس أفخر الثياب وركب الحمير والبغال وبنى التي كان يقول بها كمتصوف .

لكن تذكر المصادر ان رويم بقي مخلصاً للتصوف بدأبه وأدبه وقوله وعمله) [1]

وتشير مصادر التاريخ الى اهتمام القضاء بالوكلاء وان هناك موازين وشروط تحدد اختيارهم ، وغالباً ما كانوا من الشيوخ والكهول الذين يتميزون بالستر والعفاف وعدم الخضوع للأهواء وان تكون لهم الحصانة بدينهم وأخلاقهم وتصرفاتهم .

وكان طبيعياً بعد ذلك ان يكون هناك تباعد او شبه قطيعة بين الكثير من اهل التصوف وبين رويم الذي تخلّى عن زهده وتقشفه .

عَنْ أَبِي عَمْرو الزجاجي. قَالَ: نهاني الجنيد أن أدخل على رويم .

فدخلت عَلَيْهِ يوما- وَكَانَ قد دخل فِي شيء من أمور السلطان- فدخل عَلَيْهِ الجنيد فرآني عنده .

فلما أن خرجنا ، قَالَ الجنيد : كيف رأيته يا خراساني ؟

قلت: لا أدري، قَالَ: إن الناس يتوهمون أن هذا نقصان فِي حاله وَوقته، وَما كَانَ رويم أعمر وَقتا منه فِي هذه الأيام، وَلقد كنت أصحبه الشونيزيه فِي حال الإرادة، وَكنت معه فِي خرقتين، وَهُوَ الساعة أشد فقرا منه فِي تلك الحالة، وَفِي تلك الأيام.

وَقَالَ السلمي: سَمِعْتُ منصور بْن عَبْد اللَّهِ يَقُولُ : سمعت أبا الْعَبَّاس بْن عطاء يقول: رويم أتم حالاً من أن تغيره تصاريف الأحوال [2]

وقال ابو عبد الله بن خفيف: " لما دخلت بغداد قصدت رُويماً ، وكان قد تولى

---

[1] انظر تصوف أهل بغداد ص ٣١٤

[2] تاريخ بغداد برقم ٤١٦٤٥

القضاء ، فلما دخلت عليه رحب بي وادناني، وقال لي: من اين انت ؟

قلت : من فارس

فقال : من صحبت ، قلت : جعفر الحذّاء .

فقال : ما يقول الصوفية فيَّ ، قلت : لا شيء

قال : بل يقولون : إنه رجع إلى الدنيا.

فبينما هو يحدثني إذ جاء طفل، فقعد في حجره، فقال :

لو كنت ارى فيهم – يعني الصوفية – من يكفيني مئونة هذا الطفل لما تعلقت بهذا الامر، ولا بشيء من اسباب الدنيا.

ولكن شُغْل قلبي بهذا اوقعني فيما انا فيه [1]

أقوال العلماء فيه :

(سمعت أبا نعيم الْحَافِظ ذكره فَقَالَ: يكنى أبا الْحَسَن من أفاضل البغداديّين، وكان عالما بالقرآن وَمعانيه

وسمعت جَعْفَر بْن أَحْمَد الرَّازِيّ يقول: كنية رويم أَبُو الْحُسَيْن، وَهُوَ من بني شيبان، وَهُوَ من أَهْل بَغْدَاد. أحد أئمة أَهْل زمانه، كَانَ عالما بالقراءات)[2]

(وقال عنه ابو عبد الرحمن السلمي :

، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري ، من أهل بغداد ومن جلّة مشايخهم ، كان عالما بالقرآن ومعانيه ، وكان فقهياً .

وقال عنه جعفر بن أحمد الرازي أنه : أحد أئمة أهل زمانه)[3]

---

[1] مناقب الأبرار ٣٧٢/١

[2] تاريخ بغداد برقم ٤١٦٤٥

[3] طبقات الصوفية ص ٥٨

وقال عنه الشيخ الذهبي :

الإمام الفقيه المقرئ الزاهد العابد [1]

وقال عنه ابو نعيم الأصفهاني :

الفطن المكين ، له البيان والتبيين ، والرأي المتين ، رويم بن احمد ابو الحسن الأمين ، كان بالقران عالماً ، وبالمعاني عارفاً وعلى الحقائق عاكفاً ، قلد بفصل الخطاب ولم تؤثر به العلل والأسباب [2]

من أقواله :

(الفقر له حرمة، وَحرمته ستره وَإخفاؤه، وَالغيرة عَلَيْهِ، وَالضن به، فمن كشفه وَأظهره وَبذله، فليس هو من أهله وَلا كرامة.

وعنه انه قال : منذ عشرين سنة لا يحظر بقلبي ذكر الطعام حَتَّى يحضر.

وَكَانَ رويم ﷺ يقول: السكون إِلَى الأحوال اغترار. وَكَانَ يقول: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين .

وسئل رويم عن مواجيد الصوفية عند السماع ، فقال :

يشهدون المعاني التي تعزُب عن غيرهم ، فتشير : إلى! إلى!، فيتنعمون بذلك الفرح، ثم يقع الحجابُ، فيعود ذلك الفرح بكاء؛ فمنهم من يُخَرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي، كل إنسان على قدره .[3]

وقال: إذا وهبك الله مقالا وفعالا؛ فأخذ منك المقال، وابقى عليك الفعال فلا تبال، فإنها نعمة. وإذا أخذ منك الفعال، وترك عليك المقال فَنح، فإنها مصيبة. وإن اخذ منك الفعال والمقال فأعلم انها نقمة.

وقال عن التوكل : التوكل إسقاط رؤية الوسائط، وَالتعلق بأعلى العلائق.

---

[1] سير اعلام النبلاء ٢٩١/١٠ برقم ٥٧٤

[2] حلية الأولياء ٢٩١/١٠

[3] حلية الأولياء ٢٩٢/١٠

وحين سئل رويم عَنِ المحبة قَالَ: الموافقة فِي جميع الأحوال وَأنشد:

وَلو قلت لي مت مت سمعا وَطاعة وَقلت لداعي الموت أهلا وَمرحبا

وَقَالَ: الأنس أن تستوحش مما سوى محبوبك.

والإخلاص ارتفاع رؤيتك عَنْ فعلك .

وَالفتوة أن تعذر إخوانك فِي زللهم، وَلا تعاملهم بما يحوجك إِلَى الاعتذار إليهم.

والصبر ترك الشكوى، وَالرضى استلذاذ البلوى، وَاليقين المشاهدة، وَالتوكل إسقاط رؤية الوسائط، وَالتعلق بأعلى الوثائق) [1]

ومن كلامه رحمه الله : من حكم الحكيم أنه يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة من اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع .

(وسُئل عن الفقر فقال : اخذ الشيء من جهته ، واختيار القليل على الكثير عند الحاجة .

قعودك مع كل طبقة أسلم من قعودك مع الصوفية ، فإن كل الخلق قعدوا مع على الرسوم ، وهذه الطائفة قعدت على الحقائق .

وطالب الخلق كلهم بظواهر الشرع ، وطالبوا هم انفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق .

فمن قعد معهم ، وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه ، نزع الله نور الإيمان من قلبه .

وقال : لما عظمت فيهم البلية استحكمت عليهم الفتنة ، واستصغروا عند ذلك كل مقام ، وعزب عنهم التدبير والنظام

وقيل له : هل ينفع الولد صلاح الوالدين ؟

فقال : من لم يكن بنفسه لا يكون بغيره ، بل من لم يكن بربه لا يكون بنفسه.

---

[1] تاريخ بغداد برقم ٤١٦٤٥

وانشد :

اذا العود لم يثمر – وإن كان شعبة

من المثمرات – اعتدّه الناس في الحطب) [1]

وكان ﷺ لا يعبأ بالمريد اذا لم يبذل روحه في الطريق ، ويقول :

(لا ينال هذا الأمر إلا ببذل الروح فإن امكنك الدخول فيه على هذا فلا تشتغل بزخارف الكلام .

وكان يقول : للعارف مرآة اذا نظر فيها تجلى له مولاه جل وعلا .

وكان يقول لي منذ عشرين سنة لم يخطر في بالي الطعام حتى يحضر ، وكان رضي الله عنه يقول :

لي منذ عشرين سنة أصلي الغداة بوضوء العشاء الأخيرة) [2]

(وعن احمد بن فارس قال : حضرت رويماً وسأله ابو جعفر الحداد : أيهما أفضل الصحو او السكر ؟

فانزعج رويم كالمغضب وقال :

لا والله او تهدأ هدو الصخر في قعور البحار ، فإن هدأت استودعك ، وإن انزعجت طالبك ، أما سمعته يقول ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾

وسأله بعضهم الوصية فقال :

ليس إلا بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية فإن أمرها هذا مبني على الأصول)[3]

---

[1] طبقات الصوفية ص ٥٨ – ٥٩

[2] الطبقات الكبرى للشعراني ص ١٢٩

[3] طبقات الصوفية ص ٥٩

((سمعت رويم بن أحمد المقرئ ، يقول : لما رأيت الطالبين قد تحيروا والمريدين قد فتروا والمتعبدين والعلماء بما غلب عليهم من سلطان الهوى قد سكروا لما رأوا المنتسبين إلى علم المعرفة على طبقات مختلفة ، ومقامات متفاوتة من استصغار الأحوال وأهلها ، والتراخي عن الأعمال ، والإعراض عنها تسوروا على ذرى قصرت عنها مقاماتهم عجزا عن بلوغها واغترار بما سمعوه من علوها ، احتجت أن أعلم السبب الذي أوقعهم في هذه الشبهة وأوقفهم في هذه المنزلة قبل أوانها ، والاستحقار للنزول فيها قبل حينها فرأيته سببين كل سبب منهما على أصلين : أحدهما استعجال المنزلة قبل وقتها عجزا عما عمل فيه الصادقون وبذله المحققون ، والآخر الجهل بطريق السالكين إليها ، وإغفال التقوى عما لها وعليها ، رضي منهم باسم ، لا حقيقة تحته تأويهم ولا مكان منه يغنيهم ، فلما رأيت ذلك من أمرهم دعاني داع إلى التبيين لأمورهم والنداء لمن سمع منهم والكشف عن سببهم والتحذير عن مثل غرتهم ، ومن أين أتوا ؟ وعلى ماذا عولوا ؟ وبما تعلقوا فيما إليه ذهبوا ، فنقبت عن سرائرهم بالمساءلة لكبرائهم والمباحثة لأئمتهم في تكوين المكونات على اختلافهم في الأصول والمقامات على أصلين عظيمين تمسك كل فرقة منهم بأصل ، ففرقة قالت : لما رأيت كل حادثة تحت الكون من الأفعال وغيرها من الأجسام ، والأعراض لا تخلو من أحد أمرين :

إما محدث ظهر إلى الكون بغير علة ولا سبب جعله مقدما لإجرائه فيكون ذلك المحدث عنه ، أو يكون حدثها ظهر عن علة وسبب تقدمها فرأيت مدار قول هذه الفرقة فيما به تعلقت ، وإليه رجعت أن المخترعات أفعالها وأقوالها لله الواحد القهار فلم أدفع الأصل فيما إليه أشارت ، ودخلت الشبهة عليهم إذ لم يفرقوا بين ما أحدثه المحدث من الخير والشر والهدى لمن اهتدى والغي لمن غوى ، فدخلت عليهم هذه العلة الجامعة من المختلفات من أفعاله المحدثات بين

ذواتها وهيئاتها والعذب الفرات والملح الأجاج ، والحسن والقبيح ، والعدل والجور ، والخبيث والطيب ، وما فرق بين ذلك إذ يقول : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [1]

وقال : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [2]

وقال : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [3]

وقال :

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ [4]

وقال :

﴿لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [5]

فرأيت الله وإن كان هو منشئ الأشياء بسبب وبغير سبب قد فضل خلقه بين منشآته وبين ذلك في آياته فذهب على هذه الفرقة ما فضل الله به بعض الأشياء على بعض ، وكل ذلك بأمره قد نفذ فيه حكمه وبرئ من عاره وإثمه وغاب عنها إحداث الله للخلق على طبائع مختلفة ، ودواع متباينة ، إذ طبع النفوس أرضية بشرية مطالبة بحاجتها وشهواتها ، وطبع الروح نزهة تطالب بصفائها وتقتضي شرف علوها ، وجعل العقل سراجا بينهما كل ينازعه ويجذبه إليه ليستعين به فيما يطلبه من حظه فمن غلب عليه منها أداه ذلك إلى ملك القلب ، فمتى ملك القلب أحدهما فإن كان ذلك تأثير العقل انقادت له

---

[1] الفرقان٥٣

[2] الأنعام٥٠

[3] الأنعام١٢٢

[4] هود٢٤

[5] المائدة١٠٠

الجوارح ، ثم رأيت النفس وإن كان طبعها العاجلة في فعل ذلك بها تأثيرا لها وما طبع عليه من قبول الانفعال ، وكذلك للروح تأثير انفعالها فيما فعل فيه ، ورأيت سلطان النفس الهوى ووزيرها الجهل وفعلها الجور ، ورأيت ذلك كله وإن كان في قبضة التدبير وسلطان القهر خارجا من الجبر ممكنا من النظر ، والتصفح والإقدام والإحجام سببا للبلاء ومجرى للاختبار الموجب للولاية المظهر للعداوة ، ثم رأيت المقامات في ذلك مختلفة ، والأحوال متباينة والمعارف متفاوتة ، فمن بين مقصر قد أحاطت به رؤية التقصير واعترف بتخلفه وأزرى على نفسه ، وبين سابق قد بذل في العبادة لله جهده فلم يبلغ من ذلك إربه متعلق بعبادته ناظر إلى مجاهدته وتحصيل محاسبته لنفسه ، وآخر مع جهده مأخوذ عن أحواله ، وقد وصل به آماله وصدقه في أعماله ، وأخلص في قصده ، واستفرغ جهده فبلغ من ذلك حظه فأعرضت عن ذكر هؤلاء أجمعين .

وفرقة أخرى من العارفين أشرفت على عجائبهم في مقاماتهم وعظيم طرقهم في سيرهم وسيرهم وقطع مفازهم في تيه مضلة العقول ، وتنسم عقاب الحيرة وقطع لجة الهلكة ، وصراط الاستقامة فرأيتهم بعين لا يستتر عنها متوار في حجابه ، قد خدع المغرور منهم بمكانه فمن بين صريع تحت إشارته في بحر عميق بين علم الجمع والتفريق ، فرأيته أسوأ حالا ممن خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق .

وفرقة أخرى قد أنس بالفناء في مكانه ، واستبطن البقاء مع أهل زمانه فلا هو بعلم الفناء يقوم ، ولا على روح البقاء يدوم فعمه في طغيانه ولم تختلف عليه أحكامه ولم يعرف الحق من الباطل ، ولا فرق بين المخلوق والخالق ، ولا الفاعل والمفعول ، ولا الفعل من الانفعال ، ولا تميز له الظاهر من الباطن ، ولا العاجز من القادر فكان كمن :

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ [1]

وفرقة منهم رأت أنه مكن في مقامه ، ولاحت له الأحكام فلم يكن عنده لها مكان إلا ما علق منها على الخلق ، وإنما كانت الأحكام عندهم معلقة على الخلق لرؤية آثارهم وحضور إراداتهم واختلاف أحوالهم ، والمشاهدة منهم في أنفسهم من بين عقل متين وهوى مائل ؛ فلذلك علق عليهم لأمره عندهم ، وقصدوا بالنهي وبعثت إليهم الرسل فتمكن منهم الجهل واستوثق منهم العجب ، فلم يمكن فيها علاج العلماء ولم يصل إليها لطيف حكمة الحكماء ؛ لتعلقهم بفقد من الوجد ولو حلت من وجود الحق هذا المحل لأجرت الأحكام مجاريها وسلمت من سكرة المعرفة ودواهيها .

وأما الفرقة التي علت بها الإشارة إلى علم التوحيد فهم الذين صحبوا الأحوال في أوقاتها بالوفاء ، والأعمال بالإخلاص والصفاء فلم يرتقوا إلى مقام قبل إحكام المقام قبله ، ولم يتعلقوا بعلم لم يحلوا منه مقام أهله ، وينزلوه نزول المتحققين له حتى يعلو إلى غاية الأحوال الزاكية ، وتفقهوا بعلمها إلى أن أداهم ذلك إلى علم المعرفة فأذعنوا لله إذعان المحققين ، وهم في ذلك كله خالون منها بعلاقة الحق التي عنها نشأت العلوم الزاكية ، غلبت عليهم الحقيقة في كل ما أثبته عليهم من الأفعال فلم يحلوا منها من مقام رفيع ، ونفس مختلسة وطبع منتزع إلا بعلاقة الحقيقة الأزلية والعين الألوهية ، والعلوم الربانية بما منحت في ذلك من القوة وأعطيت فيه من الصفوة وتجديد الوحدانية ، وفناء البشرية فكانت العلوم فيه والاختيارات بتلك العلاقة المبدية لتلك الحقيقة التي أبدعت الحق فأحقت الحق وأبطلت الباطل ، وبذلك أخبر الله أولياءه إذ يقول :

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [1] ، وقال تعالى :

---

[1] الجاثية٢٣

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [٢]

فلم يتجرد الحق على حقيقة لولي من أوليائه ولا صفي من أصفيائه إلا ظهر به على كل باطل فقهره ، ودفعه وإن كان الحق أبدعه واخترعه فلم يكن الحق في مكان فيبقى فيه أثر لباطل أو سلطان ؛ لأن من أفنى الحق حركاته البشرية ، ونفسه الطبيعية ، وأهواءه النفسانية وأوهامه الآرائية استولى عليه من الحقيقة التي عنها وبها كان التصرف ، والاختيار ، والإقدام والإحجام ، والسكون والحركات ، فله علامة موجبة بصحة مقامه وعلو شأنه لا يختلف عليه منه الأفعال ، ولا تضطرب عليه الأقوال ولا تتفاوت منه الأفعال كاختلافها على من بقيت عليه آثاره في أفعاله ، وغلب هواه بهاءه ، فأسر عقله جهله فهو مغرور بما تعلق من اعتقاد علوم لم يسعه بالنزول في حقائقها ، ولا تلحظ مثقال ذرة مما روى منها أهلها من علم التوحيد ومذاق التجريد ، وهو غير موحد وطمع في التجريد وهو غير مجرد ، قد اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، طمعا فيما لم يسعد به بحقيقة ، هيهات ، إن أهل هذه الإشارة ناس لم تبق لهم همة تومئ إلى ذكر فعل مذموم دون أن يجري ذلك عليهم بعلم من العلوم إذ كانت حركاتهم عن الحق بالحق في جميع الأحكام لا تعترضها خواطر البشرية ولا يليق فيها فعل الأفعال الطبيعية لا يقولون إلا بالحق ولا ينطقون عن الهوى ، بذلك خبرنا عن المصطفى ﷺ فقال:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [٣]

فأما الفرقة التي اغترت بما لم تؤت ولم تفارق العلل المستولية عليهم من حركات طباعهم الداعية إلى حاجتها وشهواتها ، فأولئك مثلهم كما قال الله تعالى :

---

[١] الأنفال٨

[٢] الأنبياء١٨

[٣] النجم ٣-٤

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [1] ، وقوله :

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [2] فهم رهائن أعمالهم ، لزم كل عبد منهم طائره في عنقه إذ يقول :

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [3] الآية ،

وقال : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [4]

جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين وهم أهل القوة)) [5]

---

[1] الزخرف ٣٦-٣٧

[2] الأنعام٢١

[3] الإسراء١٣

[4] المدثر ٣٨-٣٩

[5] حلية الأولياء ٢٩٢/١٠ - ٢٩٤

حرف السين

س

السَّرِيُّ بنُ المُغَلِّسِ السَّقَطِيّ

أبو الحسن السَّرِيُّ بنُ المُغَلِّسِ السَّقَطِيُّ ، أحد الأوتاد. أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، الشيخ القُدْوَةُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو الحَسَنِ البَغْدَادِيُّ خالُ الجنيد وأستاذه، وهو تلميذ العابد الزاهد معروف الكرخي. وكان رحمه الله ملازماً بيته لا يخرج منه ولا يراه إلا من يقصده .

هو من أقطاب الصوفية في القرن الثالث الهجري ، عُرف عنه المامه بالسنَّة وعلوم التوحيد ، قال عنه ابو نعيم الأصبهاني في (حلية الأولياء) :

ومنهم العلم المنشور والحكم المذكور شديد الهدى ، حميد السعي ، ذو القلب التقي ، والورع الخفي ، عن نفسه راحل ، ولحكم الله نازل [1]

وهو إمام البغداديين ، وشيخهم في وقته ، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد ، وحقائق الأحوال ، واليه ينتمي اكثر الطبقة الثانية من المشايخ المذكورين في هذا الكتاب [2]

كان السرى يُعرف بطيب الغذاء، وتصفية القلوب، وشدة الورع، حتى انتشر ذلك عنه. وكان من ورعه ومحاسبته لنفسه يقول:

إنني أنظر إلى أنفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد أسودَّ وخوفاً من الله أن يسود صورتي لما أفعله [3]

أسند ﷺ الحديث .

حدَّثَ عن :

هشيم بن بشير وأبي بكر بن عياش، وعلي بن غراب، ويحيى بن يمان، ويزيد بن هارون، وغيرهم .

---

[1] حلية الأولياء ١١٦/١٠ برقم ٤٦٩

[2] طبقات الصوفية ص ١٩

[3] فرسان العشق الإلهي ص ١٦٣

رَوَىْ عَنْهُ :

أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ مَسْرُوْقٍ الطَّوْسِيُّ، والجنيد بن مُحَمَّد، وأبو الحسين النوري ومُحَمَّد بن الفضل بن جابر السقطي، وإِبْرَاهِيم بْن عَبْد اللَّه بْن أَيُّوب المخَرِّمي، والعباس بن يوسف الشكلي،والجنيد بن مُحَمَّد ، والنوري ابو الحسين ، وابو العباس بن مسروق ، وغيرهم .

بداية سلوك طريق التصوف :

كان السري السقطي حانوتياً ، وكانت قد تفشت في زمنه ظواهر الاستغلال والظلم وسوء المعاملة ، فكان حصول الفقير على الرزق والمال محفوفاً بالشبهات ، ويبدو ان بذرة الرفض لتلك الظواهر ، هي التي هيأته نفسياً للتأمل والاعتكاف والانقطاع عن اهل السوق ، ومن معهم من فصائل الأمراء والأغنياء والتجار ، الذين نفرت روحه من مجاورتهم .

لزم السري بيته فكان لا يخرج إلا للجمعة وصلاة الجماعة .

وكان يقول :

من أراد ان يسلم له دينه ويستريح بدنه ويقلَّ غمه من سماع الكلام الذي يغمه ، فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة [1]

وعن محنة الفقير قال :

كيف يستنير قلب الفقير وهو يأكل من مال من يغش في معاملته ، ويعامل الظلمة وأكلة الرشا ، لا سيما ان كان يسألهم بذلّة وخضوع لعدم وجود حرفة تكون بيده [2]

ويبدو واضحاً استعداد الشيخ السري للتصوف والعكوف على العبادة والتفرغ لزهده وانشغاله بربه ، فإذا ما أُضيفَ اليه وجود الشيخ معروف في حياة السري

---

[1] الطبقات الكبرى للشعراني ص ١٠٨

[2] الطبقات الكبرى للشعراني ص ١٠٩

وتأثيره الروحي فيه ودعوته له بأن يُغني الله قلبه ، يصير طبيعياً هذا الانعطاف في حياة الشيخ السري نحو التصوف .

فمما يرويه أبو القاسم سليمان بن مُحَمَّد حكاية في هذا المجال :

حدثني بعض إخواني أن سرى السقطي مرت به جارية معها إناء فيه شيء، فسقط من يدها فانكسر، فأخذ سرى شيئاً من دكانه فدفعه إليها بدل ذلك الإناء، فنظر إليه معروف الكرخي فأعجبه ما صنع فقال له معروف: بَغَّضَ الله إليك الدنيا [1]

ومما ورد في نفس السياق ما قاله أبو العباس بن مسروق :

بلغني أن السري كان يتجر في السوق وهو من أصحاب معروف الكرخي؛ فجاء معروف يومًا ومعه صبي يتيم؛ فقال له: اكْسُ هذا اليتيم، قال السري: فكسوته، ففرح به معروف وقال: بغّضَ الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه. فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إليّ من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف [2]

وتُروى القصة السابقة او ربما أخرى قريبة منها بطريقة أخرى :

حدثنا أحمد بن خلف قال : سمعت سُرِيّاً يقول :

هذا الذي أنا فيه من بركات معروف ، انصرفت من صلاة العيد ، فرأيت مع معروف صبيا شعثا فقلت : من هذا ؟

فقال : رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر ، فسألته لم لا تلعب . فقال: أنا يتيم .

قال سري : فقلت له : ما ترى أنك تعمل به ؟

فقال : لعلي أخلو فأجمع له نوى يشتري به جوزا يفرح به .

---

[1] تاريخ بغداد ١٨٧/٩ وتاريخ مدينة دمشق ١٢٣/١١

[2] الرسالة القشيرية ص ٥١ – ٥٢

فقلت له: أعطنيه أغِّير من حاله .

فقال لي : أو تفعل ؟ فقلت: نعم .

قال لي : خذه أغنى الله قلبك ، فسُوويَت الدنيا عندي أقل من كذا [1]

ورعه وزهده وعبادته :

تميز منهج السرى السلوكي بجوانب متعددة عميقة الغور والأبعاد ، كانت في مجموعها تمثل حلقات متصلة تفضى في النهاية إلى بلوغ قمة النضج الروحي، إذ تحلق الروح في سماء المعرفة والولاية.

فهو إضافة لكونه عالماً معرفياً بالزهد والورع والتصوف ، كان أميناً على تطبيق المبادئ التي كان يدعو اليها ، فكان زاهداً وورعاً ومتصوفاً ، فِكراً وسلوكاً .

في هذا المجال روى الجنيد:

سمعت سرى بن المغلس يقول :

أشتهى منذ ٣٠ سنة جزرة أغمسها في الدبس وآكلها فما يصح لي [2]

تحرّى السرى الحلال دائماً مع شدة الورع حتى تحمل في ورعه الكثير والكثير وكان يقول دائماً :

آه على لقمة ليس لله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة ، فم اجد الى ذلك سبيلاً.

روى الإمام الجنيد عن الشيخ السري رضي الله عنهما قوله :

خرجنا يوماً من مكة نريد بعض المواضع ، فلما أصحرنا رأيت في مجرى السيل طاقة بقل فمددت يدي فأخذتها ، وقلت :

الحمد لله ، ورجوت ان تكون حلالاً ليس لمخلوق فيها منّة .

فقال لي بعض من رآني وقد أخذتها :

يا ابا الحسن التفت .

---

[1] تاريخ بغداد ٩ / ١٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ١١ / ١٢٣

[2] حلية الأولياء ١٠ / ١١٦

فالتفت فاذا مثل تلك الطاقة .

فقال لي : خذ هذا من نائبك .

فقلت له : الطاقة الأولى ليس لأحد فيها منّة وهذا بدلالتك تريد لك علي فيه منّة .

انما أريد ما ليس لمخلوق فيه منّة ولا لله فيه تبعة [1]

وكان من ورعه وخوفه على نفسه من العُجب او الرياء انه كان يسأل الله سبحانه وتعالى أن يُبعد الناس عنه أو ان لا ينشغلوا به وينظرون اليه كولٍي لله تعالى .

فقد سمعه عبيد القاضي ذات اليوم يقول:

إني لأذكر مجيء الناس إلى فأقول اللهم هب لهم من العلم ما يشغلهم عنى فإني لا أريد مجيئهم ولا أن يدخلوا علي .

وقال على بن عبد الحميد الغضائرى الحلبي :

سمعت بالسرى السقطي ودققت عليه الباب فقام إلى الباب فسمعته يقول: اللهم اشغل من يشغلني عنك بك .

فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة من حلب على رجلي ماشياً ذاهباً وجائياً [2]

وكان يعمد الى تغيير أماكن صلاته والانتقال من مكان لآخر ، فكان ﷺ يقول:

إني اذا نزلت اريد صلاة الجماعة أذكر مجيء الناس اليَّ فأقول :

اللهم هب لهم عبادة يجدون لذتها تشغلهم عني [3]

---

[1] حلية الأولياء ١٠ / ١١١١٦

[2] حلية الأولياء ١٠ / ١١٨

[3] حلية الأولياء ١١٨/١٠

ويبلغ به الورع وشدة خوفه من الله تعالى ومحاسبته لنفسه انه يقول :

إني لأنظر الى انفي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة ان يكون قد اسودَّ وخوفاً من الله أن يُسوِّد صورتي لما أفعله [1]

وبنفس الغرض يقول :

لو أحسست بإنسانٍ يريد أن يدخل عليَّ ؛ فقلت بلحيتي هكذا (وأمرَّ يده على لحيته كأنه يريد تسويتها) من أجل الداخل ؛ لخفت أن يعذبني الله على ذلك .

ويتعاظم حرص السري على ان يبتعد عن الكِبَر والعُجب ويحذر الاستدراج ما رواه الإمام الجنيد عن شيخه وخاله السري رضي الله عنهما فيقول :

قال لي السري : خفيت عليَّ علة ثلاثين سنة .

وذلك انا كنا جماعة تبكِّر الى الجمعة ، ولنا أماكن عُرفت بنا ، لا نكاد نخلو عنها ، فمات رجل من جيراننا يوم الجمعة فأحببت ان أُشيع جنازته ، فشيعتها واضحيت عن وقتي ثم جئت اريد الجمعة ، فما ان اقتربت من المسجد قالت لي نفسي :

الآن يرونك وقد أضحيت وتخلفت عن وقتك ، فشقَّ ذلك عليَّ ، فقلت لنفسي ، أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وانا لا ادري ، فتركت ذلك المكان الذي كنت آتيه ، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا او نحوه [2]

وكل هذا من حرص السري على نفسه وخوفه من الله .

وسُمع أبو بكر الحربي يقول:

سمعت السري السقطي يقول:

حمدت الله مرة، فأنا استغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة. قيل: وكيف

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٥٣ وحلية الأولياء ١٠ / ١١٧

[2] حلية الأولياء ١٠ / ١١٨

ذاك ؟

قال: كان لي دكان وكان فيه متاع ، فوقع الحريق في سوقنا ، فقيل لي .

فخرجت أتعرَّف خبر دكاني ، فلقيت رجلا فقال :

أبشر فإن دكانك قد سلم .

فقلت : الحمد لله ، ثم إني فكرت فرأيتها خطيئة [1]

واستغفار السري هنا وما ظنّه انه خطيئة توجب الاستغفار مردَّه الى انه فرح بنجاة متجره من الحرق ولم يلتفت لمصيبة التجار الذين احترقت متاجرهم وتلفت بضائعهم .

وهذا من ورعه ﷺ وشدة محاسبته لنفسه .

وسأل أبو بكر العطشى ذات يوم السرى السقطي:

ماذا أراد أهل الجوع بالجوع ؟

فقال :

ماذا أراد أهل الشبع بالشبع ؟ إن الجوع أورثهم الحكم ، وإن الشبع أورثهم الغم.

كذلك روى الجنيد :

دخلت على السرى السقطي وهو يبكى فقلت له : وما يبكيك ؟

فقال: جاءتني البارحة الصبية فقالت :

يا أبتِ هذه ليلة حارة وهذا الكوز أعلقه ههنا ، ثم إنه غلبتني عيناي فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت: لمن أنت ؟

فقالت : لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان ، ثم رفسته برجلها فكسرته. قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه حتى عفا عليه التراب تماماً .

وذكر على بن الحسين بن حرب :

بعث بي أبي إلى السرى بشيء من طبِّ السعال .

---

[1] صفة الصفوة ٤٤٧ وتاريخ بغداد ٩ / ١٨٨

فقال لي : كم ثمنه ؟

أجبت: لم يخبرني بشيء ، فقال : اقرأ عليه السلام وقل له :

نحن نعلّم الناس منذ خمسين سنة ألا يأكلوا بأديانهم ترانا اليوم نأكل بديننا . [1]

ودخل عليه الجنيد يوماً فقال له السري :

يا جنيد، عصفور يجيء كل يوم أفت له الخبز في يدى فيأكله، فنزل الساعة ، ولم يسقط على يدى .

فتذكرت أني أكلت ملحاً طيباً ، فقلت في داخلي : أنا تائب من الملح .

فسقط على يدي ، فأكل وانصرف [2]

وعن ابراهيم السقطي ابن الشيخ السري قال :

سمعت أبي يقول :

لو ان رجلاً دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله من الأشجار عليها جميع ما خلق الله من الأطيار ، فخاطبه كل طير منها بلغته وقال :

السلام عليك يا وليّ الله ... فسكنت نفسه الى ذلك ، كان في يديها أسيراً [3]

نظرة الشيخ السُرَيُّ الى التصوف :

ان المعرفة الصوفية لدى الشيخ السري والتي حددت سلوكه وحياته كانت مبنية على ارتباط علم الباطن بحكم الشريعة الظاهر ، وكان ﷺ يقول :

من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط [4]

ويعدُّ التزامه التام بالشريعة ، الغطاء النظري والفقهي لسلوكه الصوفي ، لذا ، كانت الأمور الأساسية في حياته مبنية على العبادات وعلى الأحكام الأخلاقية

---

[1] حلية الأولياء ١٠ / ١١٧

[2] حلية الأولياء ١٠ / ١٢٣

[3] حلية الأولياء ١٠ / ١١٨

[4] حلية الأولياء ١٠ / ١١٩

للإسلام لهذا كان شديد القرب من فقهاء وعلماء الشريعة .

لقد اتسم الورع لدى السري بترك الغفلة ، فهو يقول ثلاث من أخلاق الأبرار : القيام بالفرائض ، واجتناب المحارم ، وترك الغفلة [1]

روى عن السرى أنه قال :

المتصوف اسم لثلاث معانٍ:

هو الذى لا يطفيء نور معرفته نور ورعه ،

ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه الكتاب أو السنة ،

ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله [2]

ورأى السرى أن التجرد لله تعالى أقرب ما يوصل إلى الله سبحانه وتعالى، فقد سئل يوماً: «كيف الطريق إلى الله؟»، فأوضح: «إن أردت العبادة فعليك بالصيام والقيام، وإن أردته فاترك كل ما سواه تصل إليه».

وقال الجنيد :

سمعت السري يقول: أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة . فقلت: ما هو ؟ فقال: لا تسأل من أحد شيئا، ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء تعطي منه أحدا .

ان الخوف والحياء والرجاء والأنس ، هي أوجه الحب الإلهي الذي استحوذ على قلب السري رحمه الله تعالى .

وكان الحب محور حياة السري ، بل كل حياته .

وحتى يتحقق السري بالمحبة كان لزاماً ان يبتعد عن الغفلة ، يبتعد بما سكن قلبه من محبة ومن خوف ورجاء .

يقول السري :

---

[1] حلية الأولياء ١٠ / ١١٩

[2] الرسالة القشيرية ص ٥٥

خمسة اشياء لا يسكن معها في القلب غيرها :

الخوف من الله وحده ، والرجاء من الله وحده ، والحب لله وحده ، والحياء من الله وحده ، والأنس بالله وحده [1]

ومن شدة عشقه الإلهي ، وتمكّن الحب من نفسه ، اصيب جسده بأشد العناء ، مما يؤكد على قطعه خطوات صبورة في طريق تحقيق الفناء وصولاً للقرب .

يروي الجنيد :

انه دفع اليه السري رقعة وقال هذه خير لك من سبعمائة فضة ، فإذا فيها :

و لما ادعيت الحب قال كذبتني فمالي ارى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق الظهر بالحشا و تذبل حتى لا تجيب المناديا

و تنحل حتى لا يبقي لك الهوى سوى مقلةٍ تبكي بها وتناجيا [2]

وللسري أقوال تنضح بالحكمة ، العميقة منها :

– من إذا غضب لم يُخرجه غضبه من الحق، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل؛ وإذا قدر لم يتناول ما ليس له .

– الشكر ثلاثة أوجه :

للسان ، وللبدن ، وللقلب .

فالثالث أن يعلم أن النعم كلها من الله ،

الثاني ألا يستعمل جوارحه إلا في طاعته بعد أن عافاه الله ،

والأول دوام الحمد عليه .

– من أراد أن يسلم له دينه ، ويستريح قلبه وبدنه ، ويقل غَّمه ، فليعتزل الناس ؛ لأن هذا زمان عزلة ووحدة .

– الأدب ترجمان العقل.

---

[1] طبقات الصوفية ص ٢٠

[2] متصوفة بغداد ص ١٢٤

– من علامة الاستدراج للعبد عماه عن عيبه واطلاعه على عيوب الناس .

– من خاف الله خافه كل شيء .

– لو أشفقت هذه النفوس على أبدانها شفقتها على أولادها للاقت السرور في معادها .

– المغبون من فنيت أيامه بالتسويف .

– احذر أن تكون ثناًء منشوراً وعيباً مستوراً .

– التوكل الانخلاع عن الحول والقوة.

– أربع خصال ترفع العبد: العلم، والأدب، والعفة والأمانة.

– تصفية العمل من الآفات أشد من العمل .

– من استعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة .

– من لم يعرف قدر النعمة سُلبها من حيث لا يعلم ، وَمْن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها .

– اجعل فقرك إلى الله تستغني به عَّمن سواه.

– أحسن الأشياء خمسة :

البكاء على الذنوب ، وإصلاح العيوب ، وطاعة علام الغيوب ، وجلاء الرين عن القلوب ، وألا تكون لما تهوى ركوب .

(ما رأيت شيئاً أحبط للأعمال ولا أفسد للقلوب ولا أسرع في هلاك العبد ولا أدوم للأحزان ، ولا أقرب للمقت ولا ألزم لمحبة الرياء والعجب والرياسة من قلة معرفة المجدّ نفسه ونظره في عيوب الناس لا سيما إن كان مشهوراً معروفاً بالعبادة وامتد له الصيت حتى بلغ من الثناء ما لم يكن يؤمله وتربص في الأماكن الخفية بنفسه، وسراديب الهوى وفي تجريحه في الناس ومدحه فيهم وقيل له إن العابد الفلاني يعظم فلاناً ويعتقده والأمير الفلاني لا يقدم أحداً على فلان من الفقراء وأطبقت أهل بلده على اعتقاده فقال إنه لهلك مع الهالكي .

وكان ﷺ يقول: الدنيا أفاعي قلوب العلماء وسحارة قلوب العباد والقراء تلعب بهم كما يلعب الصبيان بالأكرة .

وكان يقول خصلتان تبعدان العبد من الله تعالى أداء نافلة بتضييع فريضة : وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلب .

وكان ﷺ يبكي ويقول :

قد توعرت طريق الصالحين وقل فيها السالكون وهجرت الأعمال وقل فيها الراغبون ورفض الحق ودرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطّال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال الصالحة قد افترش الرُخَص وتمهَّد التأويلات واعتلَّ بذلك العاصون ثم يقول واغمّاه من فتنة العلماء واكرباه من حيرة الأدلاء.

وكان ﷺ يقول:

من أنس بربه في الظلام نشرت عليه غداً الأعلام) [1]

كراماته :

ذكر مظفر بن سهل المقري :

سمعت علان الخياط وجرى بيني وبينه مناقب سرى السقطي فقال علان : كنت جالساً مع سرى يوماً فوافته امرأة فقالت :

يا أبا الحسن أنا من جيرانك أخذ ابنى الطائف [2] وأنا أخشى أن يؤذيه فإن رأيت أن تجيء معي أو تبعث إليه .

قال علان : فتوقعت أن يبعث إليه .

فقام وكبر وطوَّل في صلاته ، فقالت المرأة : يا أبا الحسن الله الله فيَّ ، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان .

فسلَّم وقال لها : أنا في حاجتك .

---

[1] الطبقات للشعراني ص ١٠٩

[2] طائف : عَسَس، الدَّائر حول المنازل للحراسة

قال علان :

فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت الحقي قد خلوا ابنك [1]

قال أبو الطيب : قال لي علان : وأيش يتعجب من هذا ؟

اشتري كرّ لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجة ثلاثة ديناراً ربحه .

فصار اللوز بتسعين دينارا .

فأتاه الدلال وقال له : إن ذاك اللوز أريده، فقال له خذه، قال:

بكم ؟ قال : بثلاثة وستين دينارا .

قال الدلال: إن اللوز قد صار الكر بتسعين ، قال له:

قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحلَّه ، ليس أبيعه إلا بثلاثة وستين ديناراً ، فقال له الدلال : إني قد عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلماً، لست آخذ منك إلا بتسعين .

فلا الدلال اشترى منه، ولا السري باعه .

قال أبو الطيب : قال لي علان :

كيف لا يستجاب دعاء من كان هذا فعله ؟ [2]

وثمة رواية شائعة في بعض كتب الصوفية تقول :

إن السري مكث عشرين عاماً ، يطوف في الساحل ، يطلب صادقاً .

فدخل يوماً إلى مغارة ، إذا قعود وعميان ومجذامين .

فقال : ما تصنعون ها هنا .

قالوا : ننتظر شخصاً يخرج لنا فنعافى .

فقال : إن كان صادقاً فاليوم . فقعد، فخرج كهل عليه درعة من شعر، فسلم وجلس، ثم مرَّ يده على عمى هذا فأبصر ، وأمرَّ يده على مانة هذا فصح ،

---

[1] فرسان العشق ص ١٦٤

[2] تاريخ بغداد ٩ / ١٨٩

وأمر يده على جذام هذا فبرئ .

ثم قام موليا .

فضربت بيدي إليه ، فقال: سري خل عنى ، فإنه غيور .

لا يطلع على سرك فيراك وقد سكنت إلى غيره ، فتسقط من عينه [1]

وقال ﷺ : صليت وردى ليلة فمددت رجلي في المحراب فنوديت :

يا سري كذا تجالس الملوك ؟

قال: فضممت رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبدا [2]

وفاته :

مات سري السقطي سنة احدى وخمسين ومائتين [3]

ودفن رحمه الله تعالى في مقبرة الشونيزية أو مقبرة باب الدير العتيقة والتي تُعرف اليوم بمقبرة الجنيد قريباً من مقبرة معروف الكرخي .

وقبره ظاهر ويزار جنب قبر الجنيد رضي الله عنهما .

ومن شهرة كرامته ان الناس في بغداد كانوا يرجون ان يحفظهم الله بحفظ احمد ابن حنبل وبشر بن الحارث .

فلما ماتا، توجهوا بالدعاء الى الله بالدعاء (يرجون اذن ان يحفظهم الله بسريّ)[4]

وقد بقي رحمه الله على ورعه ، وظلت الحكمة تجري على لسانه حتى في لحظات موته ، وحتى وهو في النزع الأخير وما عاد يعرف من حَوله ولا يتعرف على زائريه .

---

[1] فرسان العشق ص ١٦٤

[2] تاريخ مدينة دمشق ١١ / ١٣١

[3] طبقات الصوفية ٢١

[4] تاريخ بغداد ٩ / ١٨٨

يقول الإمام الجنيد :

دخلت عليه، وهو في النزع .

فجلست عند رأسه ، ووضعت خدي علي خده، فدمعت عيناي ، فوقع دمعي علي خده .

ففتح عينيه، وقال لي : من أنت ؟

قلت : خادمك الجنيد

فقال: مرحباً .

فقلت:

أوصني بوصية أنتفع بها بعدك

قال : إياك مصاحبة الأشرار، وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار [1]

[1] صفة الصفوة ص ٤٥١

سعد الدين الجباوي

ولد مؤسس الطريقة السعدية الشيخ سعد الدين في مكة المكرمة عام ٤٦٠ هـ. حفظ القرآن الكريم ورتله في الحرم المكي وهو في السابعة من عمره، وأتم المرحلة الأولى من تحصيل علومه الدينية لما بلغ اثنتي عشرة سنة وتابع تحصيله وملازمته لوالده الشيخ يونس الشيباني الإدريسي في مجالسه وحلقاته في أروقة الحرم المكي، وحلقات العلماء من مقيمين ومجاورين وزائرين.

وكانت له عدة أسفار كان أولها باليمن وبلاد المغرب وبلاد الشام وبيت المقدس ومصر .

نسبه الشريف:

هو الصوفي الشهير مربي المريدين العارف بالله الشيخ سعد الدين الجباوي الشيباني الجناني الإدريسي الحسني الحسيني قدس الله سره العزيز فهو عريق الأصلين كريم النسبين فهو: سعد الدين بن الإمام الشيخ يونس الشيباني بن السيد عبد الله (المهاجر من طرابلس الغرب إلى مكة المشرفة) بن السيد يونس الشيباني بن السيد علي الشريف السيد مؤيد الدين بن السيد سعد الله الشهير بشيبان (دفين الزاوية الشيبانية الكائنة في قابس بتونس) بن السيد عبد الرحمن الأكبر بن السيد علي المحجوب بن السيد عبد الله بن مولاي عمر الإدريسي بن مولاي إدريس الأنور بن السيد الأكبر الذي شرفه الله بفتح المغرب بن الإمام عبد الله المحض الشهير بالكامل الحسني بن الإمام الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة عليه السلام بن الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله

وجهه من زوجته السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.[1]

وأما من جهة أمه فهو ابن السيدة العابدة الزاهدة أم الخير، ولية الله عائشة بنت السيد أيوب ... ابن السيد الإمام علي زين العابدين بن الإمام سيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين الشهيد رضي الله عنه بن السيد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

مولده :

ولد سيدنا سعد الدين في مكة المكرمة عام (٤٦٠ هجرية).

بعض صفاته : كان سيدنا سعد الدين: لطيف الذات جميل الصفات أبيض اللون معتدل القامة واسع العينين جهوري الصوت، يستحي الناظر أن ينظر؛ إليه لمهابته وجلالة قدره.

وروي أنه كان ذكياً موهوباً جميل الخلْق والخلُق نديّ الصوت مولعاً بالفروسية وركوب الخيل والرماية والكرّ والفرّ، انكبَّ رحمه الله تعالى على حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره فأتمه وكان يرتله في الحرم المكي بصوت جميل نديّ، وأتم تحصيله للعلوم الدينية في سنّ صغيرة فدرس الحديث والتفسير والتوحيد والتصوف والفقه على المذهب الشافعي رضي الله عنه وكان ملازماً لوالده الشيخ يونس الشيباني الحسني في مجالسه وما رآه أحد من هذه الأمة إلا وتوسم فيه الرفعة والسيادة والنجابة والوراثة المحمدية، وكان له عدة سياحات طويلة في بقاع الأرض كان أولها باليمن ثم مصر وبلاد المغرب وبلاد الشام وبيت المقدس والعراق مما زاد في تحصيله العلمي والمعرفي وزار الكثير من العلماء والأولياء والصالحين.

---

[1] منتديات السادة الاشراف منتديات عراق الخير / قسم منتدى آل السعدي

وقيل: أنه كان يدون رحلاته، وقام بجمعها ولده الشيخ مُحَمَّد شمس الدين ورتبها في كتابين الأول: خصصه لرحلاته والثاني: لمروياته.

وفي هذه الفترة من عمر الشيخ المبكرة كانت البلاد الإسلامية يعمها الفوضى والبلابل والفتن وابتليت بالحملات الصليبية التي كانت تغزو بلاد الشام تباعاً فخرج الشيخ إلى بلاد الشام ونزل أرض الجولان تجاه جبل الشيخ فكر عليه جماعة من قطاع الطرق لسلب أمتعتهم وأخذ ما لديهم فكر عليهم الشيخ فاستوثق زعيمهم وطلبوا منه أن يطلق سراحه وأن يتزعمهم وقد توسم فيهم الخير والشجاعة وقرر أن يبقى معهم رغبة منه في استتابتهم وإصلاحهم، فعمل على مداواة نفوسهم وتوجيههم بحكمة وبُعْد نظر فدعاهم للتحلي بأخلاق الرجال والفرسان وصور لهم معنى الرجولة والشجاعة وأثار فيهم نوازع الرجولة والشجاعة والإقدام وشاع بين الناس أن الشيخ تزعم جماعة من قطاع الطرق وأنه اشتغل بلهوه وبطالته ووصل الخبر إلى والده الشيخ يونس بمكة فاغتم لذلك وعظم عنده الأمر فدخل المسجد الحرام وبذل مجهوده في الدعاء في أن يهدي الله ولده وأراد الله لعبده ان يُستجاب دعائه فشمل الشيخ سعد العطاء الرباني وتولته العناية الرحمانية .

ونال ما نال من الأسرار الربانية فانجذب إلى مولاه وأفاض أنوار باطنه على ظاهره وجرت عليه صور المجاهدة من غير مكابدة وعناء، بل بلذاذة وهناء حتى امتلأ حب الله في قلبه .

عاد إلى مكة المكرمة تلقاه والده وهنأه بما تفضل الله عليه وأذن له بالدخول في سلك القوم ولقنه الذكر وألبسه الخرقة المحمدية ثم أمره بالتوجه إلى الشام حيث فتوحه فيها فأنشأ رباطه ومسجده في جبَا الشام وصار جنده الذين خرج من أجلهم من العارفين والمجاهدين وصارت جبا الشام محط الرجال ومنارة للعلم والمعرفة ومنهلاً للعارفين وعمّت بركات الشيخ الآفاق وذاع صيته في الأمصار.

سند الشيخ في الخرقة رضي الله عنه:

وأما سنده في الطريقة :

فللشيخ رضي الله عنه سندان في الطريق أحدهما وهبي والآخر كسبي:

أخذ الطريقة ولبس الخرقة عن والده ومرشده البحر المحيط العلامة الشيخ يونس الشيباني المكي الحسني وهو أخذ الطريقة عن الشيخ أبو بكر النساج عن أبي القاسم الجرجاني عن أبي عثمان المغربي عن أبي علي الكاتب عن الشيخ علي الروذبادي عن شيخ الطائفة الجنيد البغدادي عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخي عن الإمام علي الرضى عن الإمام موسى الكاظم عن والده الإمام جعفر الصادق عن والده الإمام مُحَمَّد الباقر عن والده الإمام علي زين العابدين والده الإمام عن والده الإمام الحسين السبط عن والده الإمام علي بن أبي طالب عن سيد الأنبياء والرسل سيدنا رسول الله مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم.

سعيد بن إسماعيل
أبو عثمان الحيري [1]

كان يقال: ثلاثة أشياء لا رابع لها:

(أبو عثمان بنيسابور ، والجنيد ببغداد ، وأبو عبد الله ابن الجلاء بالشام)[2]

رجال حققوا مراد الله من أنفسهم ، فحقق الله لهم مراداتهم ، فهي خالية من الهوى وحظوظ النفوس ، ولأنهم استجابوا لله أجاب الله دعواتهم

اسمه :

الشيخ الإمام المحدِّث الواعظ القدوة ، شيخ الإسلام الأستاذ أبو عثمان ، سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النيسابوري الحيري الصوفي ، الزاهد الكبير الثقة أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن محدّثيهم ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري .

صاحب كتاب السنن في الأحاديث النبوية .

مولده :

ولد سنة ثلاثين ومائتين بالري [3]

اصله من الري ، ثم أقام بنيسأبور .[4]

حياته :

(سمع في الري مكان ولادته من : مُحَمَّد بن مقاتل الرازي ، وموسى بن نصر . وبالعراق من : حميد بن الربيع ، ومُحَمَّد بن إسماعيل الأحمسي ورجال غيرهم ، ولم يزل يطلب الحديث ويكتبه إلى آخر حياته .

---

[1] والحيري : نسبة إلى قرية يقال لها الحيرة من قرى نيسابور

[2] وفيات الأعيان ٢ / ٣٦٩ والانساب ٢ / ١٦٨

[3] مدينة إيرانية تقع على بعد ستة كيلومترات من جنوب شرقي طهران العاصمة

[4] طبقات الأولياء ٢٣٩/١

حدَّث عنه : الرئيس أبو عمرو أحمد بن نصر، وابناه: أبو بكر وأبو الحسن، وأبو عمرو بن مطر، وإسماعيل بن نجيد، وعدة .

صحب في الري : شاه الكرماني ، ويحيى بن معاذ .

ثم ورد نيسابور مع شيخه شاه الكرماني على أبي حفص الحداد ، وأقام عنده ، وتخرَّج به ، وزوَّجه ابنته) [1]

(ودخل بغداد.

ويقال : إنه كان مستجاب الدعوة .

وقام في مجلسه رجل فقال: يا أبا عثمان، متى يكون الرجل صادقا في حب مولاه قال: إذا خلا من خلافه كان صادقا في حبه .

فوضع الرجل التراب على وجهه وصاح، وقال :

كيف أدعي حبه ولم أخل طرفة عين من خلافه فبكى أبو عثمان وأهل المجلس، وجعل أبو عثمان يقول : صادق في حبه، مقصر في حقه [2]

قالت مريم امرأة أبي عثمان :

كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة ، فإنه إذا دخل ستر الخلوة لم يحس بشيء من الحديث وغيره .

وقالت :

صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها ، وقلت : يا أبا عثمان ، أي عملك أرجى عندك فقال :

يا مريم ، لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يراودونني على التزوج فأمتنع جاءتني امرأة فقالت :

يا أبا عثمان ، قد أحببتك حبا ذهب بنومي وقراري ، وأنا أسألك بمقلب

---

[1] مسالك الأبصار ٦٩/٨

[2] وفيات الأعيان ٢ / ٣٦٩

القلوب أن تتزوج بي، فقلت: ألك والد قالت: نعم، فلان الخياط في موضع كذا، فراسلته ، فأجاب ، فتزوجت بها، فلما دخلت وجدتها عوراء عرجاء سيئة الخلق .

فقلت : اللهم لك الحمد على ما قدرته لي ، وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك ، فأزيدها براً وإكراماً ، إلى أن صارت لا تدعني أخرج من عندها .

فتركت حضور المجلس إيثارا لرضاها وحفظا لقلبها ، وبقيت معها على هذه الحالة خمس عشرة سنة .

وكنت معها في بعض أوقاتي كأني قابض على الجمر ، ولا أبدي لها شيئا من ذلك، إلى أن ماتت ، فما شيء عندي أرجى من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي [1]

بعض من أحواله وكراماته :

قال الحاكم : سمعت مُحَمَّد بن صالح بن هانئ يقول:

لما قتل يحيى بن الذهلي، مُنِعَ الناس من حضور مجالس الحديث من جهة أحمد الخجستاني فلم يجسر أحد يحمل محبرة ، إلى أن ورد السري بن خزيمة .

فقام الزاهد أبو عثمان الحيري ، وجمع المحدّثين في مسجده ، وعلق بيده محبرة وتقدمهم ، إلى أن جاء إلى خان محمش ، فأخرج السري وأجلس المستملي ، فحزرنا مجلسه زيادة على ألف محبرة ، فلما فرغ قاموا وقبلوا رأس أبي عثمان ، ونثر الناس عليهم الدراهم والسكر سنة ثلاث وسبعين ومائتين [2]

وبلغ من تسامحه وسعة صدره وهو يربي تلاميذه ومريديه ما رواه احد المريدين .

(قال ابو عمرو ابن حمدان :

---

[1] وفيات الأعيان ٢ / ٣٦٩ و تاريخ بغداد ٩ / ١٠٢ – ١٠٣

[2] سير اعلام النبلاء ١٤ / ٦٤

وكنت أختلف إلى أبي عثمان مدة في وقت شبابي، وحظيت عنده، ثم اشتغلت مدة بشيء مما يشتغل به الفتيان فانقطعت عنه، وكنت إذا رأيته من بعيد أو في طريق اختفيت حتى لا يراني، فخرج علي يوما من سكة في عطفة فلم أجد عنه محيصا فتقدمت إليه وأنا دهش، فلما رأى ذلك قال: يا أبا عمرو، لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً .

وكان يقول: طول العتاب فرقة، وترك العتاب حشمة) [1]

(وبلغ من أدبه مع شيوخه ما رواه ﷺ .

قال : صحبت أبا حفص وأنا شاب فطردني مرة وقال : لا تجلس عندي .

فقمت ولم أولّه ظهري ، ووجهي إلى وجهه ، حتى غبت عنه .

وجعلت في نفسي ان احفر على بأبي حفرة ، لا اخرج منها إلا بأمره .

فلما رأى مني ذلك ادناني، وجعلني من خواص أصحابه .

وبلغ من سعت صدره وحسن خُلُقه وتسامحه :

روي أن رجلا دعا أبا عثمان إلى ضيافته ؛ فلما وافي باب داره قال :

يا أستاذ ، ليس لي وجه لدخولك ، وقد ندمت .

فانصرف أبو عثمان .

فلما أتى منزله عاد أليه الرجل وقال : احضر الساعة .

فقام أبو عثمان ومشى معه ؛ فلما وافي باب داره ، قال له مثلما قال له في المرة الأولى .

ثم فعل به كذلك ثالثاً ورابعا ، وأبو عثمان يحضر وينصرف .

فلما كان بعد ذلك اعتذر أليه ، وقال : يا أستاذ ، أنا أردت اختبارك .

وأخذ يمدحه ، ويثنى عليه ، ويدعو له .

---

[1] وفيات الأعيان ٢ / ٣٦٩

فقال له أبو عثمان : لا تمدحني على خلق تجد مثله مع الكلاب. الكلب إذا دعي حضر، وإذا زجر انزجر) [1]

وقال الفرغاني : [2]

كنت يوماً امشي خلف دابة أبي عثمان ، وكان يوماً وحلاً ، فوق في خاطري ، وقلت :

هذا الرجل – على هذه الدابة – لا يعلم أنا نجد البرد ، ويشق علينا المشي في هذه الأحوال ؟

قال : فنزل أبو عثمان – في الوقت – عن دابته ، وقال لي :

اركب ، فركبت ، وجعل أبو عثمان يمشي خلف الدابة ، وأنا راكب ، وفي قلبي ما فيه ، فلما بلغت باب الدار ونزلت ، قال لي :

يا فرغاني ، أنت إذا مشيت خلف الدابة وأنا راكب ، يكون في قلبي مثل الذي يكون في قلبك وأنا امشي وأنت راكب ، أو اشد [3]

وروي إن أبا عثمان اجتاز يوماً بسكة – في وقت الهاجرة – فألقى عليه من سطح طشت رماد ، فتغير أصحابه ، وبسطوا ألسنتهم في الملقي؛

فقال أبو عثمان :

لا تقولوا شيئاً ، من يستحق ان يصب عليه النار فصولح على الرماد ، لم يجز له ان يغضب [4]

---

[1] طبقات الأولياء ١ / ٢٤٠ – ٢٤١ وطبقات الأولياء ١ / ٢٤٠

[2] والفرغاني هذا خادم أبي عثمان. اسمه مُحَمَّد بن احمد، وكان صاحب ركابه ، وكان أبو عثمان يكثر رياضته، فصار بذلك أحد الرجال السادة. (ذكره السلمي)

[3] طبقات الأولياء / ٢٤١

[4] طبقات الأولياء ١ / ٢٤١

ويوم وقف ﷺ ، وقدَّم طلبه الى الحق سبحانه مشفوعاً بالقسم وقد أحسن الظن بالله ، وكان على ثقة ويقين بنصر الله ، وابتغى الوسيلة إلى الله في صدقة مباركة على الضعفاء المنكسرين من عباد الله :

(وحقك لا أقمت –الصلاة – ما لم تفرج عن المكروبين)

فحقق الله ما به دعاه ، وأنجز له ما رجاه .

قال الحاكم النيسابوي صاحب المستدرك :

(لما استولى على البلاد أحمد بن عبدالله الخجستاني ، أخذ في الظلم والعسف ، وأمر بحربة ركزت على رأس المربعة (وهي عصا تحمل بها الأثقال حتى توضع على ظهر الدواب)، وجمع الأعيان ، وحلف إن لم يصبوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة فقد أحلوا دماءهم ، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم ، فخص تاجر بثلاثين ألف درهم ، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم ، فحملها إلى أبي عثمان وقال : أيها الشيخ قد حلف هذا كما بلغك ، والله لا أهتدي إلا إلى هذه ، قال : – أبو عثمان – تأذن لي أن أفعل فيها ما ينفعك ، قال : نعم ، ففرقها أبو عثمان ، وقال للتاجر :

امكث عندي ، وما زال أبو عثمان يتردد بين السكة والمسجد ليلته حتى أصبح ، وأذن المؤذن ، فقال لخادمه:

اذهب إلى السوق وانظر ماذا تسمع ؟

فذهب ورجع ، فقال : لم أر شيئا .

قال اذهب مرة أخرى ، وهو في مناجاته يقول :

وحقك لا أقمت ما لم تفرج عن المكروبين – أي وحق الله لا أبدأ بالإقامة لصلاة الصبح ، وهذا على سبيل حسن الظن بالله وزيادة الثقة به سبحانه – قال فأتى خادمه يقول :

وكفى الله المؤمنين القتال ، شُق بطن أحمد بن عبد الله ، فأخذ أبو عثمان في الإقامة لصلاة الصبح [1]

وكان إذا بلغ سُنة لم يستعملها، وقف عندها حتى يستعملها.

وقال ﷺ :

أذنبت ذنباً أبكى عليه منذ أربعين سنة ، وذلك أنه زارني أخ لي ، فاشتريت بدانق – سدس درهم – سمكة مشوية ، فلما فرغ أخذت قطعة طين من جدار جار لي حتى غسل بها يده ولم استحله.

عن أبي عمرو بن مطر قال: حضرت مجلس أبي عثمان الحيري الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد للتذكير، فسكت حتى طال سكوته فناداه رجل كان يعرف بأبي العباس : نرى أن تقول في سكوتك شيئاً .

فأنشأ يقول:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى والطبيب مريض ، قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج .[2]

وكان بين زكريا النخشي وبين امرأة سبب قبل توبته ، فكان يوماً واقفاً على رأس أبي عثمان الحيري فتفكر في شأنها، فرفع أبو عثمان إليه رأسه وقال : ألا تستحي .

ومن درر كلامه ولآلئ معارفه :

وكان يقول: لا يستوي الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء: المنع والعطاء، والعز والذل [3]

---

[1] سير اعلام النبلاء ٦٦/١٤ وفيات الأعيان ٢ / ٣٦٩

[2] تاريخ بغداد ٩ / ١٠٤

[3] وفيات الأعيان ٢ / ٣٦٩

وقال : منذ أربعين سنة، ما أقامني الله في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته.

وقال : من اضر به الرجاء – حتى قارب الأمن – فالخوف له افضل. ومن اضر به الخوف – حتى قارب اليأس – فالرجاء له افضل.[1]

(صلاح القلب في أربع خصال: في التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء في الله .

سرورك بالدنيا أذهب سرورك بالله من قلبك ، وخوفك من غيره أذهب خوفك منه عن قلبك ؛ ورجاؤك من دونه أذهب رجاءك إياه من قلبك .

التفويض رد ما جهلت علمه إلى عالمه ، والتفويض مقدمة الرضا ، والرضا باب الله الأعظم)[2]

أنت في سجن ما تبعت مرادك وشهواتك ، فإذا فوضت وسلمت استرحت [3]

قال أبو عمرو بن حمدان : سمعته يقول : من أمرَّ السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة ، قال تعالى : وإن تطيعوه تهتدوا [4]

(ثواب الورع خفة الحساب.

موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم.

---

[1] طبقات الأولياء ١ / ٢٤٠

[2] حلية الأولياء ٢٥٨

[3] طبقات الصوفية ص ١٠١

[4] سير اعلام النبلاء ٦٤/١٤

وقال : القلب السليم هو على أربعة منازل: أولها: سلامة القلب من الشرك. والثاني: سلامة القلب من الأهواء المضلة. والثالث: سلامة القلب من الرياء والعجب. والرابع: سلامة القلب من ذكر كل شيء سوى الله .

وقال : صلاح القلب في أربع خصال: في التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء في الله.

ومن أقواله : سرورك بالدنيا أذهب سرورك بالله من قلبك، وخوفك من غيره أذهب خوفك منه عن قلبك؛ ورجاؤك من دونه أذهب رجاءك إياه من قلبك.

وقال رحمه الله تعالى : التفويض رد ما جهلت علمه إلى عالمه، والتفويض مقدمة الرضا، والرضا باب الله الأعظم.

وسُمع الحاكم يقول: سمعت الإمام أبا بكر أحمد بن إسحاق (هو الضبعي إمام الفقهاء الشافعية بنيسابور) يقول: التقيت مع أبي عثمان الحيري في يوم عيد في المصلى، وكان من عادته إذا التقى بواحد منا يسأله بحضرة الناس عن مسائل فقهية، يريد بذلك إجلاله وزيادة محله عند العوام، فسألني بحضرة الناس في مصلى العيد عن مسائل، فلما فرغ منها قلت له: أيها الأستاذ في قلبي شيء أردت أن أسألك عنه منذ حين، قال: قل، قلت: إني رجل قد دفعت إلى صحبة الناس، وحضور هذه المحافل، وإني ربما أدخل مجلساً يقوم لي بعض الحاضرين ويتقاعد عن القيام لي بعضهم، فأجدني أنقم على المتقاعد حتى لو قدرت على الإساءة إليه فعلت، قال: فلما فرغت من كلامي سكت أبو عثمان وتغير لونه ولم يجبني بشيء فلما رأيته قد تغير سكتت، ثم انصرفت من المصلى، فلما كان بعد العصر قعدت وأذنت للناس فدخل علي عند المساء جارٌ لي، قلمَّا كان يتخلف عن مجلس أبي عثمان، فقلت له: من أين أقبلت قال: من مجلس أبي عثمان، قلت: وفي ماذا كان يتكلم ؟ قال: أخذ في المجلس من أوله إلى آخره في رجل، كان ظنه به أجمل ظن، فأخبره عن سره بشيء أنكره أبو

عثمان وتغير ظنه به. قال أبو بكر: فعلمت أنه حديثي، قلت: وبماذا ختم حديث ذلك الرجل ؟ قال: قال أبو عثمان: أظهر لي من باطنه شيئا لم أشم منه رائحة الإيمان، ويشبه أنه على الضلال ما لم تظهر توبته من الذي أخبرني به عن نفسه، قال الشيخ أبو بكر: فوقع على البكاء وتبت إلى الله عز وجل مما كنت عليه .) [1]

وسئل عن قول النبي ﷺ : "أسألك الرضا بعد القضاء"

فقال لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا والرضا بعد القضاء هو الرضا [2]

قال في قوله تعالى: (فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) [3]

هذا تعزية المشتاقين، معناه: أني أعلم أن اشتياقكم إليّ غالب، وأنا أجلت للقائكم أجلاً، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه.

وقال: من عاشر الناس، ولم يكرمهم، وتكبر عليهم؛ فذلك لقلة رأيه وعقله؛ فإنه يعادي صديقه، ويكرم عدوه، فإن إخوانه في الله أصدقاؤه، ونفسه عدوه.

قال أبو الحسن الوراق، وقد سألت أبا عثمان الحيري عن الصحبة، فقال : هي مع الله بالأدب،

ومع الرسول ﷺ بملازمة العلم واتباع السنة،

ومع الأولياء بالاحترام والخدمة، ومع الإخوان بالبشر والانبساط، وترك وجوه الإنكار عليهم، ما لم يكن خرق شريعة، أو هتك حرمة، قال الله تعالى: (خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرف) [4]،

---

[1] سير اعلام النبلاء ١٤/٦٥

[2] مسالك الأبصار

[3] العنكبوت ٥

[4] الأعراف ١٩٩

والصحبة مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة، ورؤية نعمة الله عليك؛ إذ لم يجعلك مثلهم، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل [1]

ما قاله العلماء فيه:

قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي : هو في وقته من أوحد المشايخ في سيرته، و منه انتشر طريقة التصوف بنيسابور [2]

وقال عنه الذهبي : الشيخ الإمام المحدّث الواعظ القدوة، شيخ الإسلام .

هو للخراسانيين نظير الجنيد للعراقيين [3]

وقال عنه الحاكم النيسابوري : لم يختلف مشايخنا أن أبا عثمان كان مجاب الدعوة، وكان مجمع العباد والزهاد [4]

قال عنه أبو نعيم الأصفهاني : العارف الفاصح ، والعابد الناصح ، كان بالحكم منطقياً فصيحاً ، وللمريدين شفيقاً نصيحاً ، علمهم الآداب الرفيعة ونبههم على ملازمة الشريعة .

كان الى موافقة الحق مجذوباً ، وعن حظوظ النفس مطهراً مسلوباً ،

كان حميد الأخلاق شديد الإرفاق ، بقيت بركته وآثاره على أهل نيسابور [5]

قال عنه ابن فضل العمري في مسالك الأبصار : عارف زجر نفسه ووعظها ، ورأى نفسه في مرمى كل نظرة لحظها ، فحلَّ رموز آماله ، والتمس رموز القران من أمثاله ، وصحب قوماً اتخذوا نفوساً ، وشهدوا في العليا شموساً ، في فيئه قطعوا أودية الأعمار هياماً ، وطاولوا ألوية الليل قياماً ، ولم يخدع احد منهم

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٨٥ ومسالك الأبصار ٨ / ٧٠

[2] طبقات الصوفية ص ١٠٠

[3] سير اعلام النبلاء ٦٣/١٤

[4] قتلى القران ص ٧٦

[5] حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤ برقم ٥٦٨

متاع الدنيا ولا استجرّه ، ولا حام الا على زهر الثريا ونهر المجرة ، وأمسى وتربه يستهدي طيبا ، ويندى عنبراً وعوداً رطيبا [1]

مصنفاته:

كتاب "السنن" في الأحاديث النبوية .

المستخرج على الصحيحين .

وفاته :

توفي أبو عثمان في نيسابور، يوم ١٠ ربيع الثاني سنة ٢٩٨ هـ وصلى عليه الأمير أبو صالح [2]

وبلغ من ورعه والتزامه بالسُنَّةِ الشريفة في كل أحواله ، انه وهو ينازع ، وفي لحظات موته ، رأى أمراً فيه خروج على سُنَّة رسول الله ﷺ ، فردَّ صاحبه ونهاه ونصحه :

(ولما تغير على أبي عثمان الحال عند الموت مزق ابنه أبو بكر قميصا على نفسه. ففتح أبو عثمان عينه وقال:

خلاف السنة يا بني في الظاهر ، وعلامة رياء في الباطن) [3]

---

[1] مسالك الأبصار٨/ ٦٩ برقم ٢٧

[2] سير اعلام النبلاء ١٤/٦٣

[3] وفيات الأعيان ٢ / ٣٧٠

سعيد بن سلام

أبو عثمان المغربي

الصوفي الزاهد الشيخ سعيد بن سلام أبو عثمان المغربي ، قال عنه الحافظ الخطيب البغدادي :

ورد بغداد وأقام بها مدة ثم خرج منها إلى نيسابور فسكنها ، وكان من كبار المشايخ له أحوال مأثورة وكرامات مذكورة [١]

(سعيد بن سلام القيرواني البغدادي ثم النيسأبوري أبو عثمان .

من الكبار، وله أحوال وكرامات .

صحب ابن الكاتب ، وأبا عمرو الزجاجي ، ولقي أبا الخير الأقطع ؛ وجاور بمكة سنين .

وكان أوحد عصره في الورع والزهد والصبر على العزلة) [٢]

وهو من مشايخ التصوف في القرن الرابع والخامس الهجري .

قال عنه الشيخ ابن فضل الله العمري :

(كان للمتقدم اليه حرساً ، وللمتكلم لديه خرساً ، فكانت عنده لا تتكلم الألسنة ، ولا تطلق بسيئة ولا حسنة ، لمهابة ألقيت عليه ، وإنابة القيت لديه ، على بسطة للجليس ، وغبطة للأنيس ، وقِرى ، وبشاشة ، وقربٍ كان حشو الحشاشة ، وإطلاق يدٍ في جود ، وندى كرامة بأيسر موجود ، إلا انه كان يرجح الطود وقورا ، وترى السحاب الجود محقورا ، فكان كأن ضيغماً في أمانيه ، او أرقماً يساور بين نائيه .

وكان من القيروان ، من قرية يقال لها (كَـرْكَـنْت) أقام بالحرم مدة .

---

[١] تاريخ بغداد ٩/ ١١٢

[٢] طبقات الأولياء ص ٢٣٧

وصحب : علي ابن الكاتب ، وحبيباً المغربي ، وأبا عمرو الزجاجي .
ولقي : النهرجوري ، وأبا الحسن بن الصائغ الدينوري .
وكان أوحد المشايخ في طريقته وزهده ، وتقدّمه .
وهو بقية المشايخ وتاريخهم ، ولم يُرَ مثله على علو الحال ، وصون الوقت ، وصحة الحكم بالفراسة ، وقوة الهيبة .
ورد نيسابور ومات بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة) [1]
وتحدَّثت مصادر اخرى عن حياته ﷺ وعن محنةٍ تعرض لها وأُوذي بسببها .
(سافر وحج ، وجاور مدة ، ولقي مشايخ مصر والشام . وكان لا يظهر أيام الحج .
قال الحاكم : خرجت من مكة متحسرا على رؤيته ، ثم خرج منها لمحنة ، وقدم نيسابور ، فاعتزل الناس أولا ، ثم كان يحضر الجامع .
وقال السلمي : كان أوحد المشايخ في طريقته ، لم نر مثله في علو الحال وصون الوقت ، امتحن بسبب زور نسب إليه ، حتى ضرب وشهر على جمل ، ففارق الحرم) [2]
قال أبو القاسم القشيري : سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله تعالى يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول :
كنت أعتقد شيئا من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبت إلى أصحابنا بمكة إني أسلمت الان إسلاما جديدا [3]
وقال أبو عثمان المغربي فيما نقله عنه أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري "سمعت الإمام أبا بكر مُحَمَّد بن الحسن بن فورك رحمه الله تعالى يقول: سمعت مُحَمَّد

---

[1] مسالك الأبصار ٨ / ٢٠٩ – ٢١٠
[2] سير اعلام النبلاء ١٦ / ٣٢٢
[3] الرسالة القشيرية ص ٥

بن المحبوب خادم أبي عثمان المغربي يقول: قال لي أبو عثمان المغربي يوما: يا مُحَمَّد، لو قال لك أحد: أين معبودك أيش تقول؟ قال: قلت أقول حيث لم يزل، قال: فإن قال أين كان في الأزل، أيش تقول؟ قال: قلت أقول حيث هو الان، يعني أنه كما كان ولا مكان فهو الآن كما كان، قال: فارتضى مني ذلك ونزع قميصه وأعطانيه [1]

من أقواله :

(من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب .

وقال : من اشتغل بأحوال الناس ضيع حاله .

ومن مد يده إلى طعام الأغنياء بشره وسهوة لا يفلح أبداً .

وذكر بين يديه قول الشافعي : العلم علمان : العلم علمان، علم فقه للأديان، وعلم طب للأبدان. فقال رحمه الله : ما احسن ما قال .

علم الأديان علم الحقائق والمعرفة ، وعلم الأبدان علم السياسات والرياضات والمجاهدات .

وروى عن على بن مُحَمَّد الصغير القوال ، قال : قال لي جماعة من أصحابنا : تعال حتى ندخل على الشيخ أبي عثمان المغربي ، فنسلم عليه .

فقلت لهم : انه رجل منقبض، وأنا استحي منه .

فألحوا علي ، فدخلنا عليه ، فلما وقع بصره علي قال :

يا أبا الحسن ، كان انقباضي بالحجاز ، وانبساطي بخراسان) [2]

(قال السلمي : سمعته يقول :

ليكن تدبرك في الخلق تدبر عبرة ، وتدبرك في نفسك تدبر موعظة ، وتدبرك في القرآن تدبر حقيقة . قال الله تعالى أفلا يتدبرون القرآن جرأك به على تلاوته ،

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٥

[2] طبقات الأولياء ص ٢٣٧

ولولا ذلك لكلت الألسن عن تلاوته .

وقال : من أعطى الأماني نفسه قطعتها بالتسويف وبالتواني

وسمعته يقول : علوم الدقائق علوم الشياطين ، وأسلم الطرق من الاغترار لزوم الشريعة) [1]

(من مد يَده إِلَى طَعَام الْأَغْنِيَاء بشره وشهوة لَا يفلح أبدا وَلَيْسَ يعْذر فِيهِ إِلَّا الْمُضْطَر .

ومن كلامه : الاعتكاف : حفظ الجوارح تحت الأوامر .

وقال : التقوى هي الوقوف مع الحدود ، لا يُقصِّر فيها ، ولا يتعدّاها ، قال الله تعالى :

وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [2]

وقال : من آثر على التقوى شيئاً حُرم لذة التقوى .

وقال : من تحقق بالعبودية ، طهَّر سرّه بمشاهدة الغيوب ، واجابته القدرة الى كل ما يريد .

ومن أقواله ﷺ : من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب .

وقال : العاصي خير من المدَّعي ، لأن العاصي – أبداً – يطلب طريق توبته ، والمدَّعي يتخبَّط في حبال دعواه .

وقال : لا تصحب إلا أميناً ، او معيناً ، فإن الأمين يحملك على الصدق ،والمعين يعينك على الطاعة .

وقال : الحكمة : هي النطق بالحق .

---

[1] سير اعلام النبلاء ١٦ / ٣٢١

[2] الطلاق / ١

وقال : من اشتغل بأحوال الناس ضيَّع حاله .

وقال ﷺ : الغني الشاكر يكون كأبي بكر الصديق رصي الله عنه ، فقدَّم ماله ، وآثر الله عليه ، فأورثه الله عز وجل غنى الدارين ، وملكهما .

والفقير الصابر مثل أويس القرني ، ونظرائه ، صبروا فيه ، حتى ظهرت لهم براهينه .

وقال : رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي : يا أبا عثمان ـ اتق الله في الفقر ولو بقدر سمسمة) [1]

وفاته رحمه الله تعالى :

مات بنيسأبور سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة؛

وأوصى بان يصلى عليه الإمام ابو بكر ابن فورك ، ودفن بجنب أبي عثمان الحيري .

[1] مسالك الأبصار ٨ / ٢١٠ – ٢١١

سليم ابو مسلم

مؤسس الطريقة المسلمية العارف بالله السيد سليم أبو مسلم يوسف الهمداني والذي يصل نسبه الى آل بيت النبي الأطهار .

الاسم والنسب :

(السيد سليم ابو مسلم العراقي الهمذاني بن يوسف بن ايوب بن مُحَمَّد بن حسين بن علي بن جعفر بن مُحَمَّد بن محمود بن احمد بن عبد الله بن علي بن جعفر الزكي بن السيد علي الهادي بن السيد مُحَمَّد الجواد المأمون بن السيد علي الرضي الخارصي بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد مُحَمَّد الباقر بن السيد علي الأصغر زين العابدين بن الإمام الحسين بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب و ابن فاطمة الزهراء ابنة سيد الخلق و خاتم الأنبياء و إمام المتقين سيدنا أبو القاسم رسول الله مُحَمَّد صلى الله عليه واله وسّلم.

ولد ﷺ سنة ٥٦٠ هـ بجانب الكرخ ببغداد عاصمة الخلافة العباسية) [١]

وهناك من المصادر من ذهب الى ان الشيخ ولد في قرية همذان العراقية على الحدود العراقية الإيرانية وقدم في صباه سنة ٤٩٠هـ بغداد ولازم الشيخ أبا اسحق الشيرازي وتفقه عليه حتى برع في أصول الفقه والمذهب وسمع الحديث من القاضي أبي الحسين المهتدي بالله .

تلقى الشيخ علومه على أئمة التصوف وشيوخه في عصره وبرع في العلوم العقلية والنقلية ، وعرف بالذكاء الحاد ، اضافة الى تخلقه بالصدق وفضائل الأخلاق ، وكانت يد اسرته واضحة في توجهه الى السلوك الرباني .

انقطع رضي الى عنه الى العبادة ودخل الخلوة للطاعة والمناجاة .

وحين خرج رحمه الله تعالى من خلوته كان واضحاً ان لديه رسالة يسعى الى إيصالها وهدف يسعى لتحقيقه ، فالتف حوله الصالحون وصارت له حلقة

---

[١] تاريخ الطرق الصوفية ص ٤٢

وعظ وارشاد اتسعت وكثر فيها مريدوه واصبحت له مدرسة صوفية عرفت في العراق باسم (المدرسة المسلمية) .

وحين بدأت الحملة الصليبية واشتد الخطر على الشرق الإسلامي ، اطلق الشيخ نداء الجهاد بين الناس وقاد جمع المجاهدين التي أمدّت القائد صلاح الدين بالمقاتلين وكان الشيخ في طليعتهم يقاتل دفاعاً عن بيت المقدس ولإعلاء راية الإسلام .[1]

وبعد ان حقق الله لهم النصر ، توجه الشيخ الى مصر حيث هبط بلدة بحطيط من بلدان مركز ابو حماد فأقام فيها واتخذ له مسجداً لدروسه وعبادته ، فتكاثرت حوله حلقة المحبين والأتباع والمريدين .

وبهذه البلدة أسس الشيخ طريقته ووضع أُسسها وأذكارها وأورادها وتعاليمها المباركة ومنهجها التعبدي مستنيراً بالكتاب الكريم والسنّة الشريفة .

وبارك الله للشيخ بمريديه الذين اتسعت دائرتهم وعُرف لهم الصلاح وحسن العبادة .

تزوج الشيخ أبو مسلم من أخت الشيخ عبدالقادر الجيلانى، وأنجب منها أربعة أولاد وهم: صالح ومسلم والأمير عبدالله وعلوان، ونتشر أولاده في جميع أنحاء الجمهورية وذلك لنشر التصوف، وبعد وفاة زوجته الأولى تزوج من السيدة فاطمة أخت السيد أحمد البدوي، وأنجب منها ابنتين.

ورزق الله الشيخ بالذرية الصالحة وبارك له فيهم ، فنمت شجرة عائلته واتسعت فروعها حتى أصبحت قبيلة تسمى قبيلة الشيخ سليم التي تنتشر في أنحاء مصر وفي السودان .

ومن تعاليمه لمريديه :

---

[1] انظر تاريخ الطرق الصوفية ص ٤٢ – ٤٤

(لا يبلغ العبد درجة الولاية الا بعد جهاد شاق وعمل دائب واغتنام الأوقات ومحاسبة النفس وتزكية الجوارح وتقصير الأمل وتحصيل العمل ورياضة القلب وتفويض الأمور الى الغفور .

ومن كلامه :

وردي الخروج عن السوى ، والبقاء مع المولى ، ولا يصفو لأحد مقام في العبودية حتى تكون أفعاله كلها خالية من الرياء وأحواله كلها دعاء واذا اراد الله بعبد خيراً رزقه خدمة الصالحين والأخيار وسهّل عليه سبل الخير وحجبه عن المعاصي والسيئات .

ويقول ﷺ :

أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة ، فالعلم يكشف عن المراد والعمل يعين على الطلب والموهبة تبلغ غاية الأمل .

وأهل التصوف ثلاث طبقات :

مريد طالب ومتوسط طائر ومنتهى ثابت .

فالمريد صاحب وقت والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب يقين .

ويقول : ما ابتلى الله عبداً بشيء من الغفلة عنه والفتور عن الطاعة واذا أحب الله عبداً أعاده من الغفلة ، ومن يتعرض لأولياء الله فقد بارز الله بالحرب

وظل الشيخ على منهجه وعمله حتى اختاره الله تعالى الى جواره عام ٦٥٨ هـ .

وبقيت هذه الطريقة في مصر والسودان لها خلفاء ومريدين وأذكار ومنهج عبادة الى وقتنا)[1]

وفاة الشيخ :

مات ﷺ ودفن بقرية كفر أبو مسلم التابعة لمركز أبو حماد بمحافظة الشرقية وله ضريح يتردد عليه محبوه من كل أنحاء الوطن العربي .

---

[1] أنظر تاريخ الطرق الصوفية ص٤٢-٤٤

سهل بن عبد الله التستري

التُّستري، نسبة إلى "تُسْتَر [1]

(سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري ، وكنيته ابو مُحَمَّد ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري ، وهو أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال) [2]

أصله من (تستر) وبها مولده سنة ٢٠٠ هـ، وقيل غيرها .

نشأته :

أحاطت العناية بالشيخ التستري بوقت مبكر من حياته وكان لسحائب الرحمة تجليات عليه وهو بعدُ طفل صغير .

نشأ قريباً من عبد صالح ، قائم في جنح من الليل ، يتبتل الى الله في خشوع ويضرع اليه في خضوع .

---

[1] تُستُر هي مدينة إيرانية تقع شمال مدينة الأحواز في محافظة خوزستان وتبعد عنها حولي ٨١ كيلومتر فتحها المسلمون سنة ١٧ هـ بقيادة أبي موسى الأشعري

[2] طبقات الصوفية ص ١١٤ برقم ١٠

واعتاد التستري وهو لم يبلغ السنة الثالثة من عمره ان يرى خاله العابد الزاهد مُحَمَّد بن سوار يقوم ليله ويتضرع ويناجي بنهاره ، فحُبِبَت اليه الصلاة والقيام وهو بعدُ لا يعرف ترتيب الصلاة وفقه القراءة فيها ولا التسبيح .

وفي هذا الجو الإيماني الذي تغمره السكينة والمحبة راح التستري يخطو في درب الصلاح ويتوجه الى ربه ببراءة طفل وبقلبٍ نقي .

وحين بلغ السنة الثالثة من عمره كان يغادر فراشه في منتصف الليل ويقف جوار خاله المتهجد ليصلي كصلاة خاله .

وكان الخال تتنازعه رغبتان ، فهو فَرِحٌ بصلاة الطفل الذي لا يقوى على منعه من الصلاة والآية القرآنية تتردد في قلبه : أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى [1] وبين إشفاق الخال على الغلام ان يصيبه البرد ، او ان يضعفه عدم النوم ، فينشغل قلبه بالفرح بالطفل العابد والشفقة عليه فيناديه احياناً :

يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي .

يقول سهل ، فيما يرويه القشيري :

كنت ابن ثلاث سنين ، وكنت اقوم بالليل انظر الى صلاة خالي مُحَمَّد بن سوار ، وكان يقوم الليل [2]

وكان الطفل سهل تتنازعه حينها رغبتان ، رغبة الاستمرار ارضاءً لشعور بداخله ، او الذهاب الى النوم ارضاءً لخاله ... ويتأرجح بين هذا وذاك ... فتتغلب رغبته بالصلاة مرة ، وتتغلب طاعته لخاله مرة اخرى .

ويتنقل سهل في رحمة الله تحفّه العناية الربانية ويقود خطاه خاله الناصح فكان يحضر الى جنب خاله في خلوته والذي أَلِفَ وجوده جنبه ، ويألف الغلام ملازمة خاله في تهجده وعبادته .

---

[1] العلق ٩ – ١٠

[2] الرسالة القشيرية ص ٦٥

وتنمو بينهما علاقة تسمو على علاقة الدم والنسب ووِدٌ أكبر من ود القرابة والدم ، فيقول له يوماً مما يرويه سهل :

(ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت : كيف أذكره ؟

فقال لي : قل بقلبك عند تقلّبك في ثيابك ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظر اليَّ ، الله شاهد عليَّ .

فقلت ذلك ثلاث ليال ، ثم أعلمته ، فقال لي :قل في كل ليلة سبع مرات .

فقلت ذلك ، ثم أعلمته .

فقال : قل في كل ليلة احدى عشرة مرة .

فقلتُ ذلك ، فوقع في قلبي له حلاوة .

فلما كان بعد سنة قال لي خالي :

احفظ ما علّمتك ، ودم عليه الى ان تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة .

فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لها حلاوة في سري) [1]

ويكبر سهل ويكبر معه شوقه لأن يتعبد كخاله وان يناجي ربه في خلوته كما يفعل خاله ، وان ينكشف له السر الخفي الذي يجعل خاله يترك فراشه ليلاً ليسجد لله في ظلمة الليل .

وتستمر رعاية الخال الصالح ، ويذكر سهل قول خاله له يوماً ليشرح له ما في هذا الورد من بركة :

(يا سهل : من كان الله معه ، وهو ناظر اليه ، وشاهده ، أيعصيه ؟ إياك والمعصية ، فكنت أخلو فبعثوني الى الكتّاب) [2]

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٦٥

[2] الرسالة القشيرية ص ٦٦

كان يخلو ... وهو بعدُ لم يُرسل الى الكتّاب ... كان ﷺ يخلو متعبداً ، متهجداً ، ذاكراً ، وهو بسن مبكرة .

لقد ذاق حلاوة العبادة ... وذاق حلاوة الذكر ... وذاق حلاوة التهجد ، ذاق فَلَزِمَ ، وتَمَسَّك ... تمسّك بورده الذي سيُعرف بعدها بورد التستري او ورد سهل .

وحين يبلغ السن التي تؤهله بالذهاب الى الكتّاب ليحفظ القرآن ، كان حينها قد أَلِفَ الخلوة للتعبد ، فيخشى ان تتوزع همته فتقلُّ او تضعف .فيشترط على أهله ان يذهب الى الكتّاب ساعة ليتعلم ثم يرجع .

(فبعثوني الى الكتاب ، فقلت : إني لأخشى ان يتفرق عليَّ همّي ، ولكن شارطوا المعلم : أني اذهب اليه ساعة ، فأتعلم ، ثم ارجع) [1]

كان ﷺ في سن يفرح أقرانه بالذهاب الى الكتاب وباللعب والمرح .

(فمضيت الى الكتاب ، وحفظت القرآن ، وانا ابن ست او سبع سنين ، وكنت أصوم الدهر ، وقوتي خبز الشعير ، الى ان بلغت اثنتي عشرة سنة ، فوقعت لي مسألة)[2]

ان قد أَلِفَ الخلوة والذكر حيث يتجمع الذهن ويتركز الفكر في المذكور وفيها يجد للذكر لذة ويجد للصدر انشراحاً ، واليوم يضاف لخلوته القرآن ، فيزداد النور ويزداد انشراح الصدر فيجد الهداية ويتلمس الدرب .

وسوف لن يكتفي التستري لاحقاً بترديد آيات القرآن الكريم ، بل سيؤمن ان المعاني اللغوية الضيقة غير قادرة على تفسير القرآن والإحاطة بمعانيه وما لها من سعة ، وان القرآن ليس ما يظهر للناظر في الوهلة الأولى ، فوراء ظاهره أسرار لا

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٦٦

[2] الرسالة القشيرية ص ٦٦

تتعارض مع الظاهر لكنها توضحه وتجليه وتجعله اكثر وضوحاً وقرباً للقلوب والنفوس والأرواح .

وسيفسر التستري القرآن فيبحث بتفسيره عن المعاني في ما وراء النص ، ولن يكون التفسير لكل آيات القرآن الكريم بل ستقتصر على تفسير البعض منها ، وسيتضمن تفسيره على توضيحات وتعليقات كانت استجابة لأسئلة بعض تلاميذه .

فسورة الفاتحة الشريفة فسَّر منها اول خمس آيات فقط .

(قال أبو بكر: سئل سهل عن معنى: (بسم الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) فقال:

الباء بَهاء الله عزَّ وجلَّ ، والسين سناء الله عزَّ وجلَّ ، والميم مجد الله عزَّ وجلَّ ، قال التستري قدس سره : والله : هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب ، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة. لا ينال فهمه إلاَّ الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان.

والرحمن : اسم فيه خاصية من الحرف المكنى بين الألف واللام .

والرحيم : هو العاطف على عباده بالرزق في الفرع والابتداء في الأصل رحمة لسابق علمه القديم .

قال أبو بكر: أي بنسيم روح الله اخترع من ملكه ما شاء رحمة لأنه رحيم .

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: (الرحمن الرحيم) اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر، فنفى الله تعالى بهما القنوط عن المؤمنين من عباده)[1]

مرحلة جديدة :

كانت رياضة سهل : ذكر وقرآن ... اضافة للعبادة المفروضة والسنن .

لكن عنصراً جديداً دخل رياضته ، ذلك هو الصوم .

---

[1] تفسير التستري ص ٢٢

ولم يكن الصوم جديداً بنوعه ، لكنه كان جديداً في استمراره ودوامه .
لقد نوى سهل صيام دهره كله وهو في العاشرة من عمره .
وكان يتقوت في صيامه بالخبز ، خبز الشعير ، ولم يكن له إدام مع الخبز [١]
وتكيّف جسم سهل على الجوع ، بل كان يصحُّ بجوعه ، فكأنه كان يقتات بحبه لله وقربه منه .
(الى ان بلغت اثنتي عشرة سنة ، فوقعت لي مسألة وانا ابن ثلاثة عشرة سنة ، فسألت اهلي ان يبعثوني الى البصرة أسأل عنها ، فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف احد منهم عني شيئاً .
فخرجت الى عبادان ، الى رجل يعرف بأبي حمزة بن عبد الله العباداني ، فسألته عنها فأجابني .
واقمت عنده مدة أنتفع بكلامه واتأدب بأدبه) [٢]
(وهذه المسألة يتحدث عنها الشيخ الأكبر :
فيقول : كان بدء سهل في هذا الطريق ((سجود القلب)) وكم من ولي كبير الشأن ، طويل العمر ، مات وما حصل سجود القلب .
ولا عِلمَ له ان للقلب سجوداً مع تحققه بالولاية ورسوخ قدمه فيها ، فإن سجوده اذا حصل لا يرفع رأسه أبداً من سجدته فهو ثابت على تلك القدم الواحدة التي تتفرع منها أقدام كثيرة .
وأكثر الأولياء يرون تقلب القلب من حال الى حال ، ولهذا سمي : قلباً وصاحب هذا المقام وان تقلبت احواله ، فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها بسجود القلب) [٣]

---

[١] انظر الرسالة القشيرية ص ٦٩
[٢] الرسالة القشيرية ص ٦٩
[٣] العارف بالله سهل ص ٢٣

ولهذا لما رأى في ابتداء دخوله الطريق ان قلبه سجد ، وانتظر ان يرفع فلم يرتفع فبقي حائراً ، فما زال يسأل الشيوخ عن واقعته فما وجد احد يعرفها فإنهم اهل صدق ولا ينطقون الا عن ذوق محقق .

وفي عبادان وجد الشيخ العارف ، وحين سأله أيسجد القلب ؟

فقال : يسجد والى الأبد .

فوجد شفاء قلبه عنده ولزم خدمته .

الى تستر من جديد :

وعاد سهل الى تستر عاد ليستمر في الاتجاه الى الله ، وبقوة .

عاد الى ذكره وخلوته وصيامه ، ووجد لكل ذلك نوراً ، نوراً جديد .

وراح يطوي في صيامه ، فطوى اليومين والثلاثة ، وطوى أكثر ...

واستمر على ذلك عشرين عاماً .

يقول الشيخ سهل التستري ﷺ :

ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ، ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله [1]

(وكانت السياحة في ذلك الزمن من الأمور الجوهرية بالنسبة لرجال العلم وبالنسبة لرجال الطريق ، وهي بالنسبة للفريقين سياحة دينية يريدون بها وجه الله ويبتغون بها مرضاته .

اما ضرورة السياحة لرجال العلم فذلك ان الأقطار الإسلامية توزعت فيها العلوم المتخصصة كفقه وحديث وتفسير ... فكان العالم يسافر ليتعلم وليأخذ العلوم من منابعها ، فلطالما ارتحل عالم الى اكثر من بلد ليأخذ حديثاً ، او ليصححه .

اما السياحة الثانية فهي سياحة تبتل وتحنّث ، فالشخص وسط أهله ينشغل بهم وينشغلون به ، فتتوزع افكاره ، فلا يتاح له القرب من الله ، ولا الخلو الى ربه ،

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٦٩

ولا يطلب الحق ، إلا في سياحته حيث التجرد من كل شيء ، والتفرغ لله ، فلا عائق ولا شاغل ، فليس سوى العابد وربه .

وكان الصوفية يسيحون عبادة ، ويسيحون استزادة من انوار قوم قريبون من ربهم ، ويسيحون استرشاداً في الطريق وطلباً للبركة ويسيحون للتأثير الروحي بالجلوس الى ارباب المقامات العالية ، والمنازل السامية)[1]

يقول صاحب كتاب (صفة الأولياء ومراتب الأصفياء) :

(ذَكَرَ سهل التستري وهو ابن ثلاث سنين

وصام وهو ابن خمس سنين

وترك الشهوات وهو ابن سبع سنين

وكانت تُلقى مُشكلات المسائل على العلماء ، ثم لا يوجد جوابها وهو ابن أحد عشر سنة ، وحينئذ ظهرت عليه الكرامات .

وما من شك في اننا لا نكاد نعلم شيئاً عن حياة سهل الشخصية ولكننا اخذنا نتلمس في المصادر النادرة ما قد يلقي بعض الضوء على حياته ، نذكر من ذلك :

يقول سهل : لي اربعون سنة أُكلم الله والناس يظنون اني اكلمهم .

ويقول جامع تفسير سهل :

وصلى سهل صلاة العتمة فقرأ قول الله تعالى :

وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً

فجعل يحرّك فاه كأنه يمص شيئاً ، فلما فرغ من صلاته قيل له :

أتشرب في الصلاة ؟

فقال : والله لو لم أجد لذته عند قراءته كأني عند شربه ، ما فعلت ذلك .

وسُئل عن قوله :

---

[1] انظر العارف بالله سهل ص ٢٥ – ٢٦

اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ... فقال :

هذه أعظم آية في كتاب الله تعالى ، وفيها اسم الله الأعظم ، وهو مكتوب بالنور الأخضر في السماء سطراً واحداً من المشرق الى المغرب ، كنت رأيته كذلك في ليلة القدر مكتوباً وانا بعبادان : لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)[1]

محنة التستري :

وقد ابتلي سهل بإخراجه من تُستر إلى البصرة، فبقي فيها حتى مات .

وسبب ذلك – كما قال السراج – أنه قال : التوبة فريضة على العبد مع كلِّ نفَس [2]

فسعى مَن سعى وهيَّج العامة وكفّره، ونسبه إلى القبائح عند العامة، حتى وثبوا عليه، وكان ذلك سبب خروجه عن تُستر وانتقاله إلى البصْرة – رحمه الله [3]

أقوال العلماء في التستري :

قال عنه الشيخ القشيري :

أحد ائمة القوم ، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع ، وكان صاحب كرامات [4]

وقال عنه الشيخ الحافظ ابو نعيم الأصفهاني :

الشيخ المسكين ، الناصح الأمين ، الناطق بالفضل الرصين [5]

وقال عنه الشيخ السلمي :

---

[1] العارف بالله سهل ص ٢٨ – ٢٩ عن صفة الأولياء ومراتب الأفياء

[2] وقد فسّر التوبة في مواضع أخرى بأنها التوبة من الغفلة في كل طرفة ونفس؛ انظر: "قوت القلوب" ١ / ٨١٣.

[3] اللُّمَع ص ٤٩٩

[4] الرسالة القشيرية ص ٦٥

[5] حلية الأولياء ١٠ / ١٨٩ برقم ٥٥٤

أحد ائمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال [١]

وقال الهجويري: "وكان مِن مُحْتشمي أهل التصوُّف وكبارهم".

وقال الذهبي: "شيخ العارفين، الصُّوفي الزاهد".

وقال الحافظ البغدادي في (تاريخ الإسلام) : مِن أعيان الشيوخ في زمانه، يعد مع الجنيد، وله كلامٌ نافعٌ في التصوُّف والسُّنَّة .

ووصف الهجويري طريقته : وطريقه الاجتهاد، ومُجاهدة النَّفْس والرياضة .

وقال: "إنه جمع بين الشريعة والحقيقة".

وذكر السَّمْعاني بأنه صاحب كرامات وآيات.

أثنى ابن تيميَّة على عقيدته حيث قال:

وكلام سهل بن عبدالله في السُّنَّة وأصول الاعتقادات أسدُّ وأصْوَب مِنْ كلام غيره [٢]

ويقول في موضع آخر: وكلام سهل بن عبدالله وأصحابه في السنة والصفات والقرآن أشهر من أن يُذكر هنا... [٣]

ويمدحه الإمام ابن القيِّم بـ : سيد وشيخ الطائفة [٤]

التستري واتباع الكتاب والسُنّة :

كان له ﷺ صلة بالحديث وبأهله ، وارتبط بهما ارتباطًا وثيقًا ، وكان رجال الحديث موْضع إعجابه وتقديره .

(روى الهروي: قيل: لسهل ، إلى متى يكتب الرجل الحديث ؟

---

[١] طبقات الصوفية ١١٤

[٢] الاستقامة ١ / ١٥٨

[٣] الاستقامة ١ / ٢٠٨

[٤] المدارج ٣ / ١٣٩

قال : حتى يموت ويصب باقي حبره على قبره [١]

وروي عنه قوله : احتفظوا بالسواد على البياض (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فما أحد ترك الظاهر إلا خرج إلى الزندقة [٢] .

وروي عنه قوله : مثل السنَّة في الدنيا كمثل الجنة في الآخرة، من دخل الجنة في الآخرة سلم، ومن دخل السنة في الدنيا سلم [٣] .

وقال سهل: (كلُّ فعل يفعله العبد بغير اقتداءٍ، طاعة كان أو معصية ، فهو عيش النفس [٤]، وكل فعل يفعله بالاقتداء،

فهو عذاب على النفس [٥]) [٦]

– وفي التفسير المنسوب له، قال في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٧] ، قال سهل: الحكمة إجماع العلوم ، وأصلها : السنَّة [٨]

– لقد أقام المذهب على طريقة الاقتداء ، وأعلن أن أصول الزهد الحقيقي تقوم على سبعة أسس ، وهذا الطريق فيه سلامة من اتباع الهوى [٩]

والأسس السبعة كما فصّلها صاحب كتاب حلية الأولياء :

أصولنا سبعة أشياء :

---

[١] ذم الكلام ٤ / ٣٨٣ ح ١٢٥٥

[٢] ذم الكلام ٤ / ٣٧٨ ح ١٢٤٦

[٣] ذم الكلام ٤ / ٣٨٤ ح ١٢٥٧

[٤] يعني: باتِّباع الهوى

[٥] يعني: لأنه لا هوى له فيه، واتباع الهوى هو المذموم، ومقصود القوم تركه البتة

[٦] الرسالة القشيرية ص ٦٩

[٧] البقرة : ٢٦٩

[٨] تفسير سهل ص ٣٣

[٩] راجع: "الزُّهَّاد الأوائل" ص ١٤٤

التمسُّك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق [١]

– وقال سهل : ليس لأهل المعرفة همَّة غير هذه الثلاثة إذا صلحوا :

الاقتداء بالنبي ﷺ والاستعانة بالله سبحانه وتعالى

والاقتداء هو: الافتقار ، والصبر على ذلك إلى الممات [٢]

– وسُئل عن المعرفة فقال :

لا ينالها أحد إلا بعد المكابَدة ، فيتلذذ بمخالفة هواه أكثر مما يتلذذ بمتابعة هواه ، فعند ذلك يعرف [٣]

– وقال رضي الله عنه :

لا يطلق روح العبد في معرفة الله حتى تستقيمَ نفسُه في طاعة الله [٤]

– وقال سهل :

لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ، ولا زاد إلا التقوى ، ولا عمل إلا الصبر عليه [٥]

– وقال سهل :

فكل وَجْد لا يشهد له الكتاب والسنة ، فهو باطِل [٦]

اعتقاد التُّستري المُجْمَل:

– ساقه الإمام اللالكائي في (أصول الاعتقاد) :

---

[١] حلية الأولياء ١٠ / ١٩٦

[٢] الحلية ١٠ / ٢١٠

[٣] لزهد؛ للبيهقي ح٣٢٢

[٤] الزهد؛ للبيهقي ح٣٢٣

[٥] لحلية" ١٠ / ١٩٨، والطبقات للسلمي ص ١١٦

[٦] اللمع ص١٤٦

قال : سمعتُ سهل بن عبدالله يقول وقيل له : متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة ؟ قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال:

لا يترك الجماعة ، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف ، ولا يكذب بالقدَر ، ولا يشك في الإيمان ، ولا يُماري في الدين ، ولا يترك الصلاة على مَن يموت من أهل القبْلة بالذنب ، ولا يترك المسْح على الخُفَّين ، ولا يترك (الجماعة) خلف كل والٍ جارَ أو عدَلَ [1]

– وقال: مَن كان اقتداؤه بالنبي ﷺ لم يكنْ في قلبه اختيار لشيء من الأشياء، ولا يجول قلبه سوى ما أحب الله ورسوله ﷺ [2]

– وسُئل : كيف يتخلَّص العبدُ مِنْ خدعة نفسه وعدوه ؟

قال : يعرف حاله فيما بينه وبين الله، وبعد عرفان حاله فيما بينه وبين الله يعرض نفسه على الكتاب والأثر ، ويقتدي في الأشياء بالسنة .

وقال : على هذا الخلق من الله أن يلزموا أنفسهم سبعة أشياء، فأولها الأمر والنهي وهو الفرض ثم السنة ثم الأدب... [3]

عقيدة سهل المفصّلة:

– قال سهل :

(الإيمان : قول وعمل ونية، وما وافق السنة ، يزيد وينقص، ويقوى ويضعف ، يقوى بالعلم ، ويضعف بالجهل ، ذلك بعلمه ، وهذا بجهله .

القول قول اللسان: لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله.

والإيمان : إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث والنشور.

---

[1] الأصول ١ / ٢٠٥

[2] الحلية ١٠ / ١٩٨

[3] لحلية" ١٠ / ١٩٩

والعمل بالجوارح : إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإقامة الأحكام، والنية، والإخلاص لله في العمل ؛ لقوله: ((الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى))، والقوة بالعلْم، والنقصان بالجهل.

أصل ما يلزمنا الإيمان به في الدنيا : الإيمان بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورسله، والإيمان بقضائه خيره وشره، وحلوه ومره، حتى تعلم أن ما أصابك لَم يكن ليخطئك، وما أخطأك لَم يكن ليصيبك ، وأفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ، ﷺ .

والقرآن كلام الله ، فإن زدتَ فقل : غير مخلوق، والصلاة خلف كل بر وفاجر ، (يعني الأئمة والسلطان)، ولا تُكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ، ولا تشهد لأحدٍ منهم بجنَّة أو نار .

وسبعة من أمور الآخرة مَن جحدها فهو مبتدِع، فإن بينت له بالقرآن والآثار فرد وأنكر يُستتاب، فإن أبى فهو كافر، ولا يصلى عليه إذا مات، ولا يعاد إذا مرض ولا يُزَوَّج، وأول ذلك: عذاب القبر ونعيمه، والحشر والجمع يوم القيامة، والميزان والحساب، والحوض والشفاعة والصراط، ودخول النار والخروج منها، ودخول الجنة والزيادة، وهو: النظر إلى الله – عز وجل – مَن طعن في هذا أو أحد منها، فهو مُبتَدِع)[1]

– وقال: معرفةٌ وإقرار، وإيمان وعمل، وخوف ورجاء، وحب وشوق، وجنة ونار.

فالمعرفة : خوفٌ.

والإقرار : رجاء .

والإيمان : خوف .

والعمل : رجاء .

---

[1] كلام سهل ١٩٢ – ١٩٣

والخوف : رهبة .

والحب : رجاء .

والشوق : خوف بعد.. [1]

– وذُكر عن سهل – رحمه الله – أنه كان يقول :

أهل لا إله إلا الله كثير، والمخلصون منهم قليل [2]

— وقال : ليس في خزائن الله أكبر من التوحيد [3]

– وقال: الإيمان بالفرائض وعلمها فرضٌ ، والعمل بها فرض، والإخلاص فيها فرض ، والإيمان بالسنة فرض بأنها سنة، وعلمها سنة ، والعمل بها سنة، والإخلاص فيها فرض ، والإخلاص بالإيمان العمل به [4]

التوحيد:

– وعن سهل أنه قال :

ذات الله موصوفة بالعلم، غير مُدرَكة بالإحاطة ، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا ، موجودة بحقائق الإيمان ، من غير حدٍّ ولا إحاطة ولا حلول ، وتراه في العقبى ظاهراً وباطناً في ملكه وقدرته ، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، والقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ، ينظر المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية [5]

ثم علق الهجويري بقوله: "وهذا قولٌ جامع لكل أحكام التوحيد".

– وقال سهل : اعلموا – إخواني – أنَّ العباد عبدوا الله على ثلاثة أوجه :

---

[1] الحلية ١٠ / ٢٠٧

[2] اللمع ص١١٧

[3] الحلية ١٠ / ١٩٦

[4] الحلية ١٠ / ٢٠٣

[5] كشف المحجوب ص٥٢٥

على الخوف، والرجاء، والقُرب... [1]

– وقال سهل : لا يصح الإخلاص إلا بترك سبعة: الزندقة، والشِّرك، والكفر، والنفاق، والرياء، والوعيد [2]

– وقال : الدنيا كلها جهل، إلا ما كان منه العلم، والعلم كله حجة، إلا ما كان العمل به، والعمل كله هباء، إلا موضع الإخلاص فيه، وأهل الإخلاص على خطرٍ عظيم [3]

التوكل :

– وقال سهل : ومَن يتوكل على الله فهو حسبه .

– قال : لا يصح التوكل إلا لمتَّقٍ، ولا تتم التقوى إلا لمتوكِّل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [4] ﴾ [5]

– وقال أيضًا : من طعن في التوكُّل فقد طعن في الإيمان، ومَن طعن في التكسب فقد طعن في السنة [6]

– وسُئل سهل عن التوكل فقال : الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد [7]

– وسُئل أيضًا عن التوكُّل فقال : التوكل وجهٌ كله وليس له قفا، ولا يصح إلا لأهل المقابر [8]

---

[1] الحلية" ١٠ / ١٩١

[2] "الحلية" ١٠ / ٢٠٢ – ٢٠٣

[3] اللمع" ص١١٨

[4] المائدة: ٢٣

[5] الحلية" ١٠ / ١٩٢

[6] الحلية" ١٠ / ١٩٥

[7] اللمع" ص٧٨، و"التعرُّف" ص١١٨

[8] للمع" ص٧٩

– وقال سهل : من طعن على الاكتساب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان [1]

وفاته :

توفّي سهل رحمه الله في البصرة في المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين (٢٨٣هـ).

سمنون بن حمزة الخوّاص

أبو الحسن سمنون المحب

أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري .

وهو أحد شعراء العصر العباسي ، شاعر متصوّف سارِحٌ في مَلَكوت الله تعالى، لُقِّبَ في عصرِهِ بسمنون المحبّ لأنّه كان ينسج غزلياته وينظم محبته لله تعالى ، وكان يسمّي نفسه بـ "سمنون الكذاب" لقوله مرة :

فَلَيسَ لي في سِوَاكَ حَظٌّ فكَيفَ مَا شِئتَ فَامتَحنّي

إن كان يرجو سواك قلبي لا نلتُ سُؤلي ولا التمَنّي

فابتلى الله تعالى سمنون المحب بمرض عسر البول ، فأصبح يطوف على المكاتب ويقول للصبيان : (ادعوا لعمكم الكذّاب) [1]

---

[1] اللمع" ص٢٥٩

أصله من البصرة في العراق وعاش في بغداد .

صحب السري السقطي وأبا أحمد القلانسي ومُحَمَّد بن علي القصاب ، الذين كانوا من أكبر متصوفة بغداد ومشايخها ، وكان ورده في كل يوم وليلة خمسمائة ركعة .

وقد اشتُهر لسمنون شعرٌ جيّد ، وهو القائل :

لا يعبَّرُ عن شيءٍ إلا بما هو أرقُّ منه، ولا شيءَ أرقُّ من المحبّة فما يعبر عنها ، فكان داعيًا إلى المحبة ، خلّدَ نفسَهُ بالحبّ ، وسُمِّيَ بالمحبّ، فكانَ محباً في حياته ، ولازمته صفة المحب حتى بعد وفاته فما زال يدعى سمنون المحب .

ذكره فريد الدين العطار في مؤلفه «تذكرة الأولياء»، فقال عنه:

(كان رحمه الله وحيداً في شأنه ، فريداً في أوانه ، مقبولاً لأهل زمانه ، وله اشارات غريبة ، ورموز عجيبة ، وهو في المحبة آية ، ولأكابر أقرّوا بكماله ، واعترفوا بفضائله .

وله في المحبة مذهب خاص ، حتى قدَّم المحبة على المعرفة) [٢]

وقال عنه الشيخ المناوي في الكواكب الدرية :

إمام بالورع متصف ، عارف تقرُّ له اهل الفضائل بالفضل وتعترف ، ناسكٌ في العَرَضِ زاهد ، صوفي نَفعُهُ على المريدين عائد [٣]

وقال عنه أيضاً :

وكان سمنون عظيم الشأن جداً [٤]

ومنهجه ﷺ يتضح من قوله :

---

[١] حلية الأولياء ١٠ / ٣١٠ برقم ٥٨١

[٢] تذكرة الأولياء ص ٤٩٨ برقم ٥١

[٣] الكواكب الدرية ١ / ٦٣٠

[٤] الكواكب الدرية ١ / ٦٣٢

أصلُ الطريق الى الله تعالى والقاعدة فيه انما هو المحبة ، وغير المحبة بالنسبة اليها هباء منثور [١]

وسمنون الصوفيّ الشاعر اشتهر له شعر جيّد تداولَه الناس وجمهور النقّاد تذوّقًا وتحليلًا ، ولعلّ أبرزَ ما قال :

أحنّ بأطراف النهار صبابةً وبالليل يدعوني الهوى فأجيبُ
وأيامُنا تفنى وشوقي زائدٌ كأنّ زمانَ الشَّوقِ ليسَ يغيبُ [٢]

ومما قال أيضًا:

بكيتُ ودمعُ العينِ للنَّفسِ راحةٌ ولكنَّ دمعَ الشَّوقِ يُنْكَأْ بهِ القَلْبُ
وذكرى لما ألقاهُ ليسَ بنافعي و لكنَّهُ شيءٌ يهيجُ بهِ الكَرْبُ
فلو قِيلَ لي منْ أنت قلتُ معذبٌ بنارِ مواجيدٍ يضرّمُـــها العتْبُ
بُليْتُ بمنْ لا أستطيعُ عتـابَهُ و يَعتُبنِي حتَّى يُقالَ لي الذَّنْبُ [٣]

وقال أيضًا:

أفديكَ بل قلّ أن يفديك ذو دنفٍ هل في المذلّة للمشتاق من عارِ؟
بي منك شوقٌ لوَ أنَّ الصخرَ يحملُهُ تفطّر الصَّخرُ عن مستوقدِ النارِ
قد دبّ حبّك في الأعضاءِ منْ جسدي دبيبَ لفظيَ من روحي وإضماري
ولا تنفّست إلا كنتَ مع نَفَسِي وكلُّ جارحةٍ من خاطري جاري [٤]

وقال:

---

[١] تذكرة الأولياء ص ٤٩٨ برقم ٥١

[٢] ديوان سمنون ص ٤

[٣] ديوان سمنون ص ٤

[٤] ديوان سمنون ص ٥ – ٦

وقد كان قلبي خالياً قبل حبكم وكان بذكر الخلقِ يلهو ويمزحُ
فلما دعا قلبي هواك أجابَهُ فلستُ أراهُ عنْ فنانكَ يبرحُ
رُميتُ ببينٍ منكَ إنْ كنت كاذباً إذا كنتُ في الدنيا بغيركَ أفرَحُ وإنْ
كان شيءٌ في البلاد بأسرِها إذا غبت عن عيني بعيني يُلمحُ
فإنْ شئتَ واصلْنِي وإنْ شئتَ لا تصلْ فلستُ أرى قلبي لغيركَ يَصْلُحُ [1]

وقال أيضًا:

أنتَ الحبيبُ الَّذي لا شكَّ في خلدٍ منهُ فإنْ فقَدَتْكَ النَّفسُ لم تَعِشِ
يا مُعطشي بوصالٍ أنتَ واهبُهُ هل فيكَ لي راحةٌ إنْ صِحْتُ واعَطَشِي

وقال :

تجرّعت من حاليه نعمى وأبؤسا
زمان إذا أمضى عزاليه أُحتسى
فكم غمرة قد جرعتني كؤوسها
فجرعتها من بحر صبري أكؤسا
تدرعت صبري والتحفت صروفه
وقلت لنفسي الصبر أو فاهلكي أسى
خطوب لو أن الشم زاحمن خطبها
لساخت ولم تدرك لها الكف ملمسا [2]

وقال :

كان لي قلبٌ أعيش به ضاع منّي في تقلبِه
رب فأردده عليّ فقد ضاق صدري في تطلبه
وأغث ما دام بي رمقٌ يا غياثَ المستغيثِ به

---

[1] ديوان سمنون ص ٥

[2] ديوان سمنون ص ٦

عاش ﷺ عابداً محباً ملك الحب قلبه تماماً ، وسار من خلال هذه المحبة نحو الله تعالى ، فسعى بقلب المتصوف نحو إدراك أعلى المراتب والدرجات في التقرّب من الله عز وجل ، فقد كانت المحبة بالنسبة له تعد مقاماً تستريح عنده العبادة؛ من أجل الوصول إلى مقام المقربين ، لقد طرز من تلك المحبة أجنحة تحلق به نحو نور الحق سبحانه وتعالى ، فانفتحت عليه من السماء بركات المعرفة، وأنوار الحقيقة، والمدد الروحي، ينشد قائلاً:

وقد كان قلبي خالياً قبل حبكم
وكان بذكر الخلقِ يلهو و يمزحُ
فلما دعا قلبي هواك أجـابَهُ
فلستُ أراهُ عنْ فنانكَ يبرحُ

اتخذ سمنون من الشعر والنظم وسيلة وأداة يعبر فيها عما يجيش بنفسه من لواعج الحب والشوق ، ولئن كان ذلك شأن كل المتصوفة ؛ إلا أن سمنون بلغ به ذلك الحب مبلغاً عظيماً ، فكان نظمه الشعري أقرب إلى الغزلي ، فتجد فيه مفردات الشوق وتباريحه ، والحب وجنته ، والقرب ونعيمه ، والبعد وشقاءه ، وغيرها من دفقات شعورية صاغها في نظم فريد ، فهو في حال لن يشفى منه إلا بنيل رضى المولى عز وجل ، فقلبه لغير الله لا يصلح كما قال ذات مرّة ، وعلى الرغم من اشتهار الكثير من شعراء المتصوفة ؛ أمثال :

جلال الدين الرومي ، وابن الفارض ، ورابعة العدوية ، والجنيد ، وابن عربي ، وغيرهم من الأفذاذ ؛ إلا أن سمنون كان حالة خاصة في العشق والشوق ، وقد تقلب في تلك الأحوال حتى قيل إن خطبه في الحب كانت شديدة التأثير على مستمعيه ، وفي ذلك الكثير من الحكايات، ومنها ما رواه فريد الدين العطار:

(إذ ذكر أن سمنون كان يعظ يوماً ويتكلم عن المحبة ؛ إذ جاء طيرٌ ، ووقع على رأس سمنون ، ثم نزل على يده ، ثم جلس على حجره ، ثم نقر بمنقاره على الأرض، إلى أن جرى منه الدم ، وخر صريعاً) [1]

(وحكي في فواتح الجمال :

انه كان اذا تكلم في المحبة ، جعلت قناديل الشونيزيه تجيء وتذهب ، يميناً وشمالاً .

وفي روض الرياحين : انه تكلم في المحبة ، فتكسرت قناديل المسجد كلها من اضطرابها) [2]

والقصة تشير إلى قوة تأثير خطب سمنون في مقام الحب والمحبة ، وهو أشهر أقوال ذلك الصوفي العاشق في المحبة :

(لا يعبَّرُ عن شيءٍ إلا بما هو أرقُّ منه ، ولا شيءَ أرقُّ من المحبّة ، فما يعبر عنها ؟)[3]

وتلك الكلمات الرقيقات تفصح تماماً عن شخصية الرجل ، فقد كان يدعو إلى المحبة، خلّدَ نفسَهُ بالحبّ، وسُمِّيَ بالمحبّ .

المتصوف الزاهد :

وعرف عن سمنون حسن العبادة دون تعب أو ملل، كما عرف عنه ورعه وزهده في الحياة الفانية كشأن السالكين الصادقين الذين ما فتنوا في الدنيا، وما زاغوا عن طريق ربهم ، وما يشير لزهده مقولته التي تحدد طريقه في الزهد والتصوف : التصوّف أن لا تملك شيئاً وأن لا يملكك أي شيء

---

[1] الرسالة القشيرية ٢ / ٤٩١

[2] الكواكب الدرية ١ / ٦٣٠

[3] الرسالة القشيرية ٢ / ٤٩٣

وظل زاهداً لا يرى في الحياة ما يستحق من متع سوى محبة الله تعالى، وروى الإمام القشيري قصة تشير إلى زهد سمنون فقال:

فرق رجل ببغداد على الفقراء أربعين ألف درهم، فقال لي سمنون: يا أبا أحمد، ألا ترى ما قد أنفق هذا، وما قد عمله؟ ونحن ما نجد شيئاً، فامض بنا إلى موضع نُصلِّ فيه بكل درهم أنفقه ركعة. فمضينا إلى المدائن، فصلّينا أربعين ألف ركعة [1]

من أقواله :

(سُئل عن الفقير الصادق فقال : الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى ، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقر .

وقال : اذا بسط الجليل غداً بساط المجد ، دخل ذنوب الأولين والآخرين في حاشية من حواشيه ، واذا أبدى عيناً من عيون الجود ألحَقَ المسيء بالمحسن .

قال ابو الحسن ابن زرعان :

كنت عند سمنون فشهق شهقة ثم قال :

لو صاح إنسان لشدة وجده بحبه لملأ ما بين الخافقين صياحاً) [2]

(وقال : اول وصل العبد هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه .

وقال : ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة لحديث :

المرء مع من أحبَّ

وسُئل عن المحبة فقال :صفاء الود ، مع دوام الذكر) [3]

---

[1] صفة الصفوة ص ٤٦٩ برقم ٢٩٩ و الرسالة القشيرية ٢ / ٤٩١ و حلية الأولياء ١٠ / ٣١٠ برقم ٥٨١

[2] طبقات الصوفية ص ٦٢

[3] الكواكب الدرية ١ / ٦٣٠ – ٦٣١

وقال ﷺ :

مضى الوقت فصار الوقت مقتاً ، وقتك خراب وقلبك في المحراب ، ومن كانت عبادته عناء كانت ثمرته ضناء [1]

وفاته رحمه الله تعالى :

توفي في بغداد سنة ٢٩٨ هـ ودُفن في المقبرة الشونيزية [2]

[1] حلية الأولياء ١٠ / ٣١١

[2] طبقات الأولياء ١ / ٢٤٤

حرف الزاي

ز

زين الدين ابو بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد الخوافي

الولي الشيخ زين الدين ابو بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد الخوافي ، مؤسس الطريقة الزينية وهي ترجع الى الطريقة الجنيدية .

ولد زين الدين عام (٧٥٧ هـ _ ١٣٥٦ م) في مدينة خوف بين بوشنج وزوزن من أعمال خراسان وتوفي ودفن عام (٨٣٨ هـ – ١٤٣٥ م) في قرية مالين على مسيرة فرسخين من هراة ثم نقلت رفاته الى درويش اباد (وهي الان في محافظة خوزستان جنوبي جمهورية إيران الإسلامية)، ومنها الى عيد كاهراة حيث شيد عليها مسجد .

نال زين الدين اجازته في مصر على يد نور الدين عبد الرحمن المصري وعاد الى آسيا الوسطى ثم عاد لزيارتها مرة اخرى بعد ذلك .

وقد تتلمذ في مصر أيضاً على عبد الرحيم بن الأمير المرزفوني ، كما درس في بيت المقدس على عبد اللطيف بن عبد الرحمن المقدسي وعلى عبد المعطي المغربي ثم تلقى العلم على استاذ آخر هو خواجه سعد الدين من اهل كاشغر ، وكان من أشهر علماء مدينته وأكثرهم شهرة .

وللشيخ زين الدين عدة مؤلفات منها :

رسالة الوصايا القدسية وقد ألفها في بيت المقدس ، والأوراد الزينية ،

وله أيضاً رسالة في الزهد .[1]

[1] تاريخ الطرق الصوفية ص ٥٣ – ٥٤

حرف الميم

م

مُحَمَّد بن إبراهيم

أبو حمزة الصوفي البغدادي

(قال ابن الأعرابي: قال أبو حمزة كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل، وبقول: ما تقول فيها يا صوفي ؟) [1]

اسمه :

[1] تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠ وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٨

مُحَمَّد ابن ابراهيم أبو حمزة البغدادي البزاز، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري [١]

قال أبو عبد الرحمن السلمي: أبو حمزة البغدادي البزاز، واسمه مُحَمَّد بن إبراهيم، من أقران سري السقطي، أو أقدم منه، كان يتكلم ببغداد في مسجد الرصافة قبل كلامه في مسجد المدينة، وأبو حمزة كان يذكر أنه من أصحاب حسن المسوحي، وكان يسميه : أستاذي ، وكان هو أستاذ الجنيد ، وكان عالماً بالقراءات خصوصاً بقراءة أبي عمرو [٢]

قال عنه الذهبي بأنه شيخ الشيوخ [٣]

وهو مولى لعيسى بن أبان القاضي. صحب السري السقطي، وبشر الحافي، وكان من رفقاء أبي تراب النخشبي في أسفاره .

وكان أحمد بن حنبل إذا جرى في مجلسه شيء من كلام الصوفية، يقول لأبي حمزة: ما تقول فيها يا صوفي ؟ [٤]

كما كان بصيرا بالقراءات، وكان كثير الرباط والغزو [٥]

وكان يتكلم ويدرّس في بغداد في مسجد المدينة، ومن ثم في مسجد الرصافة، ودخل البصرة مراراً [٦]

عن معروف بن مُحَمَّد بن معروف الواعظ قَالَ نبأنا أبو سعيد الزيادي قَالَ :

---

[١] طبقات الصوفية ص٢٢٧-٢٢٩

[٢] مختصر تاريخ دمشق ص ٣٥٢

[٣] سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٦٦

[٤] تاريخ بغداد ٣٠٧/١

[٥] سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٦٧

[٦] الرسالة القشيرية

كان أبو حمزة أستاذ البغداديين وهو أول من تكلم ببغداد في هذه المذاهب ، من صفاء الذكر ، وجمع الهمة ، والمحبة ، والشوق ، والقرب ، والأنس ، لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس الناس ببغداد أحد [1]

حياته :

غلب عليه التوكل ، وتروى عنه في هذا حكايات .

(وحكى بعضهم عن أبي حمزة مُحَمَّد بن إبراهيم البغدادي أستاذ الجنيد أنه ولد له مولود في ليلة مطيرة، وما كان في منزله شيء، واشتد المطر، وكانت داره على الطريق . وأخذ السيل يدخل داره، وكان معه في الدار صبي يخدمه، فقام هو والصبي، فأخذ صرتين، فكانا ينقلان الماء إلى الطريق حتى أصبحوا، فلما أصبحوا احتالت المرأة درهمين، وقالت لأبي حمزة: اشتر لنا بها شيئاً، فخرج أبو حمزة والصبي معه، فإذا بجارية صغيرة تبكي ، فقال لها أبو حمزة : مالك ؟

قالت : لي مولى شرير ، وقد دفع إلي قارورة ، فانكسرت ، وهلك الزيت ، فأخاف أن يضربني .

فأخذ بيدها ، وذهب فاشترى لها قارورة، وأخذ فيها زيتاً ، فقالت الجارية : تجيء معي إلى عند مولاي، وتشفع إليه ألا يضربني بتأخري عنه ؟

فذهب أبو حمزة معها إلى مولاها ، وتشفع فيها ، ثم رجع إلى المسجد ، وقعد في الشمس ، فقال له الغلام :

أيش عملت في يوم مثل هذا ، أو قصة مثل هذه ؟

فقال له : اسكت .

فقعدا إلى العصر، ثم قال له الصبي : قم بنا نعود إلى المنزل .

---

[1] تاريخ بغداد ١ / ٤٠٧ تاريخ مدينة دمشق ٥١ / ٢٥٥

وكانت داره في زقاق لا ينفذ، فجاؤوا والزقاق كله من أوله إلى آخره حمالون قعود ، معهم كل ما يحتاجون إليه في الشتاء ، ومعهم رجل معه رقعة مكتوب فيها :

أخبرنا أيها الشيخ ، أن البارحة ولد لك مولود ، فحملنا إليك ما حضر ، فتفضل بقبوله .

ومع الرجل كيس فيه خمسمائة درهم ، فأخذه ، ثم التفت إلى الغلام ، وقال : إذا عاملت فعامل من هذه معاملته .

ومما قاله أبو حمزة الصوفي : إني لأستحيي من الله تعالى أن أدخل البادية وأنا شبعان، وقد اعتقدت التوكل؛ لئلا يكون سعيي على الشبع زاداً أتزوده) [1]

(وعن الخلدي انه قَالَ: كان لأبي حمزة مهر قد رباه، وكان يحب الغزو، وكان يركب المهر ويخرج عليه، وهو يرى التوكل.

فقيل له يا أبا حمزة أما أنت فقد علمنا كيف تعمل، فالدابة أيش كنت تعمل في أمرها ؟

قَالَ: كان إذا رحل العسكر تبقى تلك الفضلات من الدواب ومن الناس، تدور فتأكل .

وقال أبو بدر الخيّاط الصوفي سمعت أبا حمزة يقول :

سافرت على التوكل، فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم في عيني، إذ وقعت في بئر فرأيتني قد حصرت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها ، فجلست فيها فبينما أنا جالس إذ وقف على رأسها رجلان فقال أحدهما لصاحبه :

نجوز ونترك هذه في طريق السابلة والمارة ؟ فقال الآخر: فما نصنع ؟

قَالَ : نطمها.

---

[1] مختصر تاريخ دمشق ص ٣٥٢

قَالَ فبدرت نفسي أن تقول : أنا فيها ، فنوديت تتوكل علينا ، وتشكو بلانا إلى سوانا ؟

فسكتُّ .

فمضيا ثم رجعا ومعهما شيء جعلاه على رأسها غطوها به .

فقالت لي نفسي : أمنت طمها ولكن حصلت مسجونا فيها ، فمكثت يومي وليلتي فلما كان الغد ناداني شيء- يهتف بي ولا أراه- تمسّك بي شديداً ، فمددت يدي فوقعت على شيء خشن فتمسكت به، فعلاها وطرحني ، فتأملت فوق الأرض فإذا هو سبع ؛ فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله ، فهتف بي هاتف :

يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء ، وكفيناك ما تخاف بما تخاف .

وعن أبي عَبْد اللَّه مُحَمَّد بْن نعيم يحكي عن أبي حمزة الصوفي الدمشقي :

أنه لما خرج من البئر أنشأ يقول:

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى

وأغنيتني بالقرب منك عن الكشف

تراءيت لي بالغيب حتى كأنما

تبشرني بالغيب أنـــك بالكف

أراك وبي من هيبتي لك وحشة

فتؤنسني بالعطف منك وباللطف

وتحيي محباً أنت في الحب حتفه

وذا عجب كون الحياة مع الحتف) [1]

وعن مُحَمَّد بن عبد الله المتأفف البغدادي قَالَ سمعت الجنيد. يقول :

---

[1] تاريخ بغداد ١ / ٤٠٧ تاريخ مدينة دمشق ٥١ / ٢٥٥

وافي أبو حمزة من مكة وعليه وعثاء السفر، فسلمت عليه وشهيته. فقال: سكباج وعصيدة تخليني بهما .

فأخذت مكوك دقيق ، وعشرة أرطال لحم ، وباذنجان وخل ، وأخذت عشرة أرطال دبس ، وعملنا له عصيدة وسكباجة ووضعناها في حيرى لنا ، وأدخلته الدار وأسبلت الستر، فدخل وأكله كله ، فلما فرغ من أكله قَالَ :

يا أبا القاسم لا تعجب فهذا من مكة الأكلة الثالثة [1]

من أقواله :

قَالَ جعفر بن مُحَمَّد الخلدي :

خرج طائفة من مشايخ المتصوفة يستقبلون أبا حمزة الصوفي في قدومه من مكة، فإذا به قد شحب لونه. فقال الجريري:

يا سيدي هل تتغير الأسرار إذا تغيرت الصفات ؟

قَالَ: معاذ الله لو تغيرت الأسرار لتغير الصفات لهلك العالم ، ولكنه ساكن الأسرار فحماها ، وأعرض عن الصفات فلاشاها ، ثم تركنا وولى وهو يقول :

كما ترى صيرني قطع قفار الدمن

شردني عن وطني كأنني لم أكن

إذا تغيبت بدا وإن بدا غيبني

يقول لا تشهد ما يشهد أو تشهدني[2]

(وقال رحمه الله تعالى : من المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره ثم يشغلك بغيره.

---

[1] تاريخ بغداد ١ / ٤٠٧ تاريخ مدينة دمشق ٥١ / ٢٥٥

[2] تاريخ بغداد ١ / ٤٠٨ تاريخ مدينة دمشق ٥١ / ٢٥٧

ومن اقواله : علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد الخفاء.

وقال : من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول في أحواله، وأفعاله وأقواله) [1]

(قال أبو حمزة : من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحواله، وأفعاله، وأقواله.

وقال: من رزق ثلاثة أشياء فقد نجا " من الآفات ":

بطن خال مع قلب قانع، وفقر دائم معه زهد حاضر، وصبر كامل معه ذكر دائم.

وقال : علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ، ويذل بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة ، وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر ، ويعز بعد الذل ، ويشتهر بعد الخفاء .

قال أبو عبد الله الرملي:

تكلم أبو حمزة في جامع طرسوس، فقبلوا. فبينا هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع، فزعق أبو حمزة، وقال: لبيك لبيك .

فنسبوه إلى الزندقة، وقالوا: حلولي زنديق، فشهدوا، وأخرج، وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع؛ هذا فرس الزنديق.

فرفع رأسه إلى السماء ، وقال :

لك من قلبي المكان المصون كل عتب علي فيك يهون

---

[1] سير اعلام النبلاء ١٣ / ١٦٦

ومن أقواله : من ذاق حلاوة عمل صبر على تجرع مرارة صرفه، ومن صفت فكرته استلذ ذوقه، واستوحش ممن يشغله. وسئل:

هل يتفرغ المحب إلى شيء سوى محبوبه ؟

فقال: لا، لأنه بلاء دائم ، وسرور منقطع ، وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا من باشرها. وأنشد :

يقاسي المقاسي شجوه دون غيره وكل بلاء عند لاقيه أوجع) [1]

أخبرنا أَبُو سَعْدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ عُثْمَانَ الشِّيرَازِيُّ لفظا قَالَ سمعت غالب بن علي الرازي يقول سمعت أبا عثمان المغربي يقول: كان أبو حمزة وجماعة أصحابنا يمشون إلى موضع من المواضع ؛ فبلغوا ذلك الموضع ؛ فإذا الباب مغلق .

فقال أبو حمزة لأصحابه : ليتقدم كل واحد منكم إلى هذا الباب ويظهر صدقه وإخلاصه فينفتح عليه الباب من غير معالجة أحد .

فتقدم كل واحد من القوم فلم ينفتح على أحد. فتقدم أبو حمزة إلى الباب فقال: بكذبي إلا فتحت .

ففتح عليه الباب، فدخلوا ذلك الموضع .

وما زال مقبولا حسن المنزلة عند الناس إلى أن توفي [2]

وفاته :

قيل إن أبا حمزة تكلم يوماً على كرسيه ببغداد، وكان يذكر الناس، فتغير عليه حاله وتواجد فسقط عن كرسيه، فمات بعد أيام ودُفن في الجمعة الثانية بعد الصلاة بباب الكوفة في بغداد .

---

[1] مختصر تاريخ دمشق ص ٣٥٢

[2] سير اعلام النبلاء ١٣ / ١٦٥

نقل الخطيب وفاته في سنة ٢٦٩ هـ، وأما أبو عبد الرحمن السلمي فقال بأنه ذلك كان في سنة ٢٨٩ هـ، ورجّح الذهبي كونه في ٢٦٩ هـ.

قال ابن الأعرابي :

حضر جنازته أهل العلم والنسك، وغسله جماعة من بني هاشم، وقدم الجنيد في الصلاة عليه فامتنع، فتقدم ولده، وكنت بائتاً في مسجده ليلة موته ، فأُخبرت أنه كان يتلو حزبه، حتى ختم تلك الليلة. وكان صاحب ليل، مقدماً في علم القرآن، وخاصة في قراءة أبي عمرو، وحملها عنه جماعة [١]

مُحَمَّد بلقايد الهبري الحسني الإدريسي

[١] سير اعلام النبلاء ١٣ / ١٦٦

١٣٣٢ هـ / ١٩١١ م – ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م

عالم دين إسلامي ومن شيوخ الطريقة الشاذلية في الجزائر ومؤسس الطريقة الهبرية وأحد أعلام التصوف .

الاسم والنشأة :

هو الشيخ الكامل و(محي الطريق) سيدنا مُحَمَّد بن أحمد بن العربي بن مُحَمَّد الكبير الشريف الحسني الإدريسي، ولد ﷺ بحاضرة تلمسان في الجزائر ، عام ١٣٣٢ هـ الموافق لعام ١٩١١م .

وبها نشأ وفيها نما وترعرع متقلباً وسط عائلة صوفية ، فجده لأبيه الشيخ مُحَمَّد بن الحاج مُحَمَّد بن العربي بلقايد ووالده سيدي أحمد بلقايد كانا له سندين قويين وكهفين جليلين فأخذ عنهما خيراً كثيراً .

فجده الشيخ مُحَمَّد بن الحاج مُحَمَّد بلقايد كان ذا منزلة سَنيَّة في طريق القوم ومحل ثناء شيخه الشيخ سيدي الحاج مُحَمَّد الهبري ﷺ وإعجابه به والذي كثيراً ما كان يثني عليه ، ويقول في حقه خيراً .

أما والد شيخنا سيدي أحمد بلقايد فقد اشتهر بالجود والسخاء والكرم حتى شاع عنه ذلك وعُرِفَ به .

وكان على طريق أبيه في التصوف .

، ولد عام ١٩١١، وحفظ القرآن وتتلمذ على يد علماء مدينة تلمسان ومنهم الإمام بوعروق والإمام حسين النجار وغيرهم ثم سافر إلى خارج الجزائر ليتلقى العلم عن صدور العلماء في مختلف البلدان ومنها الشام، وممن أجازه في العلوم الدينية الشيخ عبد الحي الكتاني والعلامة أحمد بن يلس الدمشقي وغيرهم كثير، توفي في تلمسان عام ١٩٩٨.

نسبه :

يمتد نسبه الشريف الى الدوحة العلوية الهاشمية المباركة .

فنسبه يتصل بالسيد الإمام الحسن بن علي ﷺ .

ويمتد نسبه الروحي من حيث طريق القوم إلى مُحَمَّد الهبري المتصل السند بالعربي الدرقاوي ، عن أبي الحسن الشاذلي ، عن عبد السلام بن مشيش .

فقد أخذ ﷺ السند في الطريقة عن شيخه الشيخ مُحَمَّد الهبري الشريف الإدريسي الذي أخذ بدوره عن والده وشيخه الشيخ الحاج مُحَمَّد الهبري العزاوي عن شيخه الشيخ قدور الوكيلي الكركري عن باقي أقطاب السلسلة رضوان الله عليهم .

وقد حظي شيخنا سيدي مُحَمَّد بلقايد بمنزلة الرضا لدى شيخه فبشره بالخلافة في عهد مبكر وهو مازال بعد في سن الصبا وكان ذلك قبل أن يدخل الخلوة وتحققت فيه فراسة شيخه فكان الوارث بحق وحاز المقام عن جدارة ولكنه ظل متستراً يأبى الظهور حتى انتقل كل أبناء شيخه وحفدته إلى الرفيق الأعلى فصدع ﷺ بالأمر واضطلع بالمهمة وباشر التلقين فأحيا الله على يده وبه الطريقة وبعث دارسها فذاع صيتها وانتشر صداها في مختلف الأماكن حتى صارت تلمسان في عهده قبلة الفقراء ومحط رحال العلماء من مختلف جهات العالم الإسلامي .

حياته :

عندما بلغ الثالثة عشرة من عمره ، دخل طريق التصوف ،

وكان قد تلقى علوم التصوف والسلوك والتربية من جده لأبيه ثم من أبيه .

وتتلمذ بعدها على يد الإمام الشيخ مُحَمَّد الهبري .

طلبه للعلم :

لقد كانت تلمسان خلال العقد الثالث والرابع والخامس من القرن الرابع عشر الهجري تعج بالعلماء في كل فن من فقه وأصول ومصطلح ولغة وكلام وأدب وتاريخ .

وقد تميز هؤلاء العلماء رحمهم الله بالتفاني في بذل العلم لطلابه .
وكان همهم نشر العلم وخدمة الدين .
وكان شيخنا مجبول على حب العلم والسعي الى تحصيله ، فتلقاه من أفواه الرجال وأخذ عن كبار العلماء وجهابذة الفقهاء فنهل منهم بشغف وشدة إقبال وكان من اساتذته الذين أخذ عنهم :
الشيخ أحمد أبو عروق الأزهري التلمساني ، والعلامة بالحساين النجار السلاوي والشيخ بن ناصر، وكانوا مقيمين جميعاً بتلمسان.
وبعد ان بلغ الشيخ أشُدَّه ، ونهل من اساتذته ما شاء الله له من العلوم في الفقه والأصول والمصطلح وعلوم اللغة ، ولتوق نفسه الى المزيد شد الرحال وسافر في رحلات مباركة أمّ خلالها الحواضر من وطنه كمدينة السفيزف وسيدي بلعباس ومعسكر وسعيدة، بل تعداها إلى البلاد العربية شرقا وغرباً والتقى بكبار العلماء والعارفين ، يأخذ من علومهم ويتتلمذ عليهم ما جعله يحظى بمحبتهم .
فأجازه الكثير منهم كالشيخ عبد الحي الكتاني والشيخ الحافظ بن صديق الغماري كما أجازه تلميذه في الطريقة العلامة مُحَّد متولي الشعراوي .
اضافة الى أخذه لعلم الحديث والمصطلح عن وحيد عصره وزمانه الشيخ العلامة أحمد بن يلس الدمشقي وأخذ عنه السند أيضا .
واستمر ﷺ يطلب العلم ويتنقل بين العلماء ، ويقضي لياليه بالمطالعة والدرس حتى تبوأ عن جدارة واستحقاق مقعد العلماء العارفين ، فزكاه غير واحد من العلماء المتأخرين أمثال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ الإمام البشير أبو يجرة الذي وصفه في إحدى رسائله قائلا :
أحيي بهذا إمام الإسلام ... وشيخ الشريعة صنو الهمام
كما أثبت له تلميذه في الطريق العلامة مُحَّد متولي الشعراوي الإمامة العامة
حيث قال في رائعته التي يقول فيها :

نور القلوب و ريّ روح الوارد هبرية تدني الوصـــول لعابد
تزهو بسلسلة لهـــا ذهبية من شاهد للمصطفى عن شاهد
طوّفت في شرق البلاد وغربها وبحثت جهدي عن إمام رائد
أشفي به ظمأ لغيب حقيقة وأهيم منه في جلال مشاهد
فهداني الوهّاب جلّ جلاله حتى وجدت بتلمسان مقاصدي
واليوم آخذُ نورها عن شيخنا محيِ الطريقِ محمـــد بلقايد

صحب شيخنا العلماء والعارفين وسافر إليهم ، حيث كانوا متواجدين في الجزائر والمغرب او في بلاد المشرق ، فمنهم مَن قرأ عليه ومنهم مَن صاحبه واستفاد منه ، وقد أجازه كلّ مَن لقيه سواء من المتقدمين كالمحدّث عبد الحي الكتاني والحافظ أحمد بن الصدّيق الغُماري، ومن المتأخرين كالشيخ عبد الفتاح أبو غُدّة في مصر .

جهوده ودوره في ثورة التحرير:

كانت تلمسان في (الأربعينيات والخمسينيات) مقراً لكبار السياسيين والمناضلين في الحركة الوطنية وكان الشيخ سيدي مُحَّد بلقايد قدس الله سره يناهض الاستعمار ويناصبه العداء لأنه نشأ في أسرة تميزت بأصالتها العربية وتمسكها بتقاليدها الأصيلة حيث كان جد شيخنا يمنع أبناءه وأفراد أسرته من تعلم اللغة الفرنسية أو التحدث بها أو ارتداء الزي الفرنسي فكانت تلك مقاومة بمقاطعة اللسان الفرنسي والزي الفرنسي والمحافظة على اللسان العربي والزي الجزائري وكانت تلك الأسرة ترى أن ذلك يعد مقوماً أساسيا من مقومات الشخصية الوطنية فلا ينبغي التخلي عنه .

من هنا فإن شيخنا سيدي مُحَّد بلقايد نشأ على كره الاستعمار والذود عن حرمات العروبة والإسلام وإلى ذلك كان يدعو فلما اندلعت ثورة التحرير كان

من المنخرطين الأوائل في صفوف جبهة التحرير ومن المجاهدين الأوائل متخذاً من الزاوية الهبرية بتلمسان ملجأ ومأوى للمجاهدين .

فكان الصدام بينه وبين السلطة المستعمرة حتميّاً ، فأقدمت على إغلاق الزاوية بعد أن تأكد لديها أن المجاهدين كانوا يأتونها متسترين بزي النازحين من الريف والفارين طلباً للأمن .

فيضطر الشيخ مُحَمَّد بلقايد لنقل نشاطه ومركز تواجده إلى مسجد سيدي ابن مرزوق واتخذه مقراً للتربية الجهادية ومركزا لتخزين السلاح وتكوين الفدائيين والمجاهدين .

واستمر غلى ذلك إلى أن منَّ الله على الجزائر بالاستقلال.

وقد قام رئيس الجمهورية الجزائرية السيد عبد العزيز بوتفليقة بمنح الشيخ بعد انتقاله إلى رحمة الله وسام الأثير عرفانا منه بالدور الذي قام به في ثورة التحرير الكبرى .

علاقته بالشيخ الشعراوي :

سافر الشيخ مُحَمَّد متولي الشعراوي في عام ١٩٦٣ إلي الجزائر رئيساً لبعثة الأزهر هناك، وقد عاش الشيخ في الجزائر سبع سنوات، ارتبط فيها ارتباطاً شديداً بالشيخ مُحَمَّد بلقايد ، وكان الشعراوي يحضر بصفة دائمة في مجالسه وفي حلقات الدروس التي يعقدها .

ولم يكن الشيخ العلّامة الشعراوي قد رأى الشيخ بلقايد ولا التقاه .

لكن الله سبحانه أراد للشعراوي ان يلتقي بالشيخ بلقايد ليبدأ الشعراوي بمسيرة جديدة بعد ان ذاق ما ذاق على يد شيخه بلقايد .

كان البدء يوم أُسندت للشيخ الشعراوي مهمة السفر كرئيس لبعثة الأزهر إلى الجزائر ولكنه همَّ بالرفض .

لكنه يتفاجأ برجل في المنام يسأله لماذا لا تريد القدوم إلينا ، وطلب منه السفر

للجزائر ، وتترك الرؤيا أثراً في نفس الشعراوي ، وتترك ملامح الرجل أثراً في قلبه ، فيغير الشيخ الشعراوي رأيه ويقبل بالسفر.

وفي حفل الاستقبال الذي أقيم بمناسبة الذكرى الثامنة لاستقلال الجزائر في القصر الرئاسي بالجزائر ، لمح الشيخ الشعراوي رجلًا جالسًا ضمن مجموعة من العلماء ، وإذا به نفس الشخص الذي جاءه في الرؤيا ، نفس الوجه ونفس النظرة ، ونفس النور الذي يخترق القلب ويصل الى الروح .

وينهض الشيخ الشعراوي ويتوجه الى الرجل المنوّر الذي ابتسم ونهض للشيخ وفتح له ذراعيه .

ويتعانق الشيخان ، الشعراوي وشيخه بلقايد ، ويرتبط الشيخين بعلاقة محبة في الله ستؤثر لاحقاً في حياة شيخنا الشعراوي .

وحين تنتهي مهمة الشيخ الشعراوي ويعود الى بلده مصر ، كان قلبه بقي وديعة عند شيخه بلقايد .

وقبل ان يدنو أجل الشيخ الشعراوي ، وقبل ان يتوفاه الله وينقله الى مستقر رحمته يرسل برسالة الى شيخه بلقايد ، فكأنه ينعى نفسه الى شيخه ، ويبشره بقرب لقاء روحيهما .

ويشاء الله ان يتوفى الشيخ الشعراوي بعد ارساله برسالته ، ويشاء الله ان يتوفى الشيخ بلقايد بعد أشهر من استلامه رسالة الشيخ الشعراوي .

وكان نص الرسالة :

(بسم الله ، والحمد لله ، أما بعد..

فإني أحيي شيخنا العارف بالله سيدي مُحَمَّد بلقايد ، وأقول له إذا صفى الود حمل الفراق البُعد ، والذي يشتاق إلى رؤية أحد هو من غاب عن فكره ، وأنت والحمد لله لا تغيب عن فكري ، وأشهد الله أنك معي في كل لحظة ، لأن الذي تحابينا فيه هو الله ، وما دمنا قد تحابينا فيه فنحن في معيته ، ومعيته لا

تعرف الأزمان المتعددة ، ولا الأمكنة المشتتة ، واسأل الله أن يجمعني بك جمعًا فوق جمع الأشباح ، حتى تتفانى الأرواح ، وتصبح مؤهلة إلى خالق الأرواح)

وفاته رحمه الله تعالى :

مرض فترة زمنية تربو عن ست سنوات فاضطر خلالها للانتقال إلى مدينة وهران وظل هناك يستقبل الضيوف والفقراء والعلماء ويرشد ويوجه حتى يخيل إلى الجالس بين يديه أنه لا يعاني من أي مرض وكثيراً ما كان يشير إلى دنو أجله وقرب انتقاله وظل ﷺ يستقبل الزوار حتى وافته منيته وزفه الأجل إلى جوار ربه مساء يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثانية ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م بمدينة وهران ، وقد حضر نجله وخليفته سيدنا الشيخ مُحَمَّد عبد اللطيف تلك اللحظة المهيبة وكان بعض الفقراء حاضرين يذكرون قصيدة سيدي أبي مدين ﷺ والتي مطلعها :

لما بدا منك القبول... فلما بلغوا قوله : النظرة فيك يا جميل.. فاضت روحه مشرقاً وجهه وتم نقل جثمانه الشريف إلى مدينة تلمسان ليوارى الثرى جوار آبائه وأجداده رحمهم الله بمقبرة سيدي السنوسي بتلمسان، وقد حضر جنازته جمع غفير وخلق كثير فكان مشهدا مهيبا ويوما مشهودا وصلى عليه شيخنا سيدي مُحَمَّد عبد اللطيف حفظه الله تعالى.

محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله الحسيني الآلوسي

أبو الثناء الآلوسي

١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م – ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م

(دار خلاف حول بدء النهضة العلمية في العراق ، إذ حاول البعض من الكاتبين ان ينحدروا بها الى اوائل القرن العشرين ، وهذا خطأ واضح ، لأن وجود امام كبير مثل أبي الثناء الآلوسي في مفتتح القرن التاسع عشر ، وامتداد عمره الى منتصفه ، يدلُّ على ان البيئة العلمية – مهما قيل عنها – كانت تسمح بوجود عملاق كبير ، أدّى دوره الفكري أحسن أداء ، والاستشهاد بالإمام الآلوسي كافٍ ليمنع اللجاج الصاخب حول ابتداء النهضة العلمية بوادي الرافدين)[١]

هو محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي .

مفسر، ومحدث ، وفقيه شافعي وحنفي ، وأديب ، وشاعر .

فسر القران الكريم وعمره ٣٤ سنة .

اسمه ونسبه :

محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله بن محمود بن درويش بن عاشور بن مُحَمَّد بن ناصر الدين بن حسين بن علي بن حسين بن كمال الدين بن شمس الدين بن مُحَمَّد بن شمس الدين بن حارس بن شمس الدين بن شهاب الدين بن أبي القاسم بن أمير بن مُحَمَّد بن بيدار بن عيسى بن أحمد بن موسى بن أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد الأعرج بن موسى المبرقع بن مُحَمَّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن مُحَمَّد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت رسول الله مُحَمَّد بن عبد الله [٢]

---

[١] النهضة الإسلامية ٢ / ٣٣

[٢] معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية عمر رضا كحالة

وقد أشار ﷺ الى انتسابه الى الدوحة النبوية المباركة نسباً فقال :

(وأنا أحمد الله تعالى كما هو أهله على أن جعلني من الفائزين بالنسبين حيث وهب لي الإيمان، وجعلني من ذرية سيد الكونين صلى الله تعالى عليه وسلم، فها أنا من جهة أم أبي من ذرية الحسن، ومن جهة أبي من ولد الحسين رضي الله عنهما:

نسب كأن عليه من شمس الضحى نورًا ومن فلق الصباح عمودا) [1]

ويرجع نسبه إلى مدينة آلوس وهي مدينة على نهر الفرات في محافظة الأنبار ، حيث فرَّ إليها جد هذه الأسرة من وجه هولاكو التتري عندما دهم بغداد فنسب إليها .

فعائلته آلوسية الموطن وبغدادية السكن علوية النسب .

الولادة :

ولِدَ السيد محمود عبد الله الآلوسي ببغداد في منتصف شعبان ١٢١٧ هـ الموافقة لسنة ١٨٠٢ ميلادية .

وكان والده رئيساً لهيئة المدرسين في بغداد [2] .

وعبد الله والد شيخنا الألوسي رئيس المدرسين ، كان بيته في بغداد كعبة القاصدين لمن اراد الاستفادة والتوجيه .

نشأ الشيخ في هذا الجو العلمي والمعرفي ، فسمع من صِغرِهِ النقاش العلمي والحوار الفقهي والحديث عن المعارف والعلوم ، في علوم الدين واللغة ، فكأنه

مؤسسة الرسالة ط ١ ١٩٩٣ م

[1] روح المعاني ١٥٠/١٠

[2] طائفة من علماء الدين ذوو باع وشهرة في فروع الفقه والتفسير والحديث ، وكل ما تجب معرفته من علوم اللسان العربي من نحو وبلاغة واشتقاقاً وعروضاً ، وهم مسؤولون عن ترشيح من يَصلَحُ للإمامة والخطابة والتدريس بالمساجد .

فُطِمَ على العلم والمعرفة .

طلبه العلم :

كان والد أبي الثناء حريصاً على توجيه ولده وتنشئته نشأة علمية بعد ان لاحظ اهتمام الصغير بالعلم والمعرفة ولمس فيه البصيرة المتيقظة والتحفز المتوثب ، وكأنه كان مُعدّاً لأمر كبير .

فكان الشيخ وقبل بلوغه الرابعة عشر من عمره قد استظهر المتون العلمية الذائعة الصيت بين طلاب العصر وعلمائه ، وهي بعينها المتون التي تعاقب عليها العلماء شرحاً وتحشية وتقريراً ، كألفية ابن مالك ، والرحبيّة والخريدة ونور الإيضاح ، والعقائد النسفية وغيرها ، لقد حفظ أبو الثناء كل هذه المتون وغيرها .

ولم يكن الوالد هو المصدر المعرفي الوحيد لابنه ، فقد وجهه الى جلّة من العلماء الأجلّاء في عصره منهم :

علي السويدي ، أمين الحلي ، خالد النقشبندي ، عبد العزيز الشوّاف .

وكان لكل عالم من هؤلاء الأجلّاء حلقة علم يدرّس فيها ببيته من أراد التعلّم ، ويبحثون بين تلاميذهم عمن يكون مؤهلاً ليصبح مشروع عالمٍ كبير ، كانت بيوتهم جامعات علمٍ متخصصة .

ويحظى التلميذ النبيه بتقدير أساتذته وينال اعجابهم ، ويُمنح اجازاتهم العلمية عن تقدير .

وقد استجاز هؤلاء وغيرهم في علوم اللغة والأدب والفقه والحديث ، وكانت خاتمة إجازاته على يد الشيخ علاء الدين الموصلي الذي لازمه نحو ١٤ عاماً في يوم مشهود حضره علماء وأدباء ووجهاء بغداد .

ولم يكتفِ الشاب الطامح بما حصَّلَ من عِلمٍ في بغداد ، فحرص ان يتعلم على يد اساتذة بيروت ودمشق ، ويوافق الأب ، فيرحل ابو الثناء نحو دور العلم في

بيروت وفي دمشق .

كانت الإجازة تعني شهادة سَبْقٍ ودليل بروز وتقدُّمٍ .

ويرجع ابو الثناء الى بغداد وقد ازداد علماً وحظي بإجازات شيوخ بيروت ودمشق .

حياته :

وتزداد علوم الشاب ، وتتسع معها رؤيته وتزداد دائرة اهتمامه بما حوله من أحداث وشؤون .

وصارت اوضاع البلد وما يمر به محطَّ اهتمام الشاب ذو الإجازات المتعددة بالفروع المعرفية المختلفة .

كان العراق يمر بمرحلة حرجة وقلقة في مساره السياسي والاجتماعي .

وقد مَّ قبلها بمرحلةٍ من الفوضى وضياع الأمن وفقدان هيبة الدولة وسلطتها ، حتى وليَ داود باشا ولاية العراق ، فأعلن استقلاله عن الإستانة وبدأ بحملة اصلاحية شملت الجوانب الأمنية والاجتماعية والعلمية .

كانت محاولات اصلاحية على جميع الصُعُد .

والآلوسي الشاب اليقظ الدؤوب رأى في اعمال الوالي ما يوجب ان تتكاتف الجهود لمساندته ودعمه ، فراح يحشد الجهود ويدعو لنصرة الوالي داود باشا بعد ان رأى ان من واجبه مساعدة الوالي المصلح في نضاله .

وترسل الإستانة جيشاً لحرب الوالي المستقل بالعراق ، ويُحكِمُ الجيش حصاره حول بغداد ، ويشاء الله ان ينتشر وباء الطاعون بغير رحمة يفتك بالناس ، وتذكر بعض المصادر ان بغداد كانت تفقد كل يوم اكثر من مائة وخمسين من اهلها نتيجة تفشي الوباء .

ويزداد البلاء حين يفيض دجلة ويهدد ما بقي من الناس بالغرق .

وأمام كل هذا لا يجد الوالي داود باشا أمامه إلا الاستسلام .

ويتغير الوالي داود باشا بالوالي الجديد الذي يزجُّ بأنصار الوالي القديم في السجون ، وكان على رأسهم الشيخ الآلوسي .

وحين كان الآلوسي في سجنه ، كانت أخبار علمه وسعة معرفته وغزارة علومه تصل الى رضا باشا ، الوالي الجديد ، فيطلب كتب الشيخ ، ويقرأها ، فينجذب الى اسلوب الشيخ ويعُجب بدقته في التحليل والاستنباط ، ويحب الوالي الشيخ الآلوسي ويُعجب بعلمه ، فيُخرجه من سجنه ، ويعيّنَنه خطيباً لأحد المساجد ، وكان يحضر دروسه ويستمع الى خُطَبِه .

ويقع في قلب الوالي رضا باشا ان الشيخ الآلوسي أكفأ رجال العلم في بغداد ، فيسند اليه أكثر من وظيفة علمية .

وينهض الشيخ بالواجبات التي كُلِّف بها وينهض بأعبائها .

وكل وظائفه لم تشغله عن دروس العلم ، فكان يدارس تلاميذه العلوم ، ويجيب على الأسئلة الدينية التي تصله ، وفي ذات الوقت لم ينقطع عن التأليف ، كأن الله سبحانه قد بارك له في وقته فاتسع لكل هذه المهام والأعمال .

وتجيء من ايران (والتي كانت تسمى بلاد فارس) اسئلة دقيقة في أصول مذهب اهل السنَّة والجماعة .

ويبعث الوالي بنسخ من الأسئلة الى شيوخ بغداد وعلمائها ، وكان الشيخ الآلوسي ممن انبرى للإجابة على تلك الأسئلة .

ويعقد الوالي مجلساً لقراءة الاجابات المختلفة التي وردته من العلماء ليختار منها الأنسب للرد .

وكانت اجابات الشيخ الآلوسي تتسم بصواب الدليل ، وسلامة الحكم ، وقوة الاستشهاد ، وبراعة الاستنباط والاستدلال ، فيختارها الوالي .

كانت وظيفة الإفتاء من أكبر الوظائف العلمية في بغداد ، فلا يتسلّم ذروتها إلا شيخ عالم له باع في العلم ، وله تلاميذ كبار لهم تلاميذ ينقلون عنهم .

ويقع الاختيار على الشاب الآلوسي الذي لم يتجاوز الثلاثين من عمره إلا بأشهُرٍ معدودة .

لكن الشيخ الآلوسي كان شافعي المذهب كأبيه ، وشرط المفتي في ديار الخلافة العثمانية ان يكون إفتاءه وفق المذهب الحنفي ، مذهب الدولة العثمانية .

فيعكف الشيخ على دراسة المذهب الحنفي ، فيلم بقضاياه الفقهية بفترة قصيرة ، بعد ان راجع أوسع كتبه وأدقّها .

ويستلم الشاب الآلوسي مهمة الإفتاء ، فكان يقرأ في المذهبين بيقظة ، ثم يصدر فتواه مؤيدة بالدليل عقلاً ونقلاً .

وتظهر النعمة على الشيخ ، فيشتري داراً واسعة ، جعل جانباً كبيراً منها للتدريس ، وللترحيب بالتلاميذ الغرباء ، حيث يجدون فيها مسكناً ومطعماً ومأوى .

وكانت علاقة الآلوسي بالوالي علاقة خير للناس وللوالي ، فكان الشيخ الآلوسي كثيراً ما يعِظُ الوالي وينصحه ، وكان الوالي يسمع للآلوسي ويقبل منه نصحه ويعمل به .

وتنتهي فترة عمل الوالي علي رضا ، ويُستبدل بوالٍ جديد يمت الى السلطان العثماني بالقرابة ، وكانت مسيرة الوالي الجديد (مُحَمَّد نجيب) تختلف عن مسيرة سلفه .

وكأن الطريق قد انحرف بالوالي الجديد ، فكان حتمية الصدام بينه وبين نصائح الآلوسي وكلمة الحق التي يحملها ويعمل عليها ، لقد كان الآلوسي لسان الفقراء والضعفاء وعامة الناس .

كان الوالي الجديد يرى نفسه فوق النُصح وفوق المعارضة ، وفوق المساءلة ، وقد ضاق بصراحة الآلوسي .

ويحدث شغب في مسجد من مساجد بغداد ، وتقوم مظاهرة غاضبة تتجه الى

دار الوالي منادية بالحقوق والمطالب ، فيغضب الوالي لضجيج المظاهرة التي عدّها مظهر من مظاهر الخروج على الحاكم ، ويعامل المتظاهرين بعنف ، ويربط بين المظاهرة ونصائح الآلوسي ، فيعزله عن وظيفة الإفتاء ، كما حال بينه وبين تلبية الدعوة التي جاءته من كبير علماء الإستانة لزيارتها وحضور مناسبة سلطانية ، ثم كتب للباب العالي يخبره بأن الآلوسي امتنع عن الحضور الى الإستانة تكبراً .

ولم يكتفِ بذلك بل منع الآلوسي من مزاولة عمله في جامع مرجانة .

وتنقطع عن الشيخ كل مصادر الرزق والكسب ، في وقت كان الشيخ صاحب بيت عامر يختلف اليه الناس ، ومدرسة علمية يقطنها عشرات اطلاب .

ويضطر الشيخ لبيع بعض أثاثه ليصرف على بيته ومدرسته وتلاميذه .

ويستمر الشيخ بالتدريس والتأليف .

ويقع في قلب الشيخ ان يتوجه الى الإستانة ، ويأخذ معه تفسير للقران الكريم ليكون دليلاً على علمه وشفيعاً لمقدمه .

ويشاء الله تعالى للشيخ ان يظفر بلقاء كبير العلماء في الإستانة ثم سلطانها ، الذَين تفهّما موقفه وانتصرا له ، فيعود الى بغداد ظافراً ويُستقبل بحفاوة من أهل بغداد ، خصوصاً بعد ان ورد الأمر السلطاني بعزل الوالي وتعيين والٍ جديد أنصف الآلوسي وأعاد له رئاسة الإفتاء وادارة شؤون مسجد مرجانة .

لقد كانت حلقات الدرس التي عقدها الشيخ في مساجد واماكن كثيرة جمهورها وسجلّت حضوراً كبيراً من العلماء ومن طلّاب العلم .

تصدر ﷺ للتدريس في مدرسة الحاج أمين جلبي في رأس القرية ، وفي المدرسة العمرية المعروفة في جانب الكرخ الواقعة باتصال جامع قمرية وفي مدرسة الحاج نعمان الباجة جي في محلة عمّار في سبع أبكار ، وتولى صدارة التدريس في المدرسة القادرية والمدرسة المرجانية .

وقد قصد إليه العلماء والفقهاء من سائر أقطار المعمورة ، وكان له مجلس حافل في محلة العاقولية من جانب الرصافة يختلف إليه رواد العلم والمعرفة ومن رواد هذا المجلس الشيخ عبد الباقي العمري، والشاعر عبد الغفار الأخرس، والخطاط أحمد أفندي القايمقجي، وقد حفظت أخبار هذا المجلس في كتاب حديقة الورود للشيخ عبد الفتاح الشواف .

وعلى العموم كان للشيخ محمود الآلوسي الأثر الكبير في إنعاش الحركة العلمية في بغداد في عصره .

مؤلفات الشيخ :

ترك الشيخ الكثير من المؤلفات ، فقد أوتي عِلماً ومعرفة بجوانب متعددة لم تقتصر على الفقه والحديث ، بل تعدَّتها الى الجوانب الاجتماعية والإصلاحية ، فكتب في هذا الجانب (سفرة الزاد لسفرة الجهاد) دعا فيها المسلمين الى اليقظة علمياً واقتصادياً وعسكرياً ، وبيّن اهمية الجهاد ، باعتباره فرض عين على المسلمين .

كما وصف كل ما مرَّ عليه في سفره الى الإستانة ورجوعه واصفاً جميع المدن التي صادفته في كتاب أسماه (غرائب الاغتراب) و(نشوة المدام في العودة إلى دار السلام) .

لقد تحدّث المؤرخون عن اثنين وعشرين مؤلفاً للشيخ الآلوسي ما بين مطبوع ومخطوط .

وقد يكون من أجلِّ ما كتب الشيخ وأعظم ما ألَّفه تفسيره للقران الكريم المسمى (روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني) .

وعموماً يمكن حصر مؤلفاته في :

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. والمعروف بـ (تفسير الآلوسي)

نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول

نشوة المدام في العودة إلى دار السلام.

غرائب الاغتراب.

دقائق التفسير.

الخريدة الغيبية.

كشف الطرة عن الغرة.

حاشية قطر الندى.

شرح سلم المنطق.

الفيض الوارد في شرح قصيدة مولانا خالد.

الرسالة اللاهورية.

الأجوبة العراقية.

البرهان في اطاعة السلطان.

الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب.

شهى النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم.

النفحات القدسية.

حاشية الحنفية على مير أبي فتح.

الفوائد السنية.

رسالة في الجهاد.

المقامات الآلوسية.

وغيرها كثير من الرسائل والمؤلفات المخطوطة والمطبوعة.

لقد حلَّ الشيخ رحمه الله تعالى مشاكل جمة في العقائد والتصوف والآداب من خلال مؤلفاته هذه .

تفسير الألوسي روح المعاني ونهج مؤلفه فيه :

كان الألوسي –رحمه الله– شيخ العلماء في العراق في عصره، ونادرة من النوادر التي جادت بها الأيام؛ جمع كثيرًا من علوم المنقول والمعقول، وأحكم فهم علمي الفروع والأصول، وكان مع هذا وذاك مفسرًا لكتاب الله لا يُبارى، ومحدِّثًا للسُّنَّة لا يُجارى.

ومع أنه –رحمه الله– كان شافعيَّ المذهب إلا أنه في كثير من المسائل كان يقلد الإمام أبا حنيفة، وكان عالمًا باختلاف المذاهب، ومطلعًا على الملل والنحل، وكان في آخر حياته يميل إلى الاجتهاد، وقد خلَّف ثروةً علمية كبيرة ونافعة، يأتي في مقدمتها تفسيره المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

وهذا التفسير والذي قضّى الشيخ اربع عشر سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً في تأليفه قد أفرغ فيه مؤلِّفه وسعه، وبذل جهده، حتى أخرجه للناس تفسيرًا جامعًا لآراء السلف روايةً ودرايةً، ومشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو تفسير جامعٌ لخلاصة ما سبقه من التفاسير.

ثم إن المؤلف رحمه الله تعالى إذ ينقل من تفاسير مَن سبقه من المفسرين، لم يكن مجرَّد ناقل فحسب ، بل كان يُنَصِّب من نفسه حَكَمًا عدلاً على كل ما ينقل، ويجعل من نفسه ناقدًا مدقِّقًا وممحِّصاً لكل رأي وقول، ثم هو بعدُ يُبدِي رأيه حرًّا فيما ينقل .

وكان له استطراد أيضًا في ذكر المسائل النحوية، إذ كان يتوسع بها أحيانًا إلى درجة يكاد يخرج بها عن وصف كونه مفسِّرًا.

أما المسائل الفقهية فمنهجه فيها أن يستوفي أقوال أهل العلم في المسألة موضوع البحث، ومن ثَمَّ يختار منها ما يؤيده الدليل، من غير تعصب لمذهب معين، بل رائده في ذلك : أن الحق أحق أن يُتَّبع.

وكانت للشيخ رحمه الله تعالى عناية ملحوظة بنقد الروايات الإسرائيلية، وتفنيد الأخبار المكذوبة التي ساقها بعض المفسرين السابقين له، فنحن – مثلاً – نجده يُعَقِّب بعد أن ساق قصة من القصص الإسرائيلي، فيقول: "وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث، وكذب على الله تعالى، إنما العجب ممن يُدخِل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره، ولا يُبيّن أمره .

وعلى هذا المجرى يجري في تفنيده لتلك المرويات والأخبار.

وكغيره من المفسرين السابقين، نجد الألوسي يعرض للقراءات القرآنية الواردة في الآية الكريمة، بيد أنه لا يتقيد بالمتواتر منها، بل ينقل غير المتواتر لفائدة يراها، ولكن يُنبّه عليه.

ويُلاحظ أن للألوسي عناية ملحوظة بذكر أوجه المناسبات بين الآيات والسور، مع تعرضه لذكر أسباب النزول لفَهْم الآيات وفق أسباب نزولها.

إن تفسير (روح المعاني) يبقى موسوعة تفسيرية قيّمة، جمعت جُلَّ ما قاله علماء التفسير المتقدمين، وامتازت بالنقد الحر، والترجيح المعتمد على الدليل، والرأي البنَّاء، والاتزان في تناول المسائل التفسيرية وغيرها، مما له ارتباط بموضوع التفسير. فجزى الله مؤلِّفه خير الجزاء، ونفع المسلمين بعلمه .

الشيخ الآلوسي والتصوف :

أن المتمعن لا يخطئ تأثر الآلوسي بالمناخ الصوفي وتأثره بفكر رجاله .

وقد انتمى الشيخ إلى إحدى الطرق الصوفية، وهي الطريقة النقشبندية ، وأخذ عن بعض شيوخها، كالشيخ خالد النقشبندي [1] الذي قال فيه وكما جاء في الصفحة الثانية عشرة من كتابه غرائب الاغتراب ونزهة الالباب :

---

[1] هو خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي المجددي، ضياء الدين، أبو البهاء. ولد سنة ١١٩٠ هـ ، درس في العراق على عدد من مشايخها وتولى فيها التدريس قبل أن يسافر إلى الهند حيث التحق بالطريقة النقشبندية وصار من شيوخها ، توفي بدمشق سنة ١٢٤٢ هـ

(وقرأت مسألة الصفات من الخيالي، على حضرة مولى لا يصل إلى حقيقة فضائله خيالي، حضرة مولانا ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي، وهو صاحب الأحوال الباهرة، والكرامات الظاهرة ، والأنفاس الطاهرة، الذي تواتر حديث جلالته، وأجمع المنصفون على ولايته...) إلى أن يقول

فيه : (امتد في المقامات والأحوال باعه، وعمِرت بالفضل والأفضال أرباعه)

غير أن الآلوسي يؤكد أن شيخه هذا (كان حريصًا على سلوك طريق أهل السنة والجماعة، لا يصرف من أوقاته ساعة في غير حلِّ دقيقة علم أو طاعة، حسن السمت والسيرة، إن توجه إلى قلب مريده ملأه نورًا)

وقد أخذ عنه الآلوسي التصوف، إذ أمره هذا الشيخ بالاشتغال بالعلم، وضمن له ألا يحرم من بركة الطريقة التي يظهر أثر ارتباطه بها في كلامه على لفظ الجلالة الذي يتفق الآلوسي مع الصوفية، لا عن تقليد، كما يقول، في أنه موضوع للذات الجامعة لسائر الصفات ، إذ قال : "وإلى ذلك يشير كلام سادتنا النقشبندية، بّلغنا الله تعالى ببركاتهم كل أمنية في الوقوف القلبي، وهو أن يلاحظ الذاكر في قلبه كلما كرر هذا الاسم الأقدس ذاتًا بلا مثل، وحققه الشيخ الأكبر قدس سره في مواضع عديدة من كتبه ولئن لم يذكر الآلوسي شيخه خالد النقشبندي إلا في موضع واحد من تفسيره [1] ، إلا أننا نجد من بين مؤلفاته كتاب الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد، وهو شرح لقصيدة للسيد مُحَمَّد الجواد السياه بوشي، الشاعر البغدادي (ت ١٢٤٦) في رثاء الشيخ خالد النقشبندي. ومؤلَّفه هذا يعد أهم وثيقة في تحديد موقفه من التصوف وبيان تأثره بشيخه خالد النقشبندي والطريقة النقشبندية عمومًا، إذ عقد فيه فصلاً طويلاً للتحدث عن تاريخ حياة شيخه، وتاريخ الطريقة النقشبندية التي يرى أنها أقرب الطرق إلى الكتاب والسنة .

---

[1] انظر روح المعاني ٣ / ٢٧٣

وقد أطنب الآلوسي في شرحه هذا في ذكر التصوف، "فهو يذكر الخواطر وأنواعها وتأثيرها في سلوك الإنسان وتصرفاته، وينقل آراء طائفة من علماء التصوف في ذلك"، بل لقد كسر الآلوسي في هذا الكتاب فصلاً على ذكر المقامات عند الصوفية، ثم تكلم عن العشق الصوفي، شارحاً جملة من مصطلحاتهم، كالقبسات والمشهد والسر والقطب والباطن والتوحيد والأبدال والقرب والجمال والرياضة والعرفان وغيرها.

ويذكر الآلوسي من بين شيوخه أيضًا الشيخ علاء الدين علي أفندي الموصلي الذي أجازه بالصلاة البشيشية ، وذلك في قوله في حق سيدنا الخضر عليه السلام :

(ومما يبنى على اجتماعه عليه السلام بالكاملين من أهل الله تعالى بعض طرق إجازتنا بالصلاة البشيشية ، فإني أرويها من بعض الطرق عن شيخي علاء الدين علي أفندي الموصلي عن شيخه ووالده صلاح الدين يوسف أفندي الموصلي عن شيخه خاتمة المرشدين السيد علي البندنيجي عن نبي الله تعالى الخضر عليه السلام عن الولي الكامل الشيخ عبد السلام بن بشيش قدس سره[1]

وإن نظرة إلى ما دوَّنه الآلوسي من إجابات في كتابه الموسوم ب "غرائب الاغتراب" لتدل أوضح دلالة على أنه تعمق في التصوف، وخبر أسراره، وعرف دواخله وخوارجه ، وبلغ فيه شأوًا رفيعًا ومقامًا عاليًا .

ومصطلحات مثل :

المولى ، والحقيقة والأحوال، والكرامات، والولاية، والمريد، وهي مصطلحات صوفية يزخر بها تفسيره .

ويتوضح الأمر جليّاً عند قراءة ما كتبه في شيخه شعراً إذ ترى الغوث ، والكشف وما إليها، وذلك في قوله :

---

[1] روح المعاني ٨/٣٠٨ – ٣٠٩

الإمام الجليل غوث البرايـا غيثهـــا المرتجى ندى إحسانه
ثابت الذهن كم خفايا علوم قد جلاها بالكشف عن برهانه

بل إننا نقف في كتابه هذا على أكثر من نص له يلمس منه إجلاله لابن عربي ، كامتداحه محمود أفندي العمري بأنه "قد جعل الفتوحات المكية ثاني قرآنه، وزين بفصوص الحكم خواتم زمانه [1]

والأهم منه حديثه عن حضرة مظلوم بك أفندي وما دار بين الرجلين من حديث عن ابن عربي، ذيله بقوله: "وأنا الآن أقول، غير مبالٍ بمنكرٍ ذي فضول:

إن الشيخ قدس سره لا شك في جلالته علمًا وعملا، وإن عنده وكذا عند أمثاله لكلامه المتشابه من أحسن المحامل محملاً ... إلى أن قال :

"وبالجملة: أنا معتقد جلالة قدره، مفوض سائر أحواله إلى عالمِ جهرِه وسره، ويأبى الله أن أخوض في حقه كما خاض المنكرون، فذاك فضول لا ينبغي أن يرتكبه العالمون، وهذا ما أدين به الملك الديان، غير مداهن به أحدًا من أكابر الأعيان [2]

كما نجد من بين مصنفات الآلوسي أيضًا كتاب الطراز المذَّهب في شرح قصيدة الباز الأشهب ، وهي قصيدة للشاعر العراقي عبد الباقي العمري في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني [3]، وفيها يقف عند القول المنسوب إلى الشيخ

---

[1] غرائب الاغتراب ص ١٥٠

[2] غرائب الاغتراب ص ١٤٥

[3] هو محيي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني ، يرجع نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولد بجيلان سنة ٤٧٠ هـ ، وتوفي في بغداد سنة ٥٦١ هـ وقد جاوز التسعين عامًا، ودفن برواق مدرسته بباب الأزج ببغداد

عبد القادر الجيلاني: (قدمي على رقبة كل ولي لله عز وجل)، ويشرحه مبينًا مقصود الصوفية بذلك، وهل يحمل على الرمز أم على الحقيقة .

الأثر الصوفي في تفسير روح المعاني [1]:

ان الباحث في تفسير روح المعاني يلاحظ ما حفل وفاض به من أسماء كبار الصوفيين كبشر، وابن عربي، وابن الفارض، والغزالي، والشعراني، وصدر الدين القونوي، والشيخ عبد القادر الكيلاني، وأبي بكر الشبلي الذي وصفه الآلوسي بضرغام أَجمة التصوف، والجنيد، وغيرهم، ويستوقفه ما بث فيه من آرائهم ومذاهبهم شعراً ونثراً ، مع ما يعلق به على ما يجيئون به ، وحسبك للوقوف على ما نقول أن تقلب صفحات تفسير سورة الفاتحة، لترى الأبيات الملغزة لابن الفارض، كقوله من فائيته الشهيرة :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصفِ [2]

وقوله منها أيضًا:

لو قال تيهًا قف على جمر الغضى لوقفت ممتثلاً ولم أتوقف

وذلك في كلامه على غلط إبليس في امتناعه عن طاعة أمر ربه بالسجود لآدم، وأنه لم يخطر بباله أن المحب الصادق يمتثل أمر محبوبه كيف كان [3]

ويبدو أن الآلوسي من المعجبين بابن الفارض، فهو يستغل أدنى مناسبة للرجوع إليه وإيراد شعره، كما تجد في كلامه على قوله تعالى:

---

[1] تم الاستفادة وبشكل كبير في هذا الفصل والذي سبقه من بحث نُشر في ١٢٨ ، يونيو ٢٠٠٦ – مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الرابع عشر– العدد الثاني، ص: ٧٥ / د. أكرم علي حمدان والذي أفاض في شرح العلاقة بين الآلوسي والتصوف من خلال بحثه .

[2] روح المعاني ١ / ٦٨

[3] روح المعاني ٧ / ٢٩٩

(مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)

حيث خلص إلى أن سر القرآن يكاد يظهر للخلق قبل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، قال : "وفيه مسحة من معنى قوله:

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر [1]

وتراه يصفه بالعارف، كما في قوله في تفسيره الإشاري ل (طه) بعد أن أغرق في تفسير طه تفسيرًا عدديًا خلص منه إلى أنه صلى الله عليه وسلم أبو الخليقة وأمها، إذ قال :

وقد أشار إلى ذلك العارف ابن الفارض قدس سره بقوله على لسان الحقيقة المحمدية :

وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي منه معنى شاهد بأبوتي [2]

وكذلك يصف الآلوسي الكيلاني بالإمام الرباني، مقفيًا على ذلك بنحو: سيدي وسندي، وقدس سره ..

أما الحلاج (٣٠٩ هـ)، فلم يكن موقف الآلوسي منه مطردًا، فهو تارة يؤول له بعض شطحاته، كقوله : "أنا الحق"، وذلك أنه ينقل في تفسيره قول بعض العارفين :

"إن الله تعالى أظهر النفس وزينها بكسوة الربوبية، وملأها باللطف والقهر وكساها زينة الملك من الأموال ابتلاء وامتحانًا، فمن نظر إلى نفسه بعين زينة الربوبية فنِيت نفسه فيها ونطق لسان الربوبية منه، وصار كشجرة موسى عليه السلام حيث نطق الحق منها، وذلك مثل الحلاج القائل: أنا الحق" [3]

---

[1] روح المعاني ٩ / ٣٦٣

[2] روح المعاني ٢ / ٤١٩

[3] روح المعاني ٢ / ٣٦٤ – ٣٦٥

وكثير من الأمثلة التي تقودنا الى أن الآلوسي يرجع للصوفيه وينقل آراءهم ويعتبر أقوالهم ، بل لقد ذكر في مقدمة تفسيره أن كلام السادة الصوفية في القرآن "من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان" [1]، بل إنه يرى في قوله تعالى :

(إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) [2]

"إشارة إلى سوء المنكرين على الأولياء، فإنهم من آيات الله تعالى"، قال:

. "والإنكار من الإلحاد، نسأل الله تعالى العفو والعافية [3]

وفاة الآلوسي :

تُوفِّي –رحمه الله تعالى– يوم الجمعة ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ الموافق ١٨٥٤م. وقيل: توفي في ٢١ من ذي القعدة، ودُفِن بالقرب من الشيخ معروف الكرخي، وقبره مشهور يُزار .

وقد أرَّخ وفاته الإمام الأديب الشيخ عبد الباقي أفندي العمري بقوله :

قبر به قد توارى خير مفقود فاغتم حزنًا عليه كل موجود

أبو الثناء شهاب الدين فيه ثوى فيا لمثوى برفد الفضل مرفود

كجَدِّه كان سيفًا يستضاء به فحاز في الرشد حدًّا غير محدود

مضى تغمـــده المولى برحمته فليفتـخر لحده فيه بمغمود

من بعده لا فقدنا من بنيه فتى لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

تفسير روح معاني الذكر نضدها كعِقْد دُرٍّ بأيدي الفكر منضود

على تبحره في العلم شاهدة كفى بها شاهدًا في حق مشهود

---

[1] روح المعاني ١ / ٨

[2] فصلت /٤٠

[3] روح المعاني ١٣ / ١٠

أجاب أعلام إيران بأجوبة برهانها غير مدفوع ومردود
حور الجنان به حفت مؤرخة جنات روح المعاني قبر محمود

مُحَمَّد بوقبرين

الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمان القشطولي بوقبرين (ﷺ) هو مؤسس الطريقة الرحمانية .

ولد الشيخ مُحَمَّد بين (١١٢٨هـ - ١٧١٥م و ١١٣٣هـ - ١٧٢٠م) بقرية أيت إسماعيل قرب مدينة ذراع الميزان بجبال جرجرة في القبائل الكبرى في الجزائر .

تتلمذ في بداية أمره على يد الشيخ الصديق بن آعراب ، ثم ذهب إلى الحج في حوالي التاسعة عشر من عمره أي حوالي سنة ١١٥٢ هـ = ١٧٣٤م ، وفي طريق عودته أعجب بالأوضاع العلمية بمصر فاستقر هناك مجاورا للأزهر الشريف ، وتلقى العلوم على أيدي علماء أجلاء منهم:

أحمد بن مُحَمَّد بن أبي حامد العدوي المعروف بـ (الدردير) (ت١٢٠١ هـ) , علي بن أحمد الصعيدي (ت ١١٨٩ هـ) ، الشيخ علي العمروسي (ت سنة ١١٧٣ هـ)، وعلى يد"المنور التلمساني "(ت ١١٧٣ هـ)

وبعد تحصيل العلوم الفقهية من هؤلاء الأعلام، اتجه إلى الشيخ مُحَمَّد بن سالم الحفناوي الخلوتي، وسلك على يديه ، والذي كلفه بنشر الطريقة والدعوة في بلاد السودان والهند ، فأقام ست سنوات في دار فور يقرئ ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى صار له أتباع كثيرون، وحصل له الاقتداء في هذه المنطقة، ثم أمره شيخه بالعودة إلى القاهرة وألبسه الخرقة وكلفه بالتوجه إلى الجزائر لنشر الطريقة هناك, وكان ذلك سنة ١١٨٣ هـ = ١٧٦٤م بعد أن أذن له بإعطاء الورد والخلوة وألبسه الخرقة فرجع إلى الجزائر بعد ثلاثين عاما من الغياب عن بلده ، قضاها في تحصيل العلم ، عاد أخيرا إلى الوطن ، استقر أول ما وصل الى الجزائر ،في قريته آيت إسماعيل ، حيث كان قد أسس بها زاوية كبيرة ، لنشر المعارف الدينية . وأخذ في نشر مبادئ هذه الطريقة فالتفّ حوله طلاب العلم ، ومحبّو حياة الروح ، فأسس زاوية في البداية رغم احتجاج بعض الفقهاء وذوي الثقافة الدينية المحافظة ، فأقدم على مناظرتهم بحضور باشا المدينة

فأفحمهم بواسع علمه وقاطع برهانه وأصبح الحاكم التركي أحد أتباع طريقته ومريديه وهو ما جلب اهتماما بالغا بهذه الطريقة وذيوعا لصيتها .

بعدها قرر الانتقال إلى الجزائر العاصمة ،لإقامة زاوية اخرى ، وذلك لنشر معالم الدين الحنيف ، وتوعية الناس ، ومحاربة الجهل ، وشيد هذه الزاوية العلمية ، وهي أيضا جامعة كبيرة ، حيث يتم بها تدريس العديد من العلوم العقلية منها والنقلية . بمكان بالجزائر العاصمة ، أصبح يسمى فيما بعد بمنطقة الحامة .

ولما تقدمت به السنّ استقرّ مع مريديه في زاويته الكبيرة التي بناها بمسقط رأسه بأيت اسماعيل في جبال جرجرة. وعند وفاته سنة ١٢٠٨هـ/٩٣ - ١٧٩٤م تولّى أبرز تلامذته عبد الرحمان باش تارزي القسنطيني وعلي بن عيسى المغربي مهمة العمل على نشر الطريقة بالجزائر وتونس .

مُحَمَّد بن الحسين

ابو عبد الرحمن السُّلمي

اسمه ونسبه :

ابو عبد الرحمن مُحَمَّد بن الحسين بن موسى السلمي الأزدي ، وهو منسوب الى قبيلة سليم بن منصور .

المولد والنشأة :

ولد بخراسان في جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ، وقيل سنة ثلاثين وثلاثمائة .

كان والده ورعاً زاهداً صوفياً جليل القدر مع فقره .

وكانت والدته سيدة فاضلة صوفية .

ولما اراد عبد الرحمن السفر الى الحج قالت له أمه : توجهت الى بيت الله ، فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غداً .

وقد نشأ عبد الرحمن في رعاية والديه المؤمنَين ، وحفظ القران الكريم ، وروى الأشعار ، وتعلّم العربية ، وعني بالحديث والتصوف .

شيوخه :

ومن شيوخه الدار قطني ، والسراج ، والنصر اباذي ، والأبزاري ، والصبغي ، وابو نعيم الأصبهاني ، والنيسابوري ، وابو سعيد النخعي ، والطرائفي ، وابو عمرو السلمي .

تلاميذه :

كان له الكثير من التلاميذ منهم البيهقي ، والتوزي ، والجويني ، والقشيري ، والخطيب البغدادي والجصيني ، والجوباري ، والتفليسي ، والماطيري ، والواسطي.

وقد ظل السلمي يؤلف عهداً طويلاً في التفسير والحديث والتصوف والطبقات ، ومن كتبه ومؤلفاته :

الطبقات الصوفية ،حقائق التفسير ، والأخوة والأخوات من الصوفية ، وآداب التعازي ، وآداب الصحبة وحسن المعاشرة ، وآداب الصوفية ، والأربعون في الحديث ، والاستشهادات ، وأمثال القران ، ومناهج العارفين ، ومقدمة في التصوف ، والفرق بين الشريعة والحقيقة ، ومحن الصوفية ، ومقامات الأولياء ، والفتوة ، وعيوب النفس ومداواتها ، وتاريخ أهل الصُفّة ، وتاريخ الصوفية ، وجوامع آداب الصوفية ، ودرجات المعاملات ، وغلطات الصوفية ، ورسالة الملامتية ، وزلل الفقر ، والزهد ، والسؤالات ، وسلوك العارفين ، والسماع ، وسنن الصوفية .

وكأيٍّ من العلماء كان للسلمي أعداء وخصوم ، نقدوه بشدة ،وحملوا عليه بقسوة ، واتهموه بعلمه في الحديث .

وكان هناك من رأى فيه انه ثقة ، وذو علمٍ ومعارف .

وهذا شأن العلماء دوماً .

يقول عنه ابو نعيم الأصبهاني وهو أحد شيوخه :

هو احد من لقيناه ممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة ، وتهذيبه على ما بيّنه الأوائل من السلف ، مُقتَدٍ بسمتهم ، ملازم لطريقتهم ، متبع لآثارهم ، مفارق لما يؤثر عن المنحرفين المتهوسين من رجال هذه الطائفة ، منكر عليهم .

وفاته :

وقد مات ابو عبد الرحمن السلمي في شعبان سنة اثنتي عشرة واربعمائة ، ودفن في (خانقاه) بناها في نيسابور .

مُحَمَّد بن مُحَمَّد البخاري

مُحَمَّد بهاء الدين النقشبندي

مُحَمَّد بهاء الدين النقشبندي الحسيني الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند، شيخ الطريقة التي أخذت اسمها من اسمه فأصبحت تُعرف بعده بالطريقة النقشبندية.

وكانت قبله تنسب الى الشيخ عبد الخالق الغجدواني .

سيرته :

والطريقة النقشبندية هي الطريقة الوحيدة التي تدّعي تتبع السلسلة الروحية المباشرة مع نبي الإسلام مُحَمَّد ﷺ من خلال أبو بكر الصديق وبذلك تكون تلك الطريقة مرتبطة بطريق غير مباشر بسيدنا علي عن طريق جعفر الصادق.

وتختلف بقية الطرق عن هذه الطريقة بأن سلسلتها جميعاً تتصل بسيدنا علي ما عدى الطريقة النقشبندية .

والشيخ مولود في شهر محرم الحرام سنة ٧١٧ هـ الموافق ١٣١٧م بقرية قصر هندوان، والتي سميت فيما بعد بقصر العارفان، وهي قرية في أوزباكستان بالقرب من بخارى مسقط رأس الإمام البخاري . أما وفاة الشيخ رحمه الله تعالى ففي ليلة الاثنين يوم ٣ في شهر ربيع الأول سنة ٧٩١ هـ الموافق ١٣٨٩ م .

ولمعرفة جانب من بداية حياته في التصوف والسلوك نقل لنا مُحَمَّد آمين الكردي في كتابه تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية حكاية الشيخ بهاء الدين أحمد بن مُحَمَّد النقشبندي وكما ذكرها ﷺ ، فقال قدس الله سره:

(أرسلني جدي وكان سني وقتئذ نحو ثماني عشرة سنة إلى سمّاس لخدمة العارف الكبير والمرشد الشهير الشيخ مُحَمَّد بابا السماسي باستدعاء منه لي، فلما نلت الحصول إليه لم يأت وقت الغروب إلا وقد وجدت بركته بنفس سكينة وخشوعا وتضرعا ورجوعا، ثم إني قمت فقت السحر فتوضأت وأتيت المسجد الذي فيه أصحابه فأحرمت بالصلاة فلما سجدت دعوت الله تعالى وتضرعت إليه كثيرا، فمر على لساني في أثناء دعائي: "إلهي أعطني قوة على تحمل البلاء ومحنة

المحبة"، ثم إني صليت الفجر مع الشيخ قدس الله سره فلما انصرف من الصلاة التفت إليّ وذكر لي كل ما صدر مني على طريق الكشف، ثم قال لي: "يا ولدي ينبغي أن تقول في دعائك: إلهي أعط هذا العبد الضعيف ما فيه رضاك، فإن الله تعالى لا يرضى أن يكون عبده في بلاء، وإن ابتلى حبيبه على مقتضى حكمته، يعطيه قوة على تحمله ويعطله على حكمته، فلا ينبغي للعبد أن يختار البلاء، فإنه ينافي مقام الأدب)[1]

وقال قُدِّس سره (لما توفي الشيخ مُحَمَّد بابا السماسي أخذني جدي إلى سمرقند فكان كلما سمع برجل صالح من أهل الله حملني إليه وسأله لي فكانت تنالني بركتهم، ثم أتى بي إلى بخارى وزوجني بها. وكانت إقامتي في قصر العارفان ومن العناية الإلهية بي أني وصلت إلى قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات فحسنت أحوالي وقويت آمالي إلى ان حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدس سره وأخبرني بأن الشيخ مُحَمَّد بابا السماسي قدس سره أوصاه بي وقال له: لا تأل جهدا بتربية ولدي مُحَمَّد بهاء الدين ولا بالشفقة عليه ولست مني في حِلٍّ إن قصرت في ذلك . فقال له قدس سره إن أنا قصرت في هذه الوصية فلست برجل ثم وفى وعده) [2]

وزاد الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه جامع كرمات الأولياء عن الشيخ بهاء الدين النقشبندي:

قال قدس الله سره: مبدأ يقظتي وتوبتي أني كنت جالسا مع صاحب لي في الخلوة، فبينما أنا ملتفت إليه أكلمه إذ سمعت قائلا يقول لي أما آن لك أن تعرض عن الكل وتتوجه إلى حضرتنا. فحصل لي من سماع هذا الكلام حال عظيم وخرجت مسرعا من ذلك البيت لا يقر لي قرار وكان قريبا منه ماء

---

[1] تهذيب المواهب السرمدية ص ٧٤ و الحدائق الوردية ص ٣٢١

[2] الحدائق الوردية ص ٣٢٢

فاغتسلت منه وغسلت ثيابي، وفي تلك حالة من الإنابة صليت ركعتين طالما مضت علي أعوام وأنا أتمنى أن أصلي مثلهما فلم أتمكن من ذلك . [1]

وقال قدس الله سره (قيل لي في بداية الجذبة: كيف تدخل في هذا الطريق ؟ فقلت على أن يكون كل ما أقوله وأريده فقيل لي : كل ما نحن نقول له يجب أن يفعل، فقلت: لا أطيق ذلك بل إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوما فحصل لي يأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لي: إن الذي تريده يكون فقلت أريد طريقة كل من دخلها تشرف بمقام الوصول) [2]

وقال ﷺ: (كنت أوائلَ السلوك وغلبة الحال عديم القرار، أدور الليل في نواحي بخارى وأزور القبور فزرت ليلة ضريح الشيخ مُحَمَّد بن واسع فوجدت عنده سراجا وفيه دهن واف وفتيلة طويلة غير أن الفتيلة تحتاج إلى تحريك قليل حتى يخرج الدهن وتجدد نورها فما لبست أن وقعت الإشارة إليّ بالتوجه إلى زيارة ضريح الشيخ أحمد الأجفريولي، فلما وصلت إليه إذا بسراج هنالك مسرج كذلك، وإذا أنا برجلين قد أتيا، فربطا على وسطي سيفين وأركباني حمارا ووجهاه إلى جهة ضريح الشيخ مزداخن قدس الله سره، فلما وصلناه، رأيت ثَمَّ سراجا كاللذين قبله فنزلت وجلست متوجها إلى نحو القبلة فوقع لي في ذلك التوجه غيبة فرأيت في تلك الغيبة أن الجدار القبل القبلي قد انصدع وظهرت دكة عالية عليها رجل عظيم المقدار قد أسبل أمامه ستر، وحول الدكة جماعة فيهم الشيخ مُحَمَّد بابا السماسي فقلت في نفسي من هذا الرجل العظيم ومن حوله؟ فقال لي أحدهم: أما الرجل العظيم فهو الشيخ عبد الخالق الغجدواني، وأما الجماعة فهم خلفاؤه، وجعل يشير إلى كل واحد منهم، ويقول: هذا الشيخ أحمد الصديق، وهذا

---

[1] جامع كرامات الأولياء ١ / ٩٦

[2] تهذيب المواهب ص ٧٤

الشيخ أولياء الكبير، وهذا الشيخ عارف الربوكري، وهذا الشيخ محمود الأنجيري نقولي، وهذا الشيخ علي الراميني، ولما بلغ إلى الشيخ مُحَمَّد بابا السماسي، قال: وهذا قد رأيته في حال حياته وهو شيخك، وقد أعطاك قلنسوة، أفتعرفه؟

فقلت نعم، وكان قد أتى على قصة قلنسوة حين من الدهر فنسيتها، ثم قال وهي في بيتك وقد رفع الله عنك ببركتها بلاء عظيما قد كان حل بك، فقال لي الجماعة: اصغ بسمعك، فإن حضرة الشيخ الكبير يريد أن يتلو عليك ما ليس لك عنه غنى في سلوك طريق الحق. فسألتهم أن أسلم عليه، فأزاحوا ذلك الستر فسلمت عليه، فبدأ يتكلم على ما يتعلق بأحوال السلوك أوله ووسطه ومنتهاه إلى أن قال: وأما تلك السرج التي رأيتها على تلك الكيفية، فإنما هي لك بشارة وإشارة إلى أن لك استعدادا تاما وقابلية لهذا الطريق، غير أنه ينبغي تحريق فتيلة الاستعداد حتى تقوى الأنوار وتظهر الأسرار، فأد القابلية حقها تبلغ الأوطار، وعليك بالاستقامة والثبات على جادة الشريعة المطهرة في جميع الأحوال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ بالعزيمة والبعد عن الرخصة والبدعة، وأن تجعل قبلتك أحاديث المصطفى ﷺ، وتفحص عن أخباره وآثاره، وأحوال أصحابه العظام، ثم بالغ بالتحريض والحث على ذلك، ولما أن أتم كلامه، قال لي خليفته: وآية صدق هذه الواقعة أن تذهب غدا عند مولانا شمس الدين الأنيقوتي وتخبره بأنه ما يدعيه فلان التركي على السقاء هو صحيح والحق مع التركي وأنت تساعد السقاء، فإن أنكر السقاء صحة هذه الدعوة فقل له عندي شاهدان: الأول أنك يا سقاء عطشان، فهو يعرف معنى هذه الكلمة، والثاني أنك أتيت امرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني تحت كرمة، ثم قال فإذا بلغت هذه الرسالة لمولانا شمس الدين، فخذ في اليوم الثاني ثلاث حبات من زبيب واذهب إلى نسف لخدمة السيد كلال، وستجد في المحل الفلاني من الطريق شيخا يعطيك رغيفا حارا فخذه

منه، ولا تكلمه وامض في طريقتك، فتمر على قافلة إذا جاوزتها استقبلك فارس فانصحه، فإنه ستكون توبته على يدك، وخذ معك قلنسوة العزيزان إلى السيد كلال، ثم بعد ذلك حركوني فرجعت إلى نفسي. فلما أصحبت ذهبت إلى منزلي في زيورتون وسألت أهلي عن القلنسوة، فآتوني بها وقالوا إن لها في ذلك الموضع مدة مديدة، فلما رأيتها أتاني حال عظيم وبكاء شديد، فأخذتها وتوجهت ساعتئذ إلى أبنيكية قرية من قرى بخاري، فأتيت مسجد مولانا شمس الدين فصليت معه الصبح، ثم بلغته ما أرسلت به إليه، فتحير وكان السقاء ثم حاضرا، فأنكر صحة دعوى التركي، فأقمت عليه البينة السابقة فكذب أمر الفاحشة فذهب جماعة ممن في المسجد إلى ذلك الموضع فحفروه فوجدوا السقط مدفونا فيه، فطفق السقاء يعتذر، وبكى مولانا شمس الدين وجماعة المسجد، وحصل لهما أحوال عظيمة، ثم عزمت في اليوم الثاني على التوجه إلى نسف من الطريق الذي عينوه لي في الواقعة، وأخذت معي ثلاث حبات من زبيب، فبلغ مولانا توجهي فأرسل إلي ولا طفني كثيرا وقال: إني أرى آلام الطلب قد استولت عليك، وآثرت بك لوعة الحصول على الوصول وشفاؤك عندنا فأقم لنؤدي حق تربيتك ونبلغك أقصى بغيتك على مقتضى علو همتك، فرأيتني أقول له: أنا ولد غيركم ولو جعلتم ثدي التربية في فيّ لا أقبله، فسكت وأذن لي بالسفر، فتحزمت بحزام لي وأمرت شخصين أن يشداه من الطرفين ليكون في غاية الإحكام وسرت، فلما وصلت المكان الذي ذكر لي لقيت فيه شيخا فأعطاني رغيفا حارا فأخذته ولم أكلمه، ومضيت، فإذا أنا بقافلة، فسألني أهلها من أين أتيت؟ فقلت لهم: من أنبكية، قالوا: متى خرجت منها؟ فقلت لهم: وقت طلوع الشمس وكان ذلك عند الضحى، فعجبوا من ذلك ، وقالوا إن بين القرية وهذا المحل أربعة فراسخ ، ونحن خرجنا أول الليل، ثم بارحتهم وسرت فما نشبت أن استقبلني فارس ، فحينما وصلت إليه سلمت عليه فقال لي: من

أنت فإني أجدني خائفا منك؟ فقلت له: أنا الذي تكون توبتك على يديه، فتحول بالحال عن فرسه، وأظهر كمال التواضع والتضرع وتاب، وكان معه أحمال من خمر فأهرقها كلها، ثم جاوزته وقد دخلت حدود نسف فقصدت مقام السيد أمير كلال، فلما تشرفت برؤيته وضعت القلنسوة بين يديه ، فسكت برهة طويلة ، ثم قال هذه القلنسوة العزيزان ؟

فقلت له نعم ، فقال: صدر الأمر بأن تحفظ ضمن عشرة أغشية ، فأخذتها وفعلت كما أمر ، وبعد ذلك ، لقنني الذكر بالنفي والإثبات خفية، وأمرني بالاشتغال به، فتبعته على ذلك، ولكوني أمرت في الواقعة بالأخذ بالعزيمة، لم أذكر بالجهر، ثم لازمت العلماء لاقتباس أنوار العلوم الشرعية منهم، واقتفاء آثار رسول الله ﷺ وقراءة أحاديث الشريفة، والبحث عن أخلاقه وأحوال الصحابة الكرام والعمل بها كما أمرت، فوجدت لذلك تأثيرا تاما ونفعا عظيما، وكل ما تكلم به الشيخ عبد الخالق الغجدواني مر عليّ وظهرت لي نتيجة كل أمر في وقته)[1]

وقيل في معنى نقشبند أو نقش بندر أنها ربط النقش، والمقصود بالنقش انطباع القلب بالذكر، وربطه أي بقاؤه من غير محو، حيث تقوم هذه الطريقة في التصوف على الذكر أساسا، وتسمى أيضا بأسماء عدة بحسب اسم إمام الوقت.

بعد إتمام التربية على يد الشيخ الأمير كلال، أخذ شاه نقشبند يزور الصالحين ويستفيد من أحوالهم، فحجَّ ثلاث مرات ثم أقام بمرو وبخارى، ثم عاد أخيراً إلى بلدته قصر عارفان ليستقر فيها، فقدم إليه المريدون من كلِّ مكان، وأصبح يبثُّ من العلوم الغيبية والأسرار الوهبية، والمعارف الأحدية، والفيوضات المحمدية، ما لا يحيط به محيط.

---

[1] جامع كرامات الأولياء ١ / ١٩٦ – ١٩٨

في الحقيقة كانت بداية الشيخ نقشبند أويسياً فقد ربته روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني رضي الله عنه ، بالإضافة إلى شيخه الأمير كلال وشيخه السماسي، فقد كان استعداده فوق العادة فكان يقطع مسافة شهر بيوم واحد ومسافة عام بأيام، ففي يوم من الأيام جمع السيد أمير كلال مريديه وقال لمحمد بهاء الدين أمامهم : إني نَفَّذت وصية مرشدي الخواجة السماسي بتربيتك ، ولم آل جهداً في تربيتك، ثم مدَّ يده إلى صدره وقال: إني أرضعتك جميع ما في صدري فيبس ثديي، فتمكَّنت من إخراج قلبك من قشرة البشرية ، وتخليصك من النفس والشيطان ، وأصبحتَ رجلاً عظيماً، وأنبتُك محلَّ نفسي، ولكنَّ هِمَّتك تتطلَّب العالي، وهذا منتهى مقدرتي على تربيتك، وأجيزك لتبحث عن رجلٍ أصلح مني لعله يعرج بك إلى مقام أعلى.

لذلك يقول الإمام شاه نقشبند في وصف رحلته الروحية، إنه تلقى من روحانية الشيخ عبد الخالق الغجدواني، بعد أن أوصله الأمير كلال على قدر طاقته. والشيخ الغجدواني توفي قبل بهاء الدين بسنين طويلة، فهذا هو السبب في كونه أويسيَّ المشرب، لذلك يقال له: مُحَمَّد الأويسي.

ربى الشيخ بهاء الدين عشرات الألوف من المريدين، وقد وصل بعضهم درجة الإجازة المطلقة، وبفيض بركاته تمكن خلفاؤه ونوابه إبلاغ مريديهم إلى غاياتهم. وكان مريدو الأمير كلال إذا اجتمعوا يذكرون بالذكر الجهري، وإذا انفردوا يذكرون بالذكر الخفي، لكن شاه نقشبند اقتصر على الذكر الخفي لأنه أقوى وأولى. فأصبح الذكر الخفي من أهم ما يميز الطريقة النقشبندية عن سواها من الطرق الصوفية.

ترك الشيخ بهاء الدين عدداً من الكتب، أهمها: الأوراد البهائية، وقد قام أتباعه بشرحها وتسميتها "منبع الأسرار"، وقام مريده حمزة بن شمشاد بترتيبها حسب الحروف وبشرح ما أشكل منها.

وله أيضاً كتاب تنبيه الغافلين، وكتاب سلك الأنوار، وكتاب هدية السالكين وتحفة الطالبين، وله صلوات على رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم .

وقد أسس شاه نقشبند طريقته على أصول الإسلام الحنيف، وكان شديد الحرص على التمسك بالسنّة النبوية المطهرة؛ وعندما سُئل: بماذا يصل العبد في طريقكم؟ قال: بمتابعة سنة رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم؛ إن طريقنا من النوادر وهي العروة الوثقى، وما هي إلا التمسك بأذيال متابعة السنّة السَنية واقتفاء آثار الصحابة الكرام.

وفاته :

لما مرض الشيخ بهاء الدين شاه نقشبند رضي الله عنه مرضه الأخير، دخل خلوته وأخذ مريدوه يتوافدون إليه ويلازمونه؛ فكان يوصي كلاً منهم بما يناسبه. وقال الشيخ علاء الدين العطار رضي الله عنه: كنا نقرأ عند احتضار حضرة الشيخ رضي الله عنه «سورة يس» فلما بلغنا نصفها شرعت الأنوار تسطع، فاشتغلنا بالذكر، فتوفي رحمه الله. وكان ذلك ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة ٧٩١ هـ، الموافقة ١٣٨٨ م، وكان عمره أربع وسبعون سنة. ودفن رحمه الله في بستانه كما أوصى في بخارى بأوزبكستان..

وضريح الشيخ بهاء الدين النقشبندي في بخارى ـ أوزبكستان يُزار ويُتبرك به .

مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد

حجة الإسلام أبو حامد الغزالي

٤٥٠ هـ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨م – ١١١١م

(أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم ، من لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة ، بل بعضهم ينظر اليه بعين الرضا ، وبعضهم بعين السخط)

أبو حامد الغزالي

كان كبحّار يتنقل بين بحار العلم يبحث عن الحقيقة .

مسلمٌ حَمَلَ رغبته بالوصول الى الله ومعرفة طريق القرب منه تعالى وراح يبحث ، حتى اهتدى .

طرق كل أبواب العلم ، وسَهَرَ الليالي يُنَقِّب ويبحث ... غاص بين السطور ، تمعَّن في الكلمات ، دار بين العناوين ... حتى برع في الكثير من العلوم وصار مرجعاً في المعارف ... وظلَّ يبحث الى ان ألقى الله تعالى في قلبه نوراً فعرف الطريق ، وسار على هدى .

وقف أمام الباب بصبرٍ وطَرَقَ الباب بصِدْقٍ ، فَفُتِحَ له .

لم يغترَّ بما حَمَلَ من العلوم ولا داعبت قلبه شهوة الرياسة ولا اهتم بالمال والشهرة ، وذيوع الاسم ، ولا بالجاه ونفوذ الكلمة ،كان مطلبه أكبر ، وهمَّه أبعد .

درس الفقه والمنطق ، وأمعن بدراسة الفلسفة وعلم الكلام ، ودرس كل علوم وقته ، حتى صار مرجعاً فيها ...

ويوم طلبه الحقُّ ، راح يبحث عن الحقيقة ...

فتجرَّدَ من علومه ، واتَّجَه بقلبه بعد ان شكّ في الحواس والعقل وفي قدرتهما على تحصيل العلم اليقيني .

وحين بلغ التصوف ... وبعد أن ذاق وعَرِف ، حطَّ ركابه ، وكفَّ عن الترحال ، وتَرَكَ كل ما كان ، واختلى لعبادته .

ونادى بأعلى صوته :

(علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ..فإن جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يُستضاء به) [1]

النسب والنشأة :

أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري ، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري ، كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً .

(وكان صوفيّ الطريقةِ ، شافعيّ الفقهِ ولم يكن للشافعية في آخر عصره مثلَه ، وكان على مذهب الأشاعرة في العقيدة ، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام ، وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري ، (ثم الباقلاني والجويني والغزّالي) [2]

لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب "حجّة الإسلام"، وله أيضاً ألقاب مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمّة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة .

(كان له أثرٌ كبيرٌ وبصمةٌ واضحةٌ في عدّة علوم مثل الفلسفة، والفقه الشافعي، وعلم الكلام، والتصوف، والمنطق، وترك عدداً من الكتب في تلك المجالات) [3]

يُكنّى بأبي حامد لولد له مات صغيراً [4]، ويُعرَف بـ "الغزّالي" بتشديد الزاي نسبة

---

[1] تهافت الفلاسفة ص ٥٩

[2] الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ص ٢٣٢

[3] الفيلسوف الغزالي ص ٢٧-٣٢

[4] الفيلسوف الغزالي ص ٢٧-٣٢

إلى صناعة الغزل ، حيث كان أبوه يعمل في تلك الصناعة ، ويُنسب أيضاً إلى "الغَزَالي" نسبة إلى بلدة غزالة من قرى طوس ، وقد قال عن نفسه: «النّاس يقولون لي الغزّالي ، ولستُ الغزّالي ، وإنّما أنا الغَزَالي منسوبٌ إلى قرية يُقال لها غزالة». [١] .

وقد قال ابن خلكان أن بنسبته إلى(الغزّالي) (بتشديد الزاي) هو المشهور، وهو أصحّ من نسبته إلى (الغَزَالي) [٢] ويؤكّد ذلك ما رواه الرحّالة ياقوت الحموي بأنّه لم يسمع ببلدة الغزالة في طوس[٣] كما يُعرف بـ"الطوسي" نسبة إلى بلدة طوس الموجودة في خراسان ، والتي تعرف الآن باسم مدينة مشهد الموجودة في إيران.

وقد اختلف الباحثون في أصل الغزالي أعربي أم فارسي ، فهناك من ذهب إلى أنه من سلالة العرب الذين دخلوا بلاد فارس منذ بداية الفتح الإسلامي ، ومن الباحثين من ذهب إلى أنه من أصل فارسي [٤].

ولد الغزّالي عام ٤٥٠ هـ الموافق ١٠٥٨، في "الطابران" من قصبة طوس [٥]، وهي أحد قسمي طوس من أُسرة فقيرة الحال ، وكان أباه يعمل في غزل الصوف وبيعه في طوس ، ولم يكن له أبناء غيرَ أبي حامد ، وأخيه أحمد والذي كان يصغره سنّاً [٦]

---

[١] سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٤٣

[٢] وفيات الأعيان ، ابن خلكان ١ / ٩٨

[٣] معجم البلدان ٣ / ٥٦١

[٤] انظر مقدمة تحقيق كتاب الوجيز في الفقه الشافعي

[٥] طوس هي مدينة تاريخية أثرية بإيران تسمى اليوم بمشهد الرضا. كانت من كبريات مدن خراسان القديمة وقد فُتحت أيام حكم الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، وطمست معالمها بعد هجوم المغول عليها

[٦] حجة الإسلام ص ٣٥

كان الأب مائلاً للصوفية ، محباً لهم وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، ويحضر مجالس الفقهاء ويجالسهم ، ويقوم على خدمتهم ، وينفق عليهم ما أمكنه إنفاقه ، وغالباً ما كان يدعو الله أن يرزقه ابنا ويجعله فقيهاً ، فكان ابنه أبو حامد، وكان ابنه أحمد واعظاً مؤثراً في الناس [1].

ولما قربت وفاة أبيهما ، وصّى بهما إلى صديق له متصوّف ، وزوده بما يدخره من مال لينفقه على تعليمهما وقال له:

(إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في وَلَديّ هذَيْن فعلّمهما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أخلّفه لهما) ، فلما مات أقبل الصوفيّ على تعليمهما حتى نفد ما خلّفه لهما أبوهما من الأموال ، ولم يكن بمقدور الصوفي ان يواصل الإنفاق عليهما ، فقال لهما: (اعلما أنّي قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به وأصلح ما أرى لَكمَا أن تلجئا إِلَى مدرسة كأنكما من طلبة الْعلم فَيحصل لَكمَا قوت يعينكما على وقتكما) ، ففعلا ذلك وكان هو السبب في علو درجتهما، وبهذا يكون هذا الرجل الصالح قد أسدى للمسلمين خدمة ، فهذا الطفل اليتيم سيصبح يوماً علماً من أعلام المسلمين وحجة في العلم وفي الفقه وفي طب القلوب والأرواح وكان الغزاليّ يَحكي هذا ويقُول :

(طلبنا الْعلم لغير الله فأبى أن يكون إِلّا لله) [2]

طلبه للعلم :

وفي هذه المدرسة كانت أولى خطوات أبي حامد في دنيا العلم حيث تعلَّم الفقه على مذهب الإمام الشافعي .. وكان استاذه أحمد بن مُحَمَّد الراذاكاني .

ثم رحل إلى جرجان وطلب العلم على يد الشيخ أبي نصر الإسماعيلي ،

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦ / ١٩١- ١٩٤

[2] انظر طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ٦ / ١٩١- ١٩٤

وقد علّق عليه التعليقة (أي دوّن علومه دون حفظ وتسميع وكَتَبَ ملاحظاته) ، ومِن ثَمَّ رجع الى طوس . وفي طريق عودته من جرجان إلى طوس، واجهه قطّاع طرق، حيث يروي الغزالي قائلاً :

(قطعت علينا الطرِيق وأخذ العيّارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم فالتفت إليّ مقدّمهم وقال: ارجع ويحك وإلا هلكت فقلت له: أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به. فقال لي: وما هي تعليقتك: فقلت: كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها. فضحك وقال: كيف تدّعي أنّك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلّم إليّ المخلاة قال الغزالي: هذا مستَنْطق أنطقه الله ليرشد به أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين، حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمي)[1]

ويقع في قلب الغزالي ان يحفظ العلوم التي حصَّلَها والتعليقات والشروح التي وضعها على تلك العلوم ، ويعتكف لحفظ العلوم ، ويستغرقه ذلك ثلاث سنوات من عام ٤٧٠ هـ إلى ٤٧٣ هـ حتى حفظها عن ظهر قلب .. وما بات يخشى ان تضيع عليه علومه .

وبعد ان أقام ثلاث سنوات في طوس بعد عودته من جرجان ، ارتحل الى نيسابور .

شيوخ الغزالي وتلاميذه :

(درس الغزالي على عدد من العلماء منهم :

١ ــ احمد الرازكاني : أخذ عنخ الفقه في طوس .

٢ ــ ابو نصر الإسماعيلي .

---

[1] الأخلاق عند الغزالي ص ٣٣ – ٣٤

٣ ــ ابو المعالي الجويني :أخذ عنه الفقه وأصوله وعلم الكلام والمنطق والفلسفة.
٤ ــ الفضل بن مُحَمَّد الفارمذي ، تلميذ أبي القاسم القشيري ، والذي اشتهر في زمانه حتى صار مقصد طالبي التصوف ، وقد أخذ عنه الغزالي التصوف .
٥ ــ الشيخ يوسف النساج : وقد أخذ عنه التصوف .) [١]

تلاميذ الغزالي :

كانت مدرسة الغزالي تضم عشرات التلاميذ الأذكياء، وقد أثّر الغزالي تأثيراً كبيراً في جمهور كبير من تلاميذه ، وذكر الزبيدي منهم [٢]:

أبو النصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخمقدي، توفي سنة ٥٤٤ هـ، وتفقّه في طوس على الغزالي.

أبو منصور مُحَمَّد بن إسماعيل بن الحسين العطاري، الواعظ في طوس والملقّب بـ "جندة"، توفي ٤٨٦ هـ، وتفقّه في طوس على الغزالي.

أبو الفتح أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن برهان، وكان حنبلياً، ثم تفقّه على الغزالي، وكام يدرّس في المدرسة النظامية علوم شتى، ودرّس إحياء علوم الدين للطلاب، توفي ٥١٨ هـ.

أبو سعيد مُحَمَّد بن أسعد التوقاني ، توفي ٥٥٤ هـ.

أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن تومرت المصمودي، الملقّب بـ "المهدي".

أبو حامد مُحَمَّد بن عبد الملك الجوزقاني الإسفراييني، تفقّه على الغزالي في بغداد.

مُحَمَّد بن يحيى بن منصور، وهو من أشهر تلامذته، تفقه على الغزالي، وشرح كتابه الوسيط.

أبو بكر بن العربي، القاضي المالكي، وهو من حمل كتابه إحياء علوم الدين إلى المغرب العربي عند عودته من رحلته المشرقية عام ٤٩٥ هـ.

---

[١] الكفاية شرح بداية الهداية ص ١٧

[٢] اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ١ / ٥٥

أحمد بن مَعَدّ بن عيسى بن وكيل التجيبي الداني الأُقْلِيشي، لم يكن له لقاء مباشر مع الغزالي، فإن أخذه وروايته لمؤلفات الإمام، كانت عن طريق شيخيه أبو بكر بن العربي وعبَّاد بن سَرْحَان المعَافِرِي.

عبد القادر الجيلاني ، والجيلاني ألتقى بالغزالي وتأثر به حتى أنه ألف كتابه "الغُنية لطالبي طريق الحق" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين" [1]

ملازمته لإمام الحرمين في نيسابور :

قدم الغزالي نيسابور، وهي عاصمة السَّلجوقيين ، ومدينة العلم بعد بغداد ولازم إمام الحرمين الشيخ أبو المعالي الجويني (إمام الشافعية في وقته، ورئيس المدرسة النظامية) ، وهو عالم له شخصيته وجلالته في العلم والتدريس .

فدرس عليه مختلف العلوم، من فقه الشافعية، وفقه الخلاف ، وأصول الفقه ، وعلم الكلام ، والمنطق ، والفلسفة ، وجدّ واجتهد حتى برع وأحكم كل تلك العلوم ، ووصفه شيخه أبو المعالي الجويني بقوله : الغزالي بحر مغدق

وأعجب إمام الحرمين بذكائه، وغوصه على المعاني الدقيقة، واتساع معلوماته، وفاق الغزالي أقرانه وهم أربعمئة حتى أصبح معيداً لأستاذه ونائباً عنه ،

وقيل: إنه ألف المنخول، فراه أبو المعالي، فقال: دفنتني وأنا حيٌّ، فهلا صبرت الان، كتابك غطَّى على كتابي) [2]

تعيينه مدرساً على نظامية بغداد:

ولما مات إمام الحرمين عام (٤٧٨ هـ) ، خرج الغزالي إلى المعسكر قاصداً الوزير نظام الملك ، وهو لم يتجاوز الثامنة والعشرين من سِنّه ، وقد ظهر فضله وذاع صيته ، وكان مجلس الوزير مجمع أهل العلم ، وملاذهم ، وكانت المجالس لا تخلو

---

[1] الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة ص ٢٤ و الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية ص٧٦

[2] انظر الغزالي ص ١٩

من المناظرات الفقهية ، والمطارحات الكلامية ، فناظر الغزالي الأئمة العلماء في مجلس نظام الملك ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله ، وتلقَّاه الوزير بالتعظيم والتبجيل، وولاّه تدريس مدرسته النظامية ببغداد، وكان ذلك غاية ما يطمح إليه العلماء ، ويتنافسون فيه ، فقدم بغداد في سنة أربع وثمانين وأربعمئة ، ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره ، وقلَّما تقلَّد هذا المنصب الرفيع عالم وهو في هذه السن . وصل الغزالي إلى بغداد في جمادى الأولى سنة ٤٨٤ هـ ، في أيام الخليفة المقتدي بأمر الله العباسي .

درَّس الغزالي بالنظامية ، وأعجب الخلق حسن كلامه ، وكمال فضله، وفصاحة لسانه، ونُكتَهُ الدقيقة، وإشاراته اللطيفة، وأحبُّوه. قال معاصره عبد الغافر الفارسي: وعلت حشمته ودرجته في بغداد، حتى كانت تغلب حشمه الأكابر، والأمراء، ودار الخلافة، وكان يقرأ عليه جمٌّ غفير من الطلبة المحصِّلين، يقول في (المنقذ من الضلال) في وصف حاله، والنظامية :

(وأنا ممُنُوٌّ بالتدريس والإفادة لثلاثمئة نفس من الطلبة ببغداد)[1]

وهذا العدد من الطلاب لم يكن من السهل إيصال العوم اليهم ، لكن ، على الرغم من هذه الصعوبة فإن الشيخ الغزالي أخذ بالتأليف في الأصول ، والفقه ، والكلام ، والحكمة والفلسفة .

وقد أقام على التدريس وتدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدّة أربعة سنوات، حتى اتسعت شهرته وصار يُشدّ له الرّحال، ولُقّب يومئذٍ بـ "الإمام" لمكانته العالية أثناء التدريس بالنظامية في بغداد ، ولقّبه نظام الملك بـ "زين الدين" و"شرف الأئمة" [2] وكان يدرّس أكثر من ٣٠٠ من الطلاب في الفقه وعلم الكلام وأصول الفقه ، وحضر مجالسه وكان يحضر مجالسه اضافة

---

[1] المنقذ من الضلال ص ٧٣

[2] البداية والنهاية ج١٦

لطلبته الأئمة الكبار ورجال العلم .

انهمك الغزالي في البحث والاستقصاء والردّ على الفرق المخالفة بجانب تدريسه في المدرسة النظامية، فألّف كتابه "مقاصد الفلاسفة" يبيّن فيه منهج الفلاسفة، ثمّ نقده بكتابه "تهافت الفلاسفة" مهاجماً الفلسفة ومبيّناً تهافت منهجهم [١]

ثمّ تصدّى الغزالي للفكر الباطني (وهم الإسماعيلية) الذي كان منتشراً في وقته بعد أن أصبح الباطنيون ذوو قوّة سياسية وبلغ من قوّتهم أنّهم اغتالوا الوزير نظام الملك عام ٤٨٥ هـ الموافق (١٠٩١)[٢]، وتُوفي بعده الخليفة المقتدي بأمر الله، فلما جاء الخليفة المستظهر بالله ، طلب من الغزالي أن يحارب الباطنية في أفكارهم ، فألّف الغزالي في الردّ عليهم "فضائح الباطنية" و "حجّة الحق" و"قواصم الباطنية" [٣]

مرحلة الشك والبحث في حياة الشيخ :

قبل أن يستقر أمر الغزالي على التصوف ، مرّ بمراحل كثيرة في حياته الفكرية ، كما يرويها هو نفسه في كتابه المنقذ من الضلال ، فابتدأ بمرحلة الشكّ بشكل لا إرادي ، والتي شكّ خلالها في الحواس والعقل وفي قدرتهما على تحصيل العلم اليقيني ، ودخل في مرحلة من السفسطة غير المنطقية حتى شُفي منها بعد مدة شهرين تقريباً [٤]. ليتفرّغ بعدها لدراسة الأفكار والمعتقدات السائدة في وقته ، يقول: (ولما شفاني الله من هذا المرض بفضله وسعة جوده ، أحضرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق : المتكلمون : وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر. والباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم، والمخصوصون بالاقتباس من

---

[١] الفيلسوف الغزالي ص ٣٨ – ٤٠

[٢] مختصر تاريخ العرب، أمير علي، ص٢٧٨

[٣] الفيلسوف الغزالي ص ٣٨ – ٤٠

[٤] المنقذ من الضلال ص١١٢-١١

الإمام المعصوم .

والفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .

والصوفية: وهم يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المشاهدة والمكاشفة) [1]، ويتابع ويقول: (فابتدرت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئاً بعلم الكلام، ومثنياً بطريق الفلسفة، ومثلثاً بتعلّم الباطنية، ومربعاً بطريق الصوفية) [2].

فعكف على دراسة علم الكلام حتى أتقنه وصار أحد كبار علمائهم، وصنف فيه عدة من الكتب التي أصبحت مرجعاً في علم الكلام فيما بعد مثل كتاب "الاقتصاد في الاعتقاد"، إلا أنه لم يجد ضالته المنشودة في علم الكلام، ورآه غير وافٍ بمقصوده ، يقول عن نفسه: «فلم يكن الكلام (أي علم الكلام) في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً». بعد ذلك توجّه لعلم الفلسفة ودرسها وفهمها، ثم نقدها بشدة بكتابه تهافت الفلاسفة . ثم درس بعدها الباطنية فردّ عليهم وهاجمهم. ليستقر أمره على علم التصوف .

ولابد من التأني والتمهل عند الحديث عن موقف الشيخ الغزالي من الفلسفة والفلاسفة ففيها تفصيلات تستلزمها شيوع الفلسفة في عصر أبي حامد الغزالي حتى أثرت في تفكير الكثيرين من علماء ومفكري عصره وسلوكهم ، نتيجة انبهارهم بالفلسفة وخصوصاً اليونانية منها مما أدى إلى التشكيك في الدين الإسلامي عند الكثيرين وذلك بالضرورة سيقود الى الانحلال الأخلاقي ، والاضطراب السياسي ، والفساد في المجتمع .

فتصدّى أبو حامد الغزالي لهم بعد أن عكف على دراسة الفلسفة لأكثر من سنتين ، حتى استوعبها وفهمها ، وأصبح كواحد من كبار رجالها ، يقول رضي

---

[1] المنقذ من الضلال ص١١٢-١١

[2] المنقذ من الضلال ص١١٢-١١

الله عنه عن نفسه : (ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة، وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم، من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم.. فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب.. ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره، حتى اطَّلعت على ما فيه من خداع، وتلبيس وتحقيق وتخييل، واطلاعاً لم أشك فيه) [1]، وألّف في ذلك كتابه "مقاصد الفلاسفة" مبيّناً منهجهم .

ثم بعد ذلك وصل إلى نتيجته قائلاً : (فإني رأيتهم أصنافاً، ورأيت علومهم أقساماً وهم – على كثرة أصنافهم – يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل، تفاوت عظيم، في البعد عن الحق والقرب منه) [2].

تناول الغزالي الفلسفة بالتحليل التفصيلي، وذكر أصنافهم وأقسامهم، وما يستحقون به من التكفير بحسب رأيه، وما ليس من الدين، بذلك اعتُبر الغزالي أول عالم ديني يقوم بهذا التحليل العلمي للفلسفة، وأول عالم ديني يصنّف في علومهم التجريبية النافعة، ويعترف بصحة بعضها. إذ قسّم الغزالي علوم فلاسفة اليونان إلى العلوم الرياضية، والمنطقيات، والطبيعيات، والإلهيات، والسياسات، والأخلاقيات، وكان أكثر انتقاد الغزالي وهجومه على الفلاسفة ما يتعلق بالإلهيات، إذ كان فيها أكثر أغاليطهم بحسب الغزالي، وقد كفّر الغزالي فلاسفة الإسلام المتأثرين بالفلسفة اليونانية في ٣ مسائل، وبدّعهم في ١٧ عشر مسألة ، وألّف كتاباً مخصوصاً للرد عليهم في هذه ال ٢٠ مسألة سمّاه "تهافت الفلاسفة"، وفيه هاجم الفلاسفة بشكل عام والفلاسفة المسلمون بشكل

---

[1] المنقذ من الضلال ص١٢٦-١٢٧

[2] المنقذ من الضلال ص١٢٦-١٢٧

خاص، وخاصة ابن سينا والفارابي فقد هاجمهم هجوماً شديداً، ويُقال إنه قضى على الفلسفة العقلانية في العالم العربي، منذ ذلك الوقت ولعدة قرون متواصلة. فجاء بعده ابن رشد فرد على الغزالي في كتابين أساسيين هما "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، ثم "تهافت التهافت".

الصحوة :

من كان عزيزاً على الله سبحانه فإنه لا يضَيّعَه ، فلله جذبات واجتباءات ، والله يصطفي ويختار ، وفضله قديم واحسانه شامل .

فحين كان أبو حامد في قمة مجده وحين كانت هيبته تطغى وتزيد على هيبة الأمراء ، أراد الله تعالى ان يحيطه بمزيد لطفه وكريم عنايته ...

وفي لحظة صفاء تتكشف أمام الغزالي ﷺ حقيقة أن الإخلاص شرط القبول ، وان الله تبارك وتعالى غنيٌّ عن الشراكة ، وان ما حصَّلَ من العلوم كانت لنفسه ، لم يَرِدُ بها الوصول الى المنهج والطريق الموصل الى الله ، كان ينبغي ان يُقال عنه انه الأعلم وأنه الأفهم ، كان يبني مجده بين الناس ...

ويستفيق ﷺ ، وينظر الى العلوم التي حَصَّلها ، والى الكتب التي قرأها ، فكان ... وكأنه يراها لأول مرة ... انها غريبة عليه ، او .. ربما هو غريب عن هذه العلوم ، او ، غريب على الدرب الذي يسلكه ...

ويعود الى العلوم يبحث فيها ... عن .. ما يوصل الى الله ، فكان يبحث لله ، والله لا يُضَيّع صادقاً ... أقبل الشيخ ابو حامد على الله متجرداً من علومه ومعرفته ، طَرَقَ الباب ، ففُتِح له .

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [1]

ومن يُرِدُ اللهُ به خَيراً :

يقول الإمام الغزالي: (كنت في مبدأ أمري منكراً لأحوال الصالحين ومقامات

[1] سورة العنكبوت ٦٩

العارفين ، حتى صحبت شيخي يوسف النساج ، فلم يزل يصقلني بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات، فرأيت الله تعالى في المنام، فقال لي: يا أبا حامد.
فقلت: أو الشيطان يكلمني ؟ قال: لا ؛ بل أنا الله المحيط بجهاتك الست .
ثم قال: يا أبا حامد، زُرْ مساطرك واصحب أقواما جعلتُهم في أرضي محل نظري، هم الذين باعوا الدارين بحبي .
قلت: بعزتك ألا أذقْتني برد حسن الظن بهم .
قال: قد فعلت . والقاطع بينك وبينهم : تشاغلك بحب الدنيا ؛ فاخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغراً ، فقد أفِضتُ عليك أنواراً من جوار قدسي .
فاستيقظتُ فرحاً مسروراً، وجئتُ إلى شيخي يوسف النساج، فقصصت عليه الرؤيا فتبسم، وقال: يا أبا حامد، هذه ألواحنا في البداية، بل إن صحبتَني ستكحل بصريتك بإثمد التأييد حتى ترى العرش وَمَن حوله ، ثم لا ترضى بذلك ، حتى تشاهد ما لا تدركه الأبصار؛ فتصفو من الأكدار طبيعتك ، وترقى على طور عقلك، وتسمع الخطاب من الله تعالى كموسى :
﴿إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ العالَمين ﴾
ويقول الإمام الغزالي بعدها متحدّثاً ومدافعا عن النهج الصوفي: «وماذا يقول القائلون في طريقة أول شروطها: تطهير القلب عَّما سوى الله تعالى، ومفتاحها: استغراق القلب بالكلية في ذكر الله، وآخرها: الفناء بالكلية في الله) [1]

الطريق الى التصوف :

ومن طريق آخر يروي شيخنا رحلته في البحث عن (الحقيقة) ، بعد كل الذي حَصَّلَه من العلوم ، وبعد كل الذي قيل فيه وعنه ، فإنه عاد يبحث ، وهذا يستلزم قدراً عالياً من الشجاعة فهو كان وقتها عالم بغداد الأشهر ... يقول الشيخ :

---

[1] محي الدين بن عربي ص ٦٦ – ٦٧

(ثم إني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقتهم إنا تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر علي من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم وغيرهم من المشايخ، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع. فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات. وكم من الفرق أن تعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما، وبين أن تكون صحيحاً وشبعان؟ وبين أن تعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن تكون سكران! بل السكران لا يعرف حد السكر، وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء. الطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها، وهو فاقد الصحة. فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه، وبين أن تكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا!.

فعلمت يقيناً أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال. وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك. وكان قد حصل معي – من العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها، في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، وباليوم الآخر.

فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي، لا بدليل معين

مجرد، بل بأسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها. وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله، قطع علاقة القلب عن الدنيا، بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب من الشواغل والعلائق. ثم لاحظت أحوالي، فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من الجوانب، ولاحظت أعمالي – وأحسنها التدريس والتعليم – فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة، ولا نافعة في طريق الآخرة) [1]

اعتزال التدريس وترك بغداد :

حُبُّ الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان في قلب ، وكان لابد للغزالي ان يختار .

(ثم تفكرت في نيتي في التدريس، فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقنت أني على شفا جرف هار، وأني قد أشفيت على النار، إن لم أشتغل بتلافي الأحوال. فلم أزل أتفكر فيه مدة، وأنا بعد على مقام الاختيار، أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوماً، وأحل العزم يوماً، وأقدم فيه رجلا وأؤخر عنه أخرى. لا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة، إلا ويحمل عليها جلد الشهوة حملة فيفترها عشية، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام، ومنادي الإيمان ينادي: الرحيل الرحيل! فلم يبق من العمر إلا قليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل! فإن لم تستعد الآن للآخرة، فمتى تستعد؟ وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع؟ فعند ذلك تنبعث الداعية، وينجزم العزم على الهرب والفرار! ثم يعود الشيطان ويقول: هذه حال عارضة، إياك أن تطاوعها، فإنها سريعة الزوال، فإن أذعنت لها وتركت هذا

[1] المنقذ من الضلال ص ١٧٠ – ١٧٣

الجاه العريض، والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص، والأمر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم، ربما التفتت إليه نفسك، ولا يتيسر لك المعاودة.
فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة، قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس، فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوماً واحداً تطييباً لقلوب المختلفة إلي، فكان لا ينطلق لساني بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة، حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزناً في القلب) [1]

ويتحرر الغزالي من الجاه ، يتحرر من الناس ومن النفس ، ويتوجَّه الى الله فقد أحسَّ ان لا موجود سواه ولا مطلوبٌ غيره .

وفي لحظة صفاء يقرر الغزالي ان يترك التدريس ، فقد حُبِبت اليه الخلوة مع الله ، ويمضي الى الله ... بعد أن عرف الطريق ... وعرف ان اول شروط الطريق الطهارة ، طهارة القلب مما سوى الله .

الهجرة الى الشام :

(وبعد ٤ سنوات من التدريس اشتُهر خلالها شهرةً واسعةً ، وصار مقصداً لطلاب العلم الشرعي من جميع البلدان،حتى بلغ أنه كان يجلس في مجلسه أكثر من ٤٠٠ من أفاضل الناس وعلمائهم يستمعون له ويكتبون عنه العلم) [2]

ويترك الغزالي الجاه والمال والأهل والأصحاب وينوي التوجه الى الشام ليخلو بالله تعالى ويبتعد عن الهيبة والجاه بين الخَلْق ... بعد ان لاحظ على نفسه بُعدَهُ عن حقيقة الإخلاص لله وعن العلوم الحقيقية النافعة في طريق الآخرة، وشعر أن

---

[1] المنقذ من الضلال ص ١٧٣ – ١٧٥

[2] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي نسخة محفوظة ٠١ أكتوبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين

تدريسه في النظامية مليء بحب الشهرة والعُجُب والمفاسد .

فكان خروجه من بغداد في ذي القعدة سنة ٤٨٨ هـ ،، وقد ترك أخاه أحمد الغزّالي مكانه في التدريس في النظامية في بغداد. وخرج إلى الشام قاصداً الإقامة فيها ، مُظهِراً أنه متّجه إلى مكة للحجّ حذراً أن يعرف الخليفة فيمنعه من السفر إلى الشام .

فوصل دمشق في نفس العام ، ومكث فيها قرابة السنتين لا شغل له إلا العزلة والخلوة ، والمجاهدة ، وصولاً لتزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ... فكان يعتكف في مسجد دمشق ، يصعد منارة المسجد طول النهار، ويغلق على نفسه الباب [١]، وكان يكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي في الجامع الأموي والمعروفة اليوم بـ (الزاوية الغزالية) نسبةً إليه .

بعد ذلك رحل الغزالي إلى القدس واعتكف في المسجد الأقصى وقبة الصخرة. ثم ارتحل وزار مدينة الخليل في فلسطين ، وما لبث أن سافر إلى مكة والمدينة المنورة لأداء فريضة الحج [٢].

ثم عاد إلى بغداد، بعد أن قضى أحدى عشرة سنة في رحلته ، ألّف خلالها أعظم كتبه (إحياء علوم الدين) [٣]، وقد استقر أمره على سلوك منهج التصوف .

عاد ﷺ الى بغداد بغير الوجه والهيأة التي خرج بها ، عاد بغير الزيّ الذي خرج به وبغير الملبس ، وقبلها عاد بغير المعتقد والتوجه والمعرفة ، خرج ابو حامد الفقيه العالم ، وعاد ابو حامد الصوفي الزاهد صاحب الإحياء .

(سمعت اسماعيل بن علي الموصلي الواعظ يحكي عن ابي منصور الرزاز الفقيه

---

[١] انظر المنقذ من الضلال ص١٧٠– ١٧٧

[٢] طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦ / ١٩٥–٢٠١

[٣] المنقذ من الضلال ص ١٩٠

قال: دخل ابو حامد بغداد فقومنا ملبوسه ومركوبه خمسمائة دينار فلما تزهد وسافر وعاد الى بغداد فقومنا ملبوسه خمسة عشر قيراطًا وحدثني بعض الفقهاء عن انوشروان – وكان قد وزِّرَ للخليفة – انه زار ابا حامد الغزالي فقال له ابو حامد: زمانك محسوب عليك وانت كالمستأجر فتوفرك على ذلك اولى من زيارتي فخرج انوشروان وهو يقول : لا اله الا الله هذا الذي كان في اول عمره يستزيدني فضل لقب في القابه كان يلبس الذهب والحرير فآل امره الى هذا الحال) [1]

العودة الى طوس :

بعد قرابة ١١ سنة من العزلة والتنقّل، عزم الغزّالي على العودة إلى بغداد، فكان ذلك في ذي القعدة سنة ٤٩٩ هـ ، ولم يدم طويلاً حتى أكمل رحلته إلى نيسابور ومن ثمّ إلى بلده طوس، وهناك لم يلبث أن استجاب إلى رأي الوزير فخر الملك للتدريس في نظامية نيسابور مكرهاً، فدرّس فيها مدة قليلة، وما لبث أن قُتل فخر الدين الملك على يد الباطنية، من ثم رحل الغزالي مرة أخرى إلى بلده طابران في طوس، وسكن فيها، متخذاً بجوار بيته مدرسة للفقهاء وخانقاه (مكان للتعبّد والعزلة) للصوفية، ووزّع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة الصوفية والتدريس لطلبة العلم وإدامة الصلاة والصيام وسائر العِبَادات [2]، كما صحّح قراءة أحاديث صحيح البخاري وصحيح مسلم على يد الشيخ عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الرواسي [3].

وفاته :

بعد أن عاد الغزّالي إلى طوس، لبث فيها بضع سنين ، وما لبث أن تُوفي يوم

---

[1] مرآة الزمان ١٣ / ٣٣٨ و المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٩

[2] طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ١٩٥-٢٠١.

[3] البداية والنهاية ١٦ / ٢٠٨

الاثنين ١٤ جمادى الآخرة ٥٠٥ هـ ،
الموافق ١٩ ديسمبر ١١١١م ، في "الطابران" في مدينة طوس [١].
روى أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (الثبات عند الممات) ، عن أحمد (أخو الغزالي) قوله : (لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلّى، وقال : عليّ بالكفن ، فأخذه وقبّله ، ووضعه على عينيه وقال : سمعاً وطاعة للدخول على الملك ، ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار) [٢] .
وقد سأله قبيل الموت بعض أصحابه فقالوا له : أوصِ . فقال : (عليك بالإخلاص) فلم يزل يكررها [٣] .
وقد وجد رحمه الله تعالى ميتاً على سريره وقد استقبل القبلة مضطجعاً على جنبه الأيمن ويده اليمنى تحت خده ، ووجدت الى جنبه رقعة كتب ﷺ ، عليها أبيات منها :

قل لإخـــوان رأوني ميتاً ... فبكوني ورثوا لي حزنا
أتـظنـــون بأني مـيـــتكم ... ليس ذاك الميت والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي ... كان بيتي وقميص زمنا
أنا عصفور وهذا قفصي ... طرت منه وبقي مرتهنا
أحمد الله الذي خلصني ... وبنى لي في المعالي سكنا
كنت قبل اليوم ميتاً بينكم ... فحييت وخلعت الكفنا
وأنا اليـــوم أناجي ملأً ... وأرى الله جهاراً علنا
قد ترحلت وخلفتكم ... لست أرضى داركم لي وطنا
لا ترعكم هجة الموت ... هو إلا نقلة من ها هنا

---

[١] معجم البلدان ٤ / ٢١٦-٢١٩
[٢] الثبات عند الممات ص ١٧٨
[٣] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٩

أقوال العلماء فيه :

كان أبو حامد الغزالي عند جمهور المتقدمين حجّة الإسلام ومجدد القرن الخامس الهجري، ومحيي علوم الدين، وكان من أقوال مَن أثنى عليه ومدحه:

شيخه أبو المعالي الجويني: الغزالي بحر مغدق. [١]

الذهبي: الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد الطوسي الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف والذكاء المفرط [٢]

ابن الجوزي: صنف الكتب الحسان في الأصول والفروع، التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها، وتحقيق الكلام فيها [٣]

تاج الدين السبكي: حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم، جرت الأئمة قبله بشأو ولم تقع منه بالغاية، ولا وقف عند مطلب وراء مطلب لأصحاب النهاية والبداية [٤]

كما يقول في نفس المصدر : (لو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر والفكر والأثر غيره لكفى) . كما وصفه في موضع آخر من كتابه : (وهو من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها وإشاعتها ليهتدي بها كثير من الخلق، وقلما ينظر فيه ناظر إلا ويتعظ به في الحال) .

---

[١] طبقات الشافعية الكبرى٦ / ١٩٥-٢٠١

[٢] سير أعلام النبلاء ج١٩.

[٣] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج٩

[٤] طبقات الشافعية الكبرى٦ / ١٩٥-٢٠١

ابن النجار: أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق وربابي الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه وعين أوانه، وكان شديد الذكاء، قوي الإدراك، ذا فطنة ثاقبة، وغوص على المعاني [١]

أبو الحسن الشاذلي: إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبي حامد [٢]

أبو العباس المرسي : إنا لنشهد له بالصديقية العظمى [٣]

ابن العماد الحنبلي: الإمام زين الدين حجة الإسلام ، أبو حامد أحد الأعلام، صنف التصانيف مع التصون والذكاء المفرط والاستبحار في العلم وبالجملة ما رأى الرجل مثل نفسه [٤]

ابن كثير: كان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه.

أبو بكر ابن العربي : كان أشهر من لقينا من العلماء في الآفاق، ومن سارت بذكره الرفاق لطول باعه في العلم، ورَحب ذراعه، الإمام أبو حامد بن مُحَمَّد الطوسي الغزالي [٥]

أسعد الميهني: لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله [٦]

عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي: أبو حامد الغزالي حجة الإسلام والمسلمين ، إمام أئمة الدين ، من لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً وذكاءً وطبعاً.

---

[١] طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ٢٠٢-٢٠٣

[٢] لطائف المنن ص ٩٧

[٣] لطائف المنن ص ٩٧

[٤] شذرات الذهب في أخبار من ذهب

[٥] دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ص١٩٥

[٦] طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ٢٠٢-٢٠٣

تلميذه مُحَمَّد بن يحيى : الغزالي هو الشافعي الثاني [1]

الأسنوي : الغزالي إمام باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر المحابر وتهتز الطروس ، وبسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس. وهو قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود وروح خلاصة أهل الإيمان والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن يتقرب إلى الله به كل صديق ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق [2]

تلميذه الشيخ أبو العباس الأقليشي المحدّث الصّوفي، مدحه ومدح كتاب إحياء علوم الدين في قصيدة طويلة جاء فيها:

أبا حامد أنت المخصص بالمجدِ وأنت الذي علمتنا سنن الرشدِ

وضعت لنا الإحياء تحيي نفوسنا وتنقذنا من طاعة النازغ المردي

فربع عباداته و عاداته التي يعاقبها كالدر نظم في العقدِ

و ثالثها في المهلكات وإنه لمنج من الهلك المبرح والبعدِ

و رابعها في المنجيات وإنه ليسرح بالأرواح في جنة الخُلْدِ

ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر ومنها صلاح للقلوب من الحقدِ

مؤلفات الغزالي :

ألّف الإمام الغزّالي خلال مدة حياته (٥٥ سنة) الكثير من الكتب في مختلف صنوف العلم ، حتى أنه قيل:

إن تصانيفه لو وزعت على أيام عمره أصاب كل يوم كتاب .

وقد بلغت المؤلفات المنسوبة اليه ٢٢٨ كتاباً ورسالة، ما بين مطبوع ومخطوط ومفقود .

وبسبب شهرة الغزالي وتصانيفه ، نُسبت إليه الكثير من الكتب والرسائل، وأصبح من الصعب تحديد صحة نسبتها إليه .

---

[1] طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ٢٠٢-٢٠٣

[2] طبقات الشافعية الكبرى ٦ / ٢٠٢-٢٠٣

ومن الكتب التي يُكاد ان يُقطع بصحة نسبتها اليه :

*** في العقيدة وعلم الكلام والفلسفة والمنطق:**

الاقتصاد في الاعتقاد.

بغية المريد في مسائل التوحيد.

إلجام العوام عن علم الكلام.

المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى.

المعارف العقلية ولباب الحكمة الإلهية.

القانون الكلي في التأويل.

فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.

فضائح الباطنية.

حجّة الحق، في الرد على الباطنية.

قواصم الباطنية.

مقاصد الفلاسفة.

تهافت الفلاسفة.

معيار العلم في فن المنطق.

محك النظر في المنطق.

ميزان العمل.

*** في علم الفقه وأصوله وعلم الجدل:**

التعليقة في فروع المذهب.

البسيط في الفروع.

الوسيط، في فقه الإمام الشافعي.

الوجيز، في فقه الإمام الشافعي.

فتاوى الغزالي.

غاية الغور في دراية الدور، في المسألة السريجية.

المستصفى في علم أصول الفقه.

المنخول في علم الأصول.

تهذيب الأصول.

المباديء والغايات.

شفاء الغليل في القياس والتعليل.

القسطاس المستقيم.

أساس القياس.

المنتحل في علم الجدل.

مآخذ الخلاف.

لباب النظر.

تحصين المآخذ في علم الخلاف.

جواب مفصل الخلاف.

* **في علم التصوف:**

إحياء علوم الدين.

الإملاء على مشكل الإحياء.

بداية الهداية.

أيها الولد.

أسرار معاملات الدين.

روضة الطالبين وعمدة السالكين.

الأربعين في أصول الدين.

مدخل السلوك الي منازل الملوك.

ميزان العمل.

كيمياء السعادة، (وقد كتبه بالفارسية وتُرجم إلى العربية).

زاد الآخرة، (وقد كتبه بالفارسية وتُرجم إلى العربية).

مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب.

سر العالمين وكشف ما في الدارين.

منهاج العابدين.

منهاج العارفين.

معارج القدس في مدارج معرفة النفس.

مشكاة الأنوار.

الرسالة اللدنية.

الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين.

* **متنوعات:**

المنقذ من الضلال.

المضنون به على غير أهله.

المضنون به على أهله.

جواهر القرآن ودرره.

حقيقة القرآن.

الحكمة في مخلوقات الله.

التبر المسبوك في نصحية الملوك.

القصيدة المنفرجة.

شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل.

احياء علوم الدين :

كان من أشهر مؤلفات الغزّالي في التصوف كتابه إحياء علوم الدين، والذي قد حاز شهرةً وانتشاراً ما لم يقاربه أي كتاب من كتبه الأخرى ، حتى صارت

نسخه المخطوطة مبثوثة في مكتبات العالم.

يُعدّ كتاب الإحياء موسوعة صوفية– سنية لا تُبارى، إذ حشد فيه مؤلفه جملة من أفكاره وآرائه الأكثر تأثيراً وأهمية ، وقد امتدح الكتاب غير واحد من علماء الإسلام ، مثل ما قاله عبد الرحيم العراقي المحدِّث الذي خرّج أحاديث الإحياء، حيث قال عنه : (إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام، جمع فيه بين ظواهر الأحكام، ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام، لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل، ولم يتبحر في اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل، بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن، ومرج معانيها في أحسن المواطن، وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه، وسلك فيه من النمط أوسطه) ، وقال غيره: (من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء) .

كما أُلّف الكثير من الكتب في شرح واختصار الإحياء والدفاع عنه، مثل كتاب "الإملاء على مشكل الإحياء" والذي ألفه الغزالي نفسه للرد على من انتقده في عصره، وكذلك كتاب "إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين" للزبيدي، و"تعريف الأحياء بفضائل الإحياء" لعبد القادر العيدروس، وكذلك "المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" لعبد الرحيم العراقي.

أما الاختصارات، فقد اختصره أخوه أحمد الغزّالي في كتاب "لباب الإحياء"، و"منهاج القاصدين" لابن الجوزي ، ويعد بعض الباحثين كتاب الغنية للشيخ عبد القادر الجيلي، مختصرا للأحياء كونه كتب على نفس المنهجية والنفس [1]، وغيرها الكثير.

وقد صنفه في المرحلة الثانية من حياته، أثناء رحلته الطويلة في بلاد الشام والحجاز ومصر، وقد ظهرت في الكتاب النزعة الروحية التي امتاز بها حجة

[1] الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة ص ٧٣

الإسلام في تلك الفترة.

يتألف كتاب إحياء علوم الدين من أربعة أجزاء رئيسة، وهي على الترتيب: العبادات ، والعادات ، والمهلكات ، والمنجيات .

وينقسم كل جزء من تلك الأجزاء إلى عشرة كتب

د . مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي

شهيد المحراب

١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م – ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

عالم سوري مسلم عصري مجدّد ، ورع مخلص ، سليم الطوية ، حسن النية والمقصد، غيور على شرع الله والأخلاق الإسلامية ، جريء في الحق ، ملأ حياته وحياة الناس بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، والحكمة النافعة بالكتاب والسنة النبوية ، متبع للسلف الصالح، محذر من البدع ، وداعية إسلامي متفوق في كل ميدان.

ألمَّ رحمه الله تعالى بجميع العلوم الدينية أو أكثرها ، حتى أصبح يمثِّل علامة فارقة في عصرنا الحديث وواحداً من أبرز العلماء المتخصصين بالعلوم الإسلامية الفلسفية ومن أهم المرجعيات الدينية على مستوى العالم الإسلامي ، حظي باحترام كبير من قبل العديد من كبار العلماء في العالم الإسلامي ، حتى اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم في دورتها الثامنة عام ٢٠٠٤ ليكون «شخصية العالم الإسلامي» ، باعتباره «شخصيةً جمعت تحقيقَ العلماء وشهرةَ الأعلام، وصاحبَ فكرٍ موسوعيّ» ، واختاره المركز الإسلامي الملكي للدراسات الاستراتيجية في الأردن في المركز ٢٧ ضمن قائمة أكثر ٥٠٠ شخصية إسلامية ويُعتبر رحمه الله تعالى ممن يمثلون التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة وفق منهج الأشاعرة .

الولادة والنشأة :

ولد العالم العارف الشيخ مُحَمَّد عام ١٩٢٩م – ١٣٤٧هـ في قرية تقع على ضفاف نهر دجلة عند نقطة التلاقي بين حدود سوريا والعراق وتركيا، وتدعى

جيلَكَا تابعة لجزيرة ابن عمر المعروفة بجزيرة بوطان [1] .

أبوه العلامة ملا رمضان البوُطي رحمه الله تعالى. وحين بلغ من العمر أربع سنوات هاجر مع والده ملا رمضان البوطي إلى دمشق في عام ١٩٣٣م إثر الإجراءات التي اتخذها اتاتورك في محاربته للدين ورجاله وانتشار الفكر الكمالي. وفي دمشق التحق بمدرسة ابتدائية في منطقة ساروجة [2]..

تأثر البوطي منذ صغره بوالده الشيخ ملا رمضان الذي كان بدوره عالم دين و أحد شيوخ الصوفية ، فقد كان والده معلّمه الأوحد ، إذ علَّمه أولًا مبادئ العقيدة، ثم موجزًا من سيرة النبي مُحَمَّد ﷺ، ثم أخذ يعلمه مبادئ علوم الآلة من نحو وصرف ، وسلَّكه في طريق حفظ ألفية ابن مالك في النحو، فحفظها في أقل من عام ، ولم يكن قد ناهز البلوغ بعد .

ولما بلغ السادسة من عمره عهد الشيخ ملا رمضان بولده إلى امرأة كانت تعلم الأطفال قراءة القرآن، فكانت تُعلِّمه القرآن وتلقنه إياه حتى ختم القرآن عندها خلال ستة أشهر. التحق بعدها بمدرسة ابتدائية في منطقة ساروجة، أحد أحياء دمشق القديمة، ولم تكن تلك المدرسة تُعنى إلا بتعليم الدين ومبادئ اللغة العربية والرياضيات.

يقول الشيخ : (كان أبي بعد ذلك هو معلمي الأوحد .. علمني أولاً مبادئ العقيدة الإسلامية، ثم علمني موجزاً من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه

---

[1] جزيرة بوطان (ابن عمر) هي بلدةٌ في محافظة شرناق التركيّة الواقعة في المنطقة الجنوبيّة من شرق الأناضول ، وتقع قرب الحدود السوريّة والعراقيّة ، وغالبيّة سكانها من الأشوريين السريان، والكرد إضافةً للعرب، يحيط بها نهر دجلة من الجنوب والشرق والشمال ، ولهذا السبب أطلق عليها اسم جزيرة .

[2] ساروجة حي قديم في مدينة دمشق، سوريا، وهو أول منطقة من دمشق بنيت خارج أسوار المدينة في القرن الثالث عشر الميلادي .

وسلم، من خلال رسالة صغيرة اسمها : ذخيرة اللبيب في سيرة الحبيب . ثم أخذ يعلمني مبادئ علوم الآلة من نحو وصرف. وسلّكني في طريق حفظ ألفية ابن مالك في النحو... فكان يفسر لي كل يوم خمسة أو ستة أبيات منها، وكان علي أن أتقنها بعد ذلك حفظاً في بياض ذلك النهار. فأذكر أنني حفظت الألفية كلها خلال أقل من عام . ولم أكن قد ناهزت البلوغ بعد، وفي الفترة ذاتها حفّظني والدي نظم الغاية والتقريب للعمريطي في الفقه ، وهي ألف ومائتا بيت) .

وحين بلغ الثالثة عشر من عمره توفيت والدته ،فتزوج والده من زوجة أخرى ، من أسرة تركية، فكانت سببًا في إلمامه باللغة التركية بالإضافة إلى اللغة الكردية والعربية .

وبعد ان أتمَّ المرحلة الابتدائية التحق بجامع منجك عند الشيخ حسن حبنكه الميداني .. ويتحدث الشيخ عن هذه المرحلة بالقول: (.. أقبل إلي ذات يوم قبل أن يمضي بي فيسلمني أصغَرَ تلميذ إلى شيوخ معهد التوجيه الإسلامي، ينصحني ويحدثني عن آماله التي يعلقها علي .. وقال لي فيما قال : اعلم يا بني أنني لو عرفت أن الطريق الموصل إلى الله يكمن في كسح القمامة من الطرق، لجعلت منك زبالاً، ولكني نظرت فوجدت أن الطريق الموصل إلى الله هو العلم به وبدينه، فمن أجل ذلك قررت أن أسلك بك هذا الطريق. ثم شدد عليّ وأكد كثيراً، أن لا أجعل قصدي من دراسة هذا العلم أي شهادة أو وظيفة .. بعد أيام مضى بي إلى دار الشيخ حسن حبنكة الميداني [1] رحمه الله ، وتركني

[1] الشيخ حسن حبنكة الميداني (١٩٠٨-١٩٧٨) عالم دين سني، وفقيه سوري، تخرج على يديه كبار العلماء في سوريا في العصر الحديث أمثال مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي ومصطفى البغا ومصطفى الخن ، ولد الشيخ في حي الميدان الدمشقي ، ومن هنا جاءت شهرته الميداني المرافقة لاسمه.

أمانة بين يديه وفي معهده ، ومضى عائداً إلى شأنه .

ومنذ ذلك اليوم انقطعت عن الدار، وأصبحت طالباً داخلياً في معهد التوجيه الإسلامي، وكنت أتردد على الدار لرؤية والدي أيام الثلاثاء فقط من كل أسبوع، أبقى عنده بياض ذلك النهار، حتى إذا أقبل المساء استأذنته عائداً الى المعهد .

كنت أشترك مع الطلبة الكبار في الجلوس إلى دروسهم التي يتلقونها من الشيخ دون أن أعي منهم إلا النزر القليل، ولكني تبينت بعد ذلك أن حضوري كان مفيداً .. وفي أيام الثلاثاء كنت أتلقى على والدي مزيداً من الدروس.. تلقيت عليه دروساً في النحو وفي البلاغة، وقد حفظت على يديه عقود الجمان للسيوطي، كما درست عليه كتباً في المنطق، والمقولات العشر، ودرست عليه شرح جمع الجوامع في الأصول)

وفي تلك الفترة تقدم للخطابة وصعد المنبر ولم يكن قد تجاوز بعد السابع عشرة من عمره، وذلك في أحد مساجد الميدان القريبة من جامع منجك .

ونمت النزعة الأدبية عند الشيخ في هذه الفترة فأصبح مولعاً بقراءة الكتب الأدبية لأدباء معاصرين وقدماء مثل: مصطفى صادق الرافعي ، والجاحظ ، والعقاد والمازني ، إضافة إلى مقامات الحريري .

وفي عام ١٩٥٢ ظهرت أولى أعماله وهي مقالة بعنوان أمام المرآة، نشرتها له مجلة التمدن الإسلامي، ثم تبعتها في المجلة ذاتها مقالات أخرى، لكن باكورة أعماله الأدبية بحق كانت قصة ترجمها من اللغة الكردية، وهي المعروفة باسمها الكردي (ممو زين) ، وهي قصة تمثل الحب العفيف والعاطفة الملتهبة والوفاء النادر. وقد أفرغها المترجم في بيان عربي مشرق وبنيان قصصي جذاب، ولا تزال طبعاتها الكثيرة تتوالى.

وفي عام ١٩٥٣ أتم دراسته في معهد التوجيه الإسلامي ، الذي كان قد تحول

حينئذ إلى معهد شرعي نظامي . .. تخرّج شيخنا بعد ان قضى ست سنوات في جامع منجك عند الشيخ حسن حبنكة .

في رحاب الأزهر :

ولم يقف طموح الشيخ عند الحصول على وثيقة التخرج من المعهد الإسلامي ، ففي عام ١٩٥٤ سافر إلى القاهرة لاستكمال دراسته الجامعية في الأزهر .

ويتحدث عن تلك المرحلة وخاصة عن تجربته الأدبية فيقول : (ولما أنهيت دراستي الثانوية وشيئاً مما فوقها وتحولت إلى الأزهر لاستكمال دراستي الجامعية فيها .. كنت أرسل من القاهرة في كل أسبوع مقالاً أدبياً أو اجتماعياً إلى جريدة الأيام التي كان يصدرها المرحوم نصوح بابيل تحت عنوان "من أسبوع إلى أسبوع" كان ذلك خلال عام ١٩٥٤-١٩٥٥) .

عاد لدمشق بعد حصوله على شهادتين : الإجازة في الشريعة من كلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٥٥

ثم شهادة دبلوم التربية من كلية اللغة العربية في الأزهر عام ١٩٥٦.

العودة الى سوريا :

ويعود الشيخ الى سوريا ليتدرج في الوظائف ، فبعد أن تمَّ تعيينه مدرساً للتربية الدينية في حمص عام ١٩٥٨، أصبح معيداً في كلية الشريعة بجامعة دمشق .

الى القاهرة من جديد :

ويوفد الشيخ إلى القاهرة لنيل درجة الأستاذية (الدكتوراه) في الفقه وأصوله، وكانت اطروحته الموسومة (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية) والتي نال عليها مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالتبادل ..

ويعود الشيخ الدكتور الى سوريا من جديد ليتم تعيينه في عام ١٩٦٥م مدرساً في كلية الشريعة جامعة دمشق فأستاذاً مساعداً ، فأستاذاً .

وعُين في عام ١٩٧٥م وكيلاً للكلية ، ثم في عام ١٩٧٧م عيّن عميداً لها ، ثم

رئيساً لقسم العقائد والأديان.

وقد بقي محاضراً حتى آخر لحظة من حياته بوصفه متقاعداً ومتعاقداً مع الجامعة.

خلال هذه الفترة وحتى عام ١٩٨١ كان بعيداً عن المحافل العامة، ومكتفياً بالحقل الأكاديمي بالإضافة إلى درسين أسبوعيين في مسجد السنجقدار يستقطب الكثير من شباب دمشق وما حولها، ثم انتقل بسبب ضيق المكان إلى مسجد تنكز فمسجد الإيمان .. وما زالت دروسه قائمة فيه حتى اليوم بفضل الله تعالى، ودروس أخرى في مسجد والده الشيخ ملا رمضان البوطي والجامع الأموي ، وقد تناول في دروسه مسائل عديدة في الفقه والعقيدة والحديث ، وكان ابرز هذه الدروس شرحه للحكم العطائية .

وقد تزوج الشيخ وهو في الثامنة عشر من عمره ، ورزقه الله بستةٍ أولاد ذكور وبنت واحدة .

أفكاره وآراؤه :

سبّب ظهور كتابه «الجهاد في الإسلام» عام ١٩٩٣ الكثير من الجدل ، بسبب نبذه للعنف في التغيير، وتحريمه للخروج على الحاكم .

مثّل البوطي التوجه المحافظ لمذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة وفق منهج الأشاعرة، وقد عُدّ البوطي من أبرز المدافعين عن عقيدتهم في وجه الآراء السلفية ، وقد ألف في الموضوع كُتُبًا مثل : «السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي» و«اللا مذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية» .

كما ويُعد البوطي من علماء الدين السنة المتخصصين في العقائد والردّ على الفلسفات المادية وقد ألف كُتُبًا في هذا المجال مثل: «أوروبا من التقنية إلى الروحانية، مشكلة الجسر المقطوع» ، و«نقض أوهام المادية الجدلية» هاجم فيه الفكر الشيوعي والإلحادي .

كما أن البوطي كان له رأي في موضوع ختان الإناث حيث أفتى في شباط من عام ٢٠١١ بتحريم ختان الإناث .

يعتبر الشيخ أهم من يمثل التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة وفق منهج الأشاعرة ، يشبهه الكثيرون بالغزالي وذلك لهدوء أسلوبه وقوة حجته في آن واحد.

والشيخ البوطي من كبار المهتمين بالعقائد والفلسفات المادية ، ولهذا كانت رسالته في الدكتوراه في نقد المادية الجدلية ؛ وهو من الناحية الفقهية يعتبر مدافعًا عنيدًا عن الفقه الإسلامي المذهبي التقليدي والعقيدة الأشعرية في وجه الآراء السلفية ، وله في ذلك كتبٌ ومقالات ، ولم تكن علاقته أيضًا بجماعة الإخوان المسلمين في سوريا جيدة ، وكان أبداً من نابذي التوجهات السياسية والعنف الجهادي ، وقد تسبّب ظهور كتابه «الجهاد في الإسلام» عام ١٩٩٣م في إعادة الجدل القائم بينه وبين بعض التوجهات عند جماعات إسلامية .

ظهر البوطي في بداية التسعينات ضمن وسائل الإعلام السورية، وبدا نوع من التقارب بينه وبين الرئيس حافظ الأسد، ويرى مراقبون أن تقارب البوطي مع السلطة السياسية في سوريا كان له تأثير في المحافظة على سياسة سوريا المتعلقة بدعم حركات المقاومة في وجه الاحتلال الإسرائيلي، في ذات الوقت الذي كان فيه معارضو أفكارِه يقفون موقفًا سلبيًّا من تلك الحركات.

للبوطي أسلوب مميز ونادر في التأليف, كتاباته تتميز بالموضوعية والمنهجية؛ فهو يناقش جميع الاحتمالات والأفكار دون تحيز أو تأثر برأي مسبق أو توجه معين، ولكن أسلوبه يصعب فهمه أحيانًا على غير طلبة العلم, فهو يُحَلِّق في عوالم الفلسفة والمنطق بطريقة احترافية؛ لهذا من العسير قراءة العديد من كتبه لدى الكثير من البسطاء والعوام.

نشاطاته :

شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات العربية والدولية كالملتقى الفكري الإسلامي في الجزائر لسنوات عديدة.

. حاضر في كثير من الدول العربية والغربية من أبرزها محاضرته في مجلس برلمان الاتحاد الأوروبي في ستراسبورغ عن حقوق الأقليات في الإسلام سنة ١٩٩١.

. شارك كمستشار في بعض لقاءات المجمع الفقهي الإسلامي.

. عضو في هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.

. عضو جمعية نور الإسلام في الغرب/فرنسا

. عضو في مؤسسة طابا/أبو ظبي

. المشرف على النشاط العلمي في الجامع الأموي بمشق.

. سمي عضو المجلس الأعلى لأكاديمية أكسفورد

. عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية/عمان

. نال جوائز عديدة منها جائزة دبي لشخصية العام ٢٠٠٤

برامجه التلفزيونية :

للعلامة البوطي عدد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية ومنها برنامج لا يأتيه الباطل، الذي يعرض على قناة شام وقناة صانعو القرار، ودراسات قرآنية الذي يعرض على القناة الفضائية السورية ، وشرح كتاب كبرى اليقينيات الكونية ضمن برنامج الكلم الطيب الذي يعرض على قناة الرسالة، ومشاهد وعبر ويعرض أيضاً على قناة الرسالة، وفقه السيرة الذي يعرض على قناة اقرأ، وشرح الحكم العطائية الذي يعرض على قناة صوفية، والجديد في إعجاز القرآن الكريم الذي يعرض على قناة اقرأ، إلى جانب برنامج هذا هو الجهاد والذي يعرض على قناة أزهري.

الشيخ والتصوف :

كان الشيخ يتعمد ما استطاع تجنُّبَ مصطلح «التصوف»، رغم أنه يُعلِّم دائماً أنه «لا مُشَاحَّةَ في الاصطلاح» إذا تم التوافق على المضمون ، حَذَراً من أولئك الذين ينتقمون – كما يقول– من البناء كله من أجل خطأ في تصميم إحدى نوافذه ، أو يحرِّمون الطعامَ الطيبَ الطاهر من أجل استنكارهم اسمَه .

ويحسُن بنا هنا أن نقرأ كتابة الشيخ في هذه المسألة في كتابه :

«الحِكَم العطائية : شرحٌ وتحليل» ، ١/١٠ – ١١) ؛ لأهميتها في معرفة رأي الشيخ وتوجهه العقائدي المنصف والباحث عن الحقيقة :

«سيقول بعض الناس: إن العكوف على دراسة هذه الحِكَم إنما هو انصرافٌ إلى "التصوف"، و"التصوف" شيءٌ طارئٌ على الإسلام ، متسرِّبٌ إليه.. فهو من البدع التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : "... وإياكم ومحدَثاتِ الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة".

«وأقول في الجواب : أما الأسماء والمصطلحات ؛ فلا شأن لنا بها ، ولا نتعامل معها . وها أنا منذ الآن سأبعد كلمة "التصوف" هذه من قاموس تعابيري وكلماتي ، مع العلم بأن الأسماء والكلمات ليست هي التي تُوصَف بأنها الإسلام أو هي البدع الطارئة عليه . وإنما الذي يوصف بهذا أو ذاك مسمَّياتُ الأسماء ومضامينُها والمعاني التي جاءت الأسماء والمصطلحات(معبرةً) عنها و (خادمةً) لها ، فالمصطلحات والأسماء ليست هي المعنيَّ بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " محدَثات الأمور"، وإنما المعنيُّ بهذه المعاني والمسمَّيات التي تتمثل في معتقداتٍ زائغة ، أو سلوكياتٍ باطلة .

«ولكني، على الرغم من هذا، لن أتعامل مع الأسماء والمصطلحات الحديثة التي تثير حساسية بعض الناس الذين يتعاملون مع الأسماء والمصطلحات أكثر مما يقفون على جوهر المعاني والمسمَّيات. ولذا.. فلسوف أحاول أن أشطب كلمة

"التصوف" هذه من ذاكرتي. فإن لم أستطع إلى ذلك سبيلاً؛ فلا أقل من أن أبعدها من قاموس تعابيري وكلماتي خلال رحلتي هذه كلها في خدمة حِكَم ابن عطاء الله وتجلية معانيها ، على أن ابن عطاء الله أيضاً لم يدنُ إلى هذه الكلمة في شيء من حِكَمه هذه قط .

«إذن.. فلننظر فيما سنصغي إليه من هذه الحِكَم إلى اللباب والمعاني ، ثم لنضع هذه المعاني كلها في ميزان كتاب الله وسنة رسوله.. فما وافق من ذلك هذا الميزان ؛ قبلناه ، وما خرج عليه وشرد عنه؛ رددناه ».

بعض من فتاوى الشيخ وردوده على أسئلة تلقاها بخصوص التصوف :

هذه فتاوي للدكتور الشيخ مُحَمَّد سعيد البوطي عن التصوف و الصوفية ، ستبين فهم الشيخ للتصوف وموقفه من بعض آراء المحسوبين على رجال وشيوخ التصوف ، وكانت رداً على أسئلة حُمِلَت اليه عن التصوف :

س : هل لتلقين الأوراد عند المشايخ الصوفية أصل في الشريعة الإسلامية ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

قراءة الأوراد المأثورة لا تتوقف على التلقين من قبل شيوخ أو من قبل غيرهم ، بل قراءتها مطلوبة ومندوبة بمقتضى ما هو معروف من أحكام الشرع .

س : ممكن أن تكتب لي شيئاً عن التصوف؟ لدي إشكال فيه، مع أني أتبع شيخاً على الطريقة الحمد ليلة، وأريد ذلك بالعربية كي أريه إمامي الذي هو خريج الأزهر، وغير قانع برأيي تماماً، وجزالكم الله خيراً ؟

وكان رد الشيخ رحمه الله تعالى :

كلمة ((التصوف)) تعني الجهود التي ينبغي أن يبذلها المسلم لتطهير قلبه من أهوال الكبر والعجب والحقد والحسد، وحب الدنيا، وتنمية محبة الله فيه.

وهذه الجهود التي ينبغي أن يبذلها المسلم، هي المعني بالجهاد في مثل قول الله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾

والإسلام بدون الاهتمام بتزكية النفس وتطهيرها من شوائب الأهواء والشهوات، شكل لا مضمون له .

إلاّ أن في الناس من دسوا في هذا السلوك بعض البدع والتزيدات المخالفة للقرآن والسنة ، فيجب الحذر منها .

س : ما هو الحكم المتعلق بـ (وِرْد التيجانية) الذي يتضمن قول (استغفر الله)، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله، مع العلم أن الصلاة على النبي المستخدمة هي صلاة الفتح (أو الفاتح) .

هل هي بدعة نظراً لأن أحمد التيجاني تلقى هذا الورد من النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ؟ كما أن حفيد سيدنا أبي بكر تلقى هذه الصلوات أيضاً بينما كان يصلي في الكعبة ، يقول بعضهم إنه ليس بدعةً استعمال ما ورد عن الصوفية من أوراد طالما أنها لا تناقض القرآن والسنة ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

الصلاة على رسول الله مشروعة ومطلوبة، ولا يشترط التزام صيغة أو عبارة معينة في الصلاة عليه .

إذن فورد التيجاني وغيره من الأوراد التي تتضمن الصلاة على سيدنا رسول الله مقبول بإذن الله وفضله.

س : ما موقف الإسلام في تعامله مع الصوفية ؟ ففي المغرب الكثير من الزوايا التي تتعامل بهذا الطريق ، إذ أناس كثيرون يدعون أن بعض تصرفات أصحاب تلك الزوايا غير صحيحة ، هل يُعلمنا أستاذنا شيئاً عن ذلك ؟

وقد ردَّ الشيخ على السائل بقوله :

من أصحاب الزوايا من هم مستقيمون على النهج الإسلامي الصحيح، ولاشك

أن هؤلاء من خيرة المسلمين .

ومنهم من يتخذ من التصوف والطرق مهنة لحظوظ الدنيا ، ويختلقون البدع الباطلة ، فهؤلاء يجب التحذير منهم .

وأنا لا أعلم من أي الفريقين هؤلاء الذين تسألينني عنهم.

س : قال الإمام مالك من تصوف ولم يتفقه تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف تفسق، ومن تفقه ثم تصوف تحقق، أرجو منكم شرح هذا الكلام ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

الفقه هو العلم وهو غذاء العقل .

والتصوف سبيل الإخلاص لله وهو غذاء القلب .

وتمام الإسلام إنما يكون بعلم فرائضه ثم بالإخلاص لوجه الله في الأعمال والسلوك .

س : سمعت من بعض العلماء يقول أن من شروط المرشد الكامل أن يكون ذكراً، فرجعت إلى كتاب حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى فلم يذكر من شروط المرشد أن يكون رجلاً، وسؤالي لم لا يمكن أن تكون المرأة مرشدة للنساء في حدود الشرع إذا تحققنا فيها الصلاح والتقوى كالرجل تماماً، فنحن ولله الحمد لا نعدم نساء صالحات ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

لم أجد هذا الشرط ولم أسمع به في أي مرجع معتمد ، وصفة الإرشاد ليست وقفاً على الذكور .

على أن الكمال بمعنى العصمة ليس شرطاً لمهمة الإرشاد ، فليس في الناس معصوم عن المعاصي حاشا الرسل والأنبياء .

س : ١- تجري الأذكار في قريتنا ويحييها الصوفيون وبعض ما يحدث فيها : يبدأ الذكر بتلاوة ما تيسر من القرآن ، ثمّ يقف الناس ويؤلفون حلقة ويكررون

لا إله إلا الله بصوت مرتفع ، مع التمايل يميناً وشمالاً ، وبأنغام تختلف ويتحرك الشيخ وسط الحلقة ، ويأتيه الحال كما يقولون فيدور ويدور ويتغير حاله من حال إلى حال ، ثمّ يكررون كلمة الله وبأنغام تختلف أيضاً فيتفاعل الكثير مع الوضع ، ويأتيهم الحال ويتغير لونهم فتكون ضجة وكلام لا يفهم ، فهل يجوز لنا أن نحضر مثل هذه الحلقات ؟

٢- هل الأشياء التي تحدث فعلاً مع هؤلاء المشايخ كتحكُّمهم بالنوبة ، دون أن يكونوا هم الممسكين بها عند اتباع الجنازة ، مع العلم أنّ أكثر هؤلاء المشايخ يصافحون النساء ويدخنون ويتقاضون أجراً على مشيهم بالجنازة وقراءتهم الأذكار أهي من الكرامات أم كيف يتحكمون بها ؟

٣- هل النوبة والطبل وراء الجنازة جائزان ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى على هذه الأسئلة :

لا مانع من ذكر الله من جلوس أو من قيام ولا مانع من تشابك الأيدي أثناء الذكر.

المهم الانضباط بالأمور التالية :

١- الأدب أثناء القيام بحيث لا يكون رقص أو تثنٍّ أو قفز من الأرض .

٢- النطق بألفاظ الذكر : أللّه ، أو لا إله إلا الله ، أو هو الله ، واضحة دون أي تحويل لحروفها إلى حمحمات أو أصوات أخرى .

يحرم اصطناع الوقوع فيما يسمى الحال أو نوعه ، ولا يجوز تكلف ذلك .

٣- هذا الذي يجري في الجنائز بدع محرمة يجب إنكارها والعمل على إلغائها .

س : يتهمونك بالصوفية فهل هذا الكلام دقيق ؟ وما هي الأمور التي تؤخذ عليك ؟

ويرد الشيخ على هذا السائل بقوله :

كلمة ((الصوفية)) أصبحت تطلق على معان ومذاهب مختلفة كثيرة .

ومقياسنا في كل ذلك كتاب الله وسنة رسوله ... فما كان من هذه المعاني والمذاهب متفقاً مع كتاب الله وسنة رسوله ، فذلك مذهبي وهو ما أنادي به وأدعو إليه سواء سمّي تصوفاً أو إحساناً ، أو تربية وجدانية ، أو علم السلوك إلى الله كما يسميه الشيخ ابن تيمية رحمه الله .

س : أنكر عليَّ أخي السلفي استغراقي في ذكر لفظ الجلالة (الله) لأن الصحابة لم يفعلوه حتى لو ورد في الآية واذكر اسم ربك ، وأنكر عليَّ هذا الذكر صديقي الصوفي لعدم أخذ الإذن في هذا الذكر فماذا أفعل ؟

وقد أجاب الشيخ بقوله :

ليس في الأمر مشكلة ، إن شئت أن تجنح إلى اجتهاد جمهور المسلمين في ذكر الله باسمه المفرد ، لك ذلك ، وإن شئت أن تجنح إلى الرأي الآخر لك ذلك .

ابحث عن حل مشكلة أخطر من هذه في حياتك .

س : قرأت لبعض الصوفية تفسيراً لقوله تعالى (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) ، بأن باطن الإثم هو الميل والركون لنعيم الآخرة كما أُثِرَ عن رابعة (ما عبدتك خوفاً من نارك) فما رأيكم ؟ وهل يستقيم الكلام لو صحت نسبته لرابعة مع نصوص القرآن التي تفيض بذكر دقائق تفاصيل الجنة والنار ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

لم تقل لا رابعة العدوية ولا غيرها من علماء المسلمين أن المراد بباطن الإثم في القرآن هو الميل إلى نعيم الجنة . والذي نقل لك هذا كذاب يدجِّلُ على المسلمين .

وباطن الإثم باتفاق المفسرين الأمراض النفسية كالكبر والحقد والحسد والتعلق بالدنيا..

ورابعة كانت دائماً تسأل الله الجنة ، ولكنها كانت تسأله الجنة تفضلاً وتكرماً منه ، لا مقابل طاعتها وعبادتها له .

وهكذا علّمنا رسول الله عندما قال في الحديث الصحيح : لن يُدخِلَ أحدَكم الجنة عملُهُ ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته

س : ما رأيكم في المقامات التي يتكلم عنها الصوفية كمقام المكاشفة والمشاهدة وهل يمكن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وهل ورد في ذلك خبر صحيح؟

وكان ردُّ الشيخِ :

هذه المقامات ، موجودة فعلاً ، والحديث عنها وصف لواقع ، ولكن كثيراً ما يكون الحديث عنها مجالاً لادّعاءات كاذبة ، من ذلك دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة .

فنحن نؤمن بالمقامات التي يتدرج فيها السالك ، إلى الله ، كقراءة تاريخية عن بعض الصالحين فيما مضى ، ولكن ينبغي أن ننكر دعاوي محترفي الطرق ونحذر منها اليوم .

س : يوجد عدة كتب لأحمد البوني فيها علم الحروف واجتهادات أهل التصوف والرياضات وعلم الرمل ، فهل تعتبر هذه الفئة من الناس من المتصوفة؟ وما رأيكم بهذه الكتب ؟ وهل تنصح بقراءتها ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

لا علاقة لهذه الكتب بالتصوف الذي هو لب الإسلام وجوهره .

لا تشغل بالك بالخرافات والدجل ولا تبحث عنها ، وانصرف إلى دراسة ما يفيدك مما يقربك إلى الله .

س : علم التصوف، متى بدأ هذا العلم؟ وهل الأشاعرة من المتصوفة؟.

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

المعنى المراد بكلمة التصوف موجود في صدر الإسلام وأول المتحققين بمعناه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والمسلمون الذين ساروا على

هديه والتزموا نهجه كلهم متصوفون ، بقطع النظر عن كلمة ((التصوف)) وتاريخ ظهورها .. ثم إن التصوف ليس علماً بل هو التزام وسلوك .

س : ما رأي الدين في بعض من يدعون الكرامات من أهل الصوفية الذين يضربون أنفسهم (بالشيش) ، هل هذا جائز ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى

أجمع العلماء الربانيون ، كما روى القشيري في رسالته ، أن الاستقامة على أوامر الله هي الكرامة بعينها ، فأعرض عن كل ما وراء ذلك .

س : هل ترى أن السلوك مع الصوفية شرط في التربية الإيمانية ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

ليس في الإسلام ما يسمى بالسلوك مع الصوفية ، كشرط في التربية الإيمانية ، على حدّ تعبيرك ، ولكن يوجد في كتاب الله (القرآن) الأمر بتزكية النفس أي العمل على تطهيرها من آفات الكبر والحسد والحقد والعصبية والتعلق بزينة الحياة الدنيا ... ويكون ذلك بالإكثار من ذكر الله وتلاوة القرآن ، والابتعاد عن أكل المال الحرام، والابتعاد عن مصاحبة الأشرار، وأداء الفرائض، مع كثرة الدعاء والتضرع بين يدي الله .

س : قرأت كتابكم: "هذا والدي" ووجدت في والدكم رحمه الله مثالاً أعلى يحتذى به والسؤال : كيف السبيل إلى سلوك طريق التصوف الحقيقي الصافي مع الابتعاد عن كل البدع والترهات التي نراها اليوم في مجتمعاتنا ؟

وهل يمكنكم إعطائي أسماء الكتب المفيدة في هذا المجال ؟

علماً أنني أقرأ الآن كتابكم "الحكم العطائية شرح وتحليل" وأنا أجد فيه راحة نفسية هائلة ، ومع أنكم لم تستعملوا كلمة التصوف في الكتاب المذكور إلا أنكم تعرفون أنني أقصد النبع الحقيقي لهذا العلم والذي ظلم بسبب البدع التي نسبت إليه .

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

التصوف الحقيقي ليس شيئاً أكثر من اتخاذ السبل الممكنة والمشروعة لتزكية النفس ، أي تخليصها من شوائب الضغائن والأحقاد والحسد والكبر ، والتعلق بشهوات الدنيا ، ورفعها إلى درجة النفس المطمئنة .

وسبيل ذلك الابتعاد عن المعاصي والتوبة منها عند الوقوع فيها والبعد عن مخالطة الأشرار ، والمواظبة على ورد دائم من تلاوة القرآن وطائفة من أذكار الصباح والمساء ، مع كثرة الدعاء والالتجاء إلى الله ، ولعل كتاب الحكم مع شرحه من أقرب المراجع التي يمكن أن تعتمدها سبيلاً إلى ذلك .

س : كم هو مقدار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغيب ؟

وهل حباه الله علم كل شيء إلا مفاتيح العلم الخمسة ؟

هل يجوز قول بعض المحسوبين على التصوف بأنه يعلم مفاتيح الغيب الخمسة ؟

وقد أجاب الشيخ على ذلك بقوله :

أطلَعَ اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم على ما شاء من المغيبات ، والله أعلم بها ، ولم يكلفك الله أن تحصيها وتحفظها ، ليس لأحد أن يدعي أنه يعلم مفاتيح الغيب ، ومن ادعى ذلك من أدعياء التصوف فهو دجال كاذب .

س :أنا من مدينة تيتوف في مقدونيا وعمري ١٨ سنة وأريد أن أعرف فيما أخطأت الصوفية باختصار ؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

علماء التصوف كعلماء الشريعة ، وكعلماء الأدب واللغة العربية... إلخ فكما أن في هؤلاء العلماء من يخطئ في الفتوى وفي التعليم ، بل قد تجد فيهم من يدجّل ، فكذلك في علماء التصوف من أخطأوا في فهمه أو فهم جوانب منه ، بل ربما تجد فيهم دجاجلة كاذبين .

إذن التصوف من حيث هو ليس خطأ والمتصوفة ليسوا مخطئين ولكن كثيراً ما يتسرب إليهم جاهلون أو دجالون .

س : كيف نفهم البدعة ؟ ما هي البدعة الحسنة والبدعة السيئة ؟ ما هو التصوف ؟ هل هو بدعة أم لا ؟ ما حكم قراءة القران في المقابر وإهداء ثوابها للميت؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

البدعة هي إدخال عمل ما في الدين دون أن يكون منه .

كل بدعة فهي بدعة سيئة وليس ثمة بدعة (بالتعريف الذي ذكرته) حسنة .

كل سعي مشروع لتزكية النفس وتطهيرها من الأخلاق الذميمة فهو من لب الإسلام وبعض العلماء يسمونه (التصوف) .

روى ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((اقرؤوا فاتحة الكتاب على جنائزكم)) إذن فقراءة الفاتحة وغيرها من القرآن على الموتى مشروعة وجائزة .

س : ما حكم الطرق الصوفية؟

الطُّرق الصُّوفية يحكم لها أو عليها حسب موافقتها أو مخالفتها لأحكام الشريعة الإسلامية التي دلَّ عليها كتاب الله وسنّة رسوله .

إن هذه الطُّرق ، على تنوُّعها واختلافها ، لا تخرج عن كونها مناهج متعددة ومختلفة إلى تربية النفس وتطهيرها من الرُّعونات والآفات .. ولا شكَّ أن هذا الهدف مشروع ومطلوب ، كيف لا ومدار الشريعة الإسلامية كلها على تزكية النفس والسُّموّ بها إلى مكارم الأخلاق.

ولكن لا يكفي أن يكون الهدف وحده نبيلاً ومشروعاً، بل لا بدَّ أن تكون السُّبل إليه مشروعة أيضاً.

ولا شكَّ أن كثيراً من المرشدين والقائمين على رعاية الطُّرق الصوفية، يتجاوزون حدود الشريعة الإسلامية في كثير من مناهجهم وأساليبهم التَّربوية التي يأخذون بها مريديهم، إن بقصد أو دون قصد.. هذه الطرق تصبح باطلة غير مشروعة في هذه الحال، مهما قيل عن أهدافها المشروعة والنبيلة ، بل كُن على يقين أن الهدف المشروع في ميزان الإسلام لا يتحقق إلاّ من خلال التَّمسُّك بميزان الإسلام ذاته .

س : هل يمكننا استخدام موسيقى التَّصوف لجلال الدين الرومي لعبادة الله؟

وكان جواب الشيخ رحمه الله تعالى :

ليس هنالك موسيقى صوفية أو دينية ضمن تعاليم إسلامنا الحنيف . وما ينسب من ذلك إلى جلال الرومي كذب وافتراء . فهو رحمه الله لم يكن يتعبد الله بعزف الموسيقى أو سماعها . وإن كان يسمع من ذلك شيئاً كالنّاي ، الذي قال كثير من العلماء بجواز عزفه والاستماع إليه ، فإنما كان يسمعه استجماماً وتمتُّعاً بطيّب أباحه الله . وفرق كبير بين هذا ، وبين القول بأنه كان يمارس بذلك نوعاً من العبادة لله .

ويدخل في حكم ذلك هذا الدّوران الذي يعرف به المولوية المنسوبون إلى جلال الدين الرومي.. إنه ليس في الحقيقة أكثر من فنّ فلكلوري ككثير من الفنون المعروفة المشابهة . ولا شك أن لصقه بالدين واعتباره جزءاً من ذكر الله عزّ وجلّ ، جريمة كبرى قد لا تغتفر.

لمن يمارسون الدبكة أن يمارسوها كما يشاؤون ، وللناس أن يستمتعوا بمرآها .

ولكن ليس لأحد منهم أن يقحم هذا الفنّ في الدين ويجعل منه جزءاً من مماراساته وعباداته .

وأبطال الدبكة يعلمون هذا ويتفهَّمونه.. فلماذا لا يعلم ذلك أبطال فنّ الدّوران من دراويش المولوية ؟

س : أحببت عالماً جليلاً (صاحب طريقة نقشبندية) إلا أنه يدخن وتقبل النساء يده. فهل هذا موافق للشريعة أم لا ؟

ليس موافقاً للشريعة الإسلامية .

س : الله عز وجل موجود طبعاً . فهل بالإمكان اعتباره شيئاً من الوجود ؟

الله عز وجل شيء لا كالأشياء ، لأن الشيء هو الموجود .

والله واجب الوجود .

كتاب الله والسُنَّة هما المقياس :

التصوف عند شيخنا الدكتور البوطي يقوم على موافقة الشرع والمنهج الإسلامي ، فما وافق الكتاب والسنة من قول أو عمل ، يؤخذ به ويُقتدى بصاحبه ، وما خالف الكتاب والسُنَّة مردود على من جاء به بغض النظر عن التسميات والمصطلحات .

فعلى الرّغم من المشرب الصّوفيّ الذي لا يخفى على أحدٍ للدّكتور البوطي إلّا أنّه لم يكن يدَّخر جهداً في انتقاد انحرافات الصّوفيّة أو ما يقعون به من مخالفاتٍ شرعيّة ، وعلى الرّغم ممّا كانت تتسّمُ به عباراتُه من شدّة في انتقادهم .

فيقول في فقه السّيرة تحت عنوان ''كلمةٌ عن حديث أبي بكرٍ وما اختلقه البعضُ من زيادةٍ فيه ليسوّغوا به بدعةً من أهمّ البدع المحرّمة'':

''ذكرنا الحديث الذي رواه التّرمذي وأبو داود عن تقديم أبي بكرٍ مالَه كلّه للرّسول صلى الله عليه وسلم ، وأنّه أجابه عليه الصّلاة والسّلام حينما سأله : ما أبقيتَ لأهلك : أبقيتُ لهم الله ورسوله .

وقد اختلقَ بعضهم زيادةً على الحديث : أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال له: يا أبا بكر إنّ الله راضٍ عنك فهل أنتَ راضٍ عن الله ؟ فاستفزّه السّرور والوجد ، وقام يرقص أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : كيف لا أرضى عن الله ؟

ثم ذهبوا يجعلون من هذه الزيادة المختلقة دليلًا على مشروعية الرقص والدّوران في حلق الذكر على نحو ما يفعل (المولوية) وطوائف أخرى من المتصوفة .

فأما الدّليل الذي يستندون إليه، فهو دليلٌ مختَلق كما ذكرت ، ولم يثبت في حديثٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ أنّ أبا بكرٍ قامَ بفعل ذلك بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، كلّ ما ورد في الأمر هو ما ذكرته من نصّ حديث التّرمذي والحاكم وأبى داود ، على ما فيه من احتمالات الضعف التي بينتها في تخريج الحديث .

وأما المدلول فلا نقول: إنّه لم يثبت دليلًا عليه، بل الحقّ الذي ينبغي أن يقال: إنّ الدّليل قد ثبت على حرمته . وإليك بيان ذلك''

ثمّ يشرعُ في بيان الأدلّة على حرمة هذا الفعل وهو الرّقص والقفز في الحضرات كما يفعل أتباع بعض الطرق الصّوفيّة ، ولا ينسى الدّكتور البوطي أن يجيب عن التساؤل الذي سيتبادر إلى أذهان القرّاء عن انتصاره للسلفيّة على الصّوفيّة في هذا الموقف، فيقول :

'' قد يعجبُ البعض من أنّي أنكر على الوهّابية الكثير من آرائهم ، مع ما أفعله هنا من الانحياز إليهم ، لاستنكار ما يراه الآخرون .

ولا ريبَ أن هذا العجب إنّما هو نتيجة تصوّر خاطئٍ لما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم ، فليس من الإسلام في شيءٍ أن يتحوّل لدينا البحثُ العلميّ في العقل إلى عصبيّة مستحكمةٍ في النّفس، وهيهاتَ أن يكون من الإسلام في شيء ما يفعله بعضهم من الانتصار لما عرف به من مذهبٍ ورأي ، مصطنعاً بذلك الانتصار للإسلام ،

ثمّ يعودُ ليؤكّد على أنّ انتقاده للصّوفيّة لا يعني بحالٍ من الأحوال التّشكيك بحبّهم لله تعالى ولرسوله أو التشكيك بصدق نيّاتهم وصفاء قلوبهم؛ قائلًا:

''وإذا كنتُ أبحثُ الآن في مسألة انتهيتُ فيها إلى موافقة أولئك البعض

ومخالفة كثير من عوام المسلمين أو المتصوفة فيهم ، فليس ذلك أيضًا حبًّا بمخالفتهم أو شهوة لنقدهم ، ولكن رغبة خالصةً في أن لا أحيد عن كتاب الله وسنة رسوله ، مع تقديري لكثيرٍ من هؤلاء السّادة ويقيني بصلاحهم وصفاء نياتهم ، وعذري أن هذا التقدير لا يسوغ تجاوز النّصوص أو القواعد أو التأويل لها''

وبمثل هذا البيان العلميّ الرّصين والاحتكام الى الكتاب الكريم والسنَّة المطهَّرة يقول الشيخ ان ''الرّابطة الشّريفة'' محرّمة .

يقول الدّكتور البوطي في كتاب ''هذا والدي'':

''معنى الرّابطة فيما يقرّره ويحرص عليه كثيرٌ من مشايخ الطّريقة النّقشبنديّة ؛ هو أن يبدأ المريد في أوّل توجّهه إلى ذكر الله عزّ وجلّ فيتصوّر شيخه ويجعل من تصوّره هذا فاتحة ذكره لله عزّ وجلّ ، ويوصي هؤلاء الشّيوخ مريديهم بهذا العمل على أنّه ضرورة لا بدّ منها ، ووجه ضرورته في نظرهم أنّ المريد لا يستطيع أن يستلهم ذكر الله عزّ وجلّ إلّا إذا تصوّر الشّيخ أولًا، إذ إنّه هو الذي يمكّنه من دخول الحضرة الإلهيّة ذاكرًا ومراقبًا''

والدّكتور البوطي يرى حرمة الرّابطة، بل إنّه قد شنّع على ما يكرّره مشايخ الطّريقة النّقشبنديّة من قولهم: ''إنّ حبّ الشّيخ مقدّم على حبّ الله تعالى''

وقد ردّ عليهم الدّكتور البوطي ردًّا علميًّا رصينًا دون أن يشكّك في حبّهم لله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، لكنّه على الإطلاق لم يتعرّض في كلمةٍ لصدق مشاعرهم وحبّهم لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم.

فالبوطي يعبر عن التصوف بقوله: (أما التصوف بمعناه الحقيقي السليم فهو لُبُّ الإسلام، وجوهره الكامن في أعماق فؤاد الإنسان المسلم، وبدونه يغدو الإسلام مجرد رسوم ومظاهر وشعارات يجامل بها الناس بعضهم بعضًا، ولا توقفنك إزاء هذه الحقيقة مشكلة الاسم ؛ فلقد كان التحلي بهذا اللباب في

صدر الإسلام مسمى لا اسم له إلا الإسلام الحقيقي الذي يستدعي من صاحبه تزكية النفس والسعي إلى بلوغ درجة الإحسان) [1]

وهو بهذه الطريقة يبدو للسالكين على طريقته رجلًا متجردًا لصحيح الإسلام لا غير؛ بل إن هذا الظن قد يترجح عند بعض الناس عندما يرى البوطي يقف موقف الناقد لبعض قضايا التصوف ، ولمسلك بعض رجالات الصوفية، فهو يرفض تفسير بعض المنتسبين للصوفية القرآن بالطريقة الباطنية ، ويرى ذلك خروجاً عن الإسلام فيقول: (اتباع كثير من الناس في تفسير نصوص القرآن أو السنة ما تخيله إليه أوهامهم وسمادير [2] أحلامهم ، باسم التصوف أو علم الباطن، دون التقيد بأي ضابط من قواعد اللغة العربية أو أصول الدلالات أو قواعد تفسير النصوص .

بل هو يبدي رفضه لبعض بدع الصوفية المنتشرة؛ مثل الرقص والتثني، فيقول عن ذكر الله بطرق غير مشروعة : (كأن يلتبس الذكر بعمل منهي عنه كالرقص والتثني، فهذا ممنوع وخارج من عموم النص القرآني العام استنادًا إلى دليل حرمة الرقص والتثني) [3]

بل والأكثر من ذلك أنه يُعرِّض بشيوخ الطرق الصوفية في هذا العصر قائلًا إذا سألتني عن الطرق في هذا العصر، فأنا أرجوك أن تدلني على طريقة من الطرق مرشدها يتمتع بالعلم بالشريعة الإسلامية علمًا وافرًا كافيًا بالزهد في الدنيا وما حولها وذيولها، والاستقامة في السلوك، سأذهب غدًا لأكون مريدًا لديه، ولكنني

---

[1] كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة، ص ١١٧

[2] السمادير : شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عن السُكْر من الشراب وغشي النعاس

[3] كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة، ص ١٩٢

التفتُّ يمينًا وشمالًا فلم أجد هذا المرشد) [1]

الفتى على سرِّ أبيه :

ولمعرفة موقف الشيخ البوطي رحمه الله تعالى من النظام السوري الحاكم فقد نشرت صحيفة الدستور المصرية حواراً أجرته مع الدكتور مُحَمَّد توفيق البوطي أمام الجامع الأموي بدمشق ونجل العلامة الشهيد مُحَمَّد سعيد البوطي ، كما تناول الحوار التوجّه الصوفي للشيخ البوطي .

وأكد الدكتور مُحَمَّد أن التصوف الإسلامي هو المنهج الإسلامي الحقيقي الذي يجب أن يتبعه كل الناس . وذكر أن والد الشيخ سعيد البوطي كان من مريدي الطريقة النقشبندية ، لذلك كانت تجمعه علاقة قوية بأهل التصوف .

وقال رداً على سؤال هل كان الشيخ البوطي ينتمى لأى طريقة صوفية ؟

نشأنا في رعاية الجد، ملا رمضان البوطي، في ظل تربية إيمانية خاصة، حيث كان يربينا بفكره ومشاعره، وكان في سلوكه مدرسة قائمة بذاتها، وكان يتبع الطريقة النقشبندية ، لكنه لم يعط الطريقة لأحد منا، وكان يقول دائمًا: «صحح صلاتك» وكان يستدل بهذا الكلام على ضرورة التفقه في أهم العلوم الشرعية التي تصحح العقيدة والعبادات والمعاملات، وأنها مقدَّمة على أخذ الطريقة، ثم يرى أن الطريقة تتطلب وجود المرشد الكامل، وهو يرى أن المرشد الكامل غير موجود، وأعتقد أنه كان يتواضع بذلك، لأنه بنظري كان مرشدًا كاملًا.

ووالدي لم يلتزم طريقة، ولم يعطه جدى طريقة، وإنما نشأ في ظل تربية متميزة كما وصفت، وكان والدى موضع نظره وتوجيهه علميًا ومسلكيًا، ولعله عندما كان يرى في جدى صورة تجسد قوله تعالى: «كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ

---

[1] مقطع من حلقة رقم ١٨ من حلقات برنامج "مع البوطي في حياته وفكره" والذي بث في رمضان ١٤٣٠ هـ

* وبالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون» حيث كان قيامه الليل يبدأ قبل منتصف الليل، وربما صلى في ركعتين أجزاء من كتاب الله مع التضرع والتبتل حتى إذا جاء وقت السَّحَر كانت له أوراد وأدعية يلتزم بها، وكنا نسمع في السحر نشيجه ودعاءه وبكاءه.

وإذا كان التصوف ترسيخًا لمعنى التوحيد والتزكية، فقد نال والدى منه حظًا وافرًا ولله الحمد وإذا كان غير ذلك فهو لم يفهم التصوف إلا كذلك، وهذا واضح من خلال شرحه للحكم العطائية الذى يعتبر منهجًا متميزًا في التصوف.

وحول طبيعة علاقته بالداعية الحبيب الجفرى والإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب ؟

قال : علاقته مع الحبيب علي الجفري والشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر علاقة أخوة في الله، قائمة على سلامة المنهج والاستمداد من منهل واحد: كتاب الله وسنة نبيه وفهم سلفنا الصالح لنصوصهما.

عن الأسباب التي جعلت الشيخ البوطي يساند الرئيس الأسد ؟ قال :

يجب أن يدرك الجميع أن موقف الوالد –رحمة الله– من الفتنة ليس موقف تأييد لشخص الرئيس ولا لأركان الدولة، كما أنه ليس موقف معارضة ومناوئة، ومن تابع كلامه طيلة فترة ولاية الرئيس بشار الأسد لن يجد أنه مدحه أو أثنى عليه بكلمة واحدة، لكنه اتخذ موقفًا مبنيًا على ما اتفق عليه العلماء من حرمة الخروج على ولى الأمر بسبب ظلم أو أخطاء ارتكبها تستوجب الخروج عليه، وقد نقل مرارًا كلام الإمام النووي حيث نقل الإجماع على ذلك.

إن الشهيد لم يكن مؤيدًا ولا معارضًا، كان ينصح بقوة وحزم، لكن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شيء، وإثارة الفتنة وتمزيق الأمة شيء آخر.

لقد حذر من مخطط خطير يهدف إلى تمزيق سوريا إلى دويلات، واليوم نجد أن

أدوات الفتنة القذرة ترحب بهذا التمزيق، كما أن ثورات الربيع العربي هذه هدفها الحقيقي تمزيق الأمة العربية والإسلامية.

سقط القذافي فهل انتهت المشكلة أم ابتدأت؟ وسقط مبارك فهل انتهت المشكلة؟ وسقط قبلهما صدام، فهل انتهت المشكلة أم ابتدأت؟ سقط على عبدالله صالح، فهل انتهت المشكلة أم ابتدأت؟ في كل الحالات السابقة تفاقمت الفتنة وتمزقت البلاد وصارت محط الأطماع.

من أقواله ﷺ :

- التصوف اسم حادث لمسمى قديم ؛ إذ إن مسماه لا يعدو كونه سعياً إلى تزكية النفس من الأغيار العالقة بها عادةً، كالحسد والتكبر وحب الدنيا وحب الجاه ، وكذلك ابتغاءه توجيهها إلى حب الله عز وجل والرضا عنه والتوكل عليه والإخلاص له سبحانه وتعالى.

- علماء التصوف كعلماء الشريعة ، وكعلماء الأدب واللغة العربية ... إلخ، فكما أن في هؤلاء العلماء من يخطئ في الفتوى وفي التعليم ، بل قد تجد فيهم من يدجّل ، فكذلك في علماء التصوف من أخطأوا في فهمه أو فهم جوانب منه، بل ربما تجد فيهم دجاجلة كاذبين، إذًا، التصوف من حيث هو ليس خطأ، والمتصوفة ليسوا مخطئين، ولكن كثيرًا ما يتسرب إليهم جاهلون أو دجالون.

- الطُّرق الصُّوفية يُحكم لها أو عليها حسب موافقتها أو مخالفتها لأحكام الشريعة الإسلامية، التي دلَّ عليها كتاب الله وسنّة رسوله، إن هذه الطُّرق على تنوُّعها واختلافها، لا تخرج عن كونها مناهج متعددة ومختلفة، إلى تربية النفس وتطهيرها من الرُّعونات والآفات ... ولا شكَّ أن هذا الهدف مشروع ومطلوب، كيف لا، ومدار الشريعة الإسلامية كلها على تزكية النفس والسُّموّ بها إلى مكارم الأخلاق؟! ولكن لا يكفي أن يكون الهدف وحده نبيلًا

ومشروعًا، بل لا بدَّ أن تكون السُّبل إليه مشروعة أيضًا، ولا شكَّ أن كثيرًا من المرشدين والقائمين على رعاية الطُّرق الصوفية، يتجاوزون حدود الشريعة الإسلامية في كثير من مناهجهم وأساليبهم التَّربوية، التي يأخذون بها مريديهم، إن بقصد أو دون قصد ... هذه الطرق تصبح باطلة غير مشروعة في هذه الحال، مهما قيل عن أهدافها المشروعة والنبيلة، بل كُن على يقين أن الهدف المشروع في ميزان الإسلام، لا يتحقق إلاّ من خلال التَّمسُّك بميزان الإسلام ذاته.

– الحاكمية إنما هي لله وحده، هو المشرع لعباده في شتى شئونهم المتعلقة بدنياهم وآخرتهم، وهو المرجع في كل مشكلة من مشاكلهم وإقامة تنظيم ودستور لحياتهم، ومن جحد ذلك فهو كافر بالله ورسوله وإن ادعى بلسانه الإيمان بالله ورسوله وصلَّى وحج وصام.

– لما كان المجتمع هو الفرد المتكرر ، فقد كانت صلاحية المجتمع وقفًا على صلاحية أفراده، قبل أن تكون وقفًا على صلاحية القوانين السارية في أنحائه.

– ليست في عقول الشباب ولا في نفوسهم أينما كانوا أي مرض أو آفة يعانون منها ، ولكنهم بمثابة جهاز حساس ، يرتسم عليه كل ما قد يكمن في المجتمع الذي هم فيه ، من مظاهر الفوضى والتخلخل والاضطراب .

– إن الله عز وجل أقامنا في خضم الأسباب وأمرنا بالتعامل معها مع اليقين ، إن الفاعلية (النتيجة) هي تبع لإرادة الله وحكمه، وكل القوانين والأنظمة الكونية إنما هي من تدبير الله عز وجل.

– إن المسلم يجب أن يعبد الله لأنه عَبْدُه ولأن الله ربُّه، ولا ينتظر مقابل عبادته الجنة؛ فإنما هي منحة وتفضل منه عز وجل، ونقول كما قال الشاعر:

فإن يثبنا فبمحض الفضل .... وإن يُعَذِّب فبمحض العدل .

من آثار الشيخ الدكتور البوطي :

أغنى البوطي المكتبة العربية والإسلامية بما لا يقل عن ستين مؤلفاً عالجت قضايا علوم الشريعة والآداب والفلسفة والاجتماع والتصوف ومشكلات الحضارة وغيرها، وأشهر هذه المؤلفات "فقه السيرة النبوية" و"الإسلام والعصر" و"منهج الحضارة الإنسانية في القرآن" و"هذه مشكلاتنا".

وقد كتب أحمد بسام ساعي الأستاذ الجامعي في إنجلترا وأحد المقربين من جماعة الإخوان المسلمين السورية، وذلك في تقديمه للطبعة الثانية لكتاب البوطي «هذا ما قلته» يقول:

"لقد تَرَكتُ سورية والمساجد تبحث عن مصلين ، وعدت إليها بعد أكثر من عشرين عامًا والمساجد تبحث عن أماكن لاستيعاب جماهير المصلين الجدد ، تركتها والشباب في المساجد هم القلة ، وعدت لأراهم فيها الكثرة الكاثرة ، تركتها وهي شبه خالية من الحجاب ، وعدت لأراها شبه خالية من السفور . كيف كان لكل هذا أن يتحقق لولا فضل الله ونماذج إسلامية خيرة كالشيخ ، آثَرَتْ الكلمةَ على الرصاصة ، ولغةَ الحكمة على الشتيمة ، ولينَ الخطاب على عنفه... ".

إنَّ من مؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى :

* البدايات باكورة أعمالي الفكرية .
* التعرف على الذات هو الطريق المعبد إلى الإسلام .
* المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة .
* لا يأتيه الباطل – كشف لأباطيل يختلقها ويلصقها بعضهم بكتاب الله عز وجل.
* برنامج دراسات قرآنية (٣ أجزاء).
* منهج الحضارة الإنسانية في القرآن.

* من روائع القرآن الكريم.
* كلمات في مناسبات.
* الحكم العطائية شرح وتحليل (٤ أجزاء).
* هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك.
* مشورات اجتماعية.
* يغالطونك إذ يقولون.
* الإسلام والعصر تحديات وآفاق (حوارات لقرن جديد).
* أوربة من التقنية إلى الروحانية – مشكلة الجسر المقطوع، بالعربية والإنكليزية.
* كبرى اليقينيات الكونية (وجود الخالق وظيفة المخلوق).
* شخصيات استوقفتني.
* حرية الإنسان في ظل عبوديته لله (سلسلة هذا هو الإسلام).
* الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان؟.
* اللا مذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية.
* تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث.
* سلسلة أبحاث في القمة.
* ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية.
* قضايا فقهية معاصرة (جزآن).
* محاضرات في الفقه المقارن.
* مع الناس مشورات وفتاوى (جزآن).
* الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟
* سيامند ابن الأدغال.
* هذه مشكلاتهم.
* هذه مشكلاتنا.

* من الفكر والقلب.
* حوار حول مشكلات حضارية.
* على طريق العودة إلى الإسلام، رسم لمنهاج، وحل لمشكلات.
* نقض أوهام المادية الجدلية.
* المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني.
* الإنسان مسير أم مخير؟
* الحوار سبيل التعايش (ندوات الفكر المعاصر).
* السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي.
* التغيير مفهومه وطرائقه (ندوات الفكر المعاصر).
* رواية ممو زين.
* هذا والدي.
* الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية.
* فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة.
* عائشة أم المؤمنين.
* مدخل إلى فهم الجذور.
* مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجاً.
* دفاع عن الإسلام والتاريخ.
* المذهب الاقتصادي بين الشيوعية والإسلام.
* في سبيل الله والحق.
* حقائق عن نشأة القومية.
* في الحديث الشريف والبلاغة النبوية.
* من سنن الله في عباده.
* دور الأديان في السلام العالمي.

* الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه

* ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية الأطروحة التي نال بها الشيخ الجليل شهاده الدكتوراه من الازهر الشريف

وبالإضافة إلى كتاباته الدورية في عدد من المطبوعات المتخصصة في الشأن الإسلامي، ودروسه الدائمة في مسجد الإيمان بدمشق، قدّم على شاشات التلفزة عددا من البرامج الدينية .

استشهاده :

انتقل إلى جوار ربه شهيداً مساء يوم الخميس ٢١ آذار٢٠١٣، الموافق : ١٠جمادى الأول١٤٣٤هـ .

في خاتمة يتمناها كل مسلم، في مجلس وصفه الرسول الكريم بقوله: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

عندما كان يلقي درسه في تفسير القرآن الكريم في محراب مسجد الإيمان بدمشق مع حوالي خمسين من طلبة العلم الشرعي حيث قام انتحاري بتفجير نفسه مما أدى إلى استشهاده مع باقة من طلبة العلم، رحمهم الله تعالى أجمعين ، فاستحق لقب شهيد المحراب، ودفن إلى جوار الناصر صلاح الدين الأيوبي في دمشق .

مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عربي

الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي

٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م – ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م [١]

(أدين بدين الحب أنّى توجهتْ ركائبه ، فالحب ديني وإيماني)

محي الدين ابن عربي

احتضن اوراقه ، مرر أصابعه على السطور ، وبحنان الأب لامس الحروف ، أحسَّ أنها قطعة منه ، قطعة من عقله ، فحروفها تحمل نبضات قلبه ، وكلماتها تشرح مسيرة ستون عاماً وربما أكثر ، ستون عاماً من السهر ومن الجوع ومن العطش ، سنين طويلة من الترحال ، سنين من البحث والسعي خلف الحقيقة ، وحين وصل .. ، وحين عَرَف ... ، وحين اغترف ..، راح يتحدث عن مشاهداته وعن رؤاه ، عن وصوله ، وعن اشواقه ومواجيده ، تحدَّث بالتلميح ، تحدَّث بالرموز ، فالذي رآه ، والذي عرفه كبير ، أكبر من أن تتسع له الحروف وأكبر من تحيط به الكلمات ، فحروفه تستحيل لأسوار وقضبان تحدد المعاني وتحجِّمها ، والحقائق كبيرة ، والحقائق ليس لها أن تُحَجَّم ، فهي حياة فيها نبض وفيها حركة ، والحروف تتحدث عن الساكن وعن السكون ، ثمَّ ، ان الحقائق مُلْكٌ لمن وصل اليها ، وهي محجوبة عمن لم يشأ الله له الوصول ، وهو حريص بحجب ما حجب الله سبحانه ، فمن شاء له الله ان يعرف معنى الرموز ، عَرَفَ ، ومن لم يعرف ، فتلك الحقائق ليست له ، و .....

وقطع عليه تفكيره صوت تلميذ من تلامذته يقول له بصوت فيه حنين وفيه محبة وفيه إجلال وتقدير : شيخي .. لو تكرمت وأمرت أحد تلامذتك ان يعيد

[١] ابن عربي لغة جديدة ص ١٣

كتابة مسودتك ، وفيهم العلماء ، وفيهم ــ وأنت أدرى ــ القضاة والشيوخ ، والمسودة بها آلاف الصفحات ... وانت شيخي تعيد الكتابة بخط يدك ، فلو سمحت أن .... ، ويصمت التلميذ بعد اشارة من الشيخ بيده ، إشارة سبقتها ابتسامة .

كان التلميذ يحسُّ بوطأة السنين التي تعدَّت السبعين وقاربت الثمانين ، بوطأتها على شيخه الذي أتعبه السهر ، واتعبه طول القيام ، وهو الذي أفنى عمره قبلها بالترحال ، كان شيخه مدمن ترحالٍ كأنه يذرع المسافات بين المدن فما كان ليسكن بأرضٍ حتى يؤذِّن للرحيل الى بلد آخر .

كان الشيخ وهو يبتسم لتلميذه كأنه يقرأ أفكاره أو كأنه يتلمَّس حنان تلميذه وخوفه عليه ...

وأحسَّ الشيخ بأن السنين لها فِعْلٌ بالأجساد ، لكنها لا تؤثر في القلوب ولا بالهِمَم .

ويحتضن الشيخ اوراقه ... ويباشر بصياغة مسودة الفتوحات المكيَّة ، ويتناول قلمه ويباشر بالكتابة والتصحيح .

تذكَّر لوهلة بلاد الأندلس ، تذكَّر ملاعب الصبا وذكريات الطفولة .. تذكر الشوارع والمباني ووجوه الجيران ، تذكَّر الأزقة والحارات ، تذكَّر ... , واختفت كل الصور وتلاشت كل الذكريات حين غمس قلمه بالمداد ، فما عاد يذكر ولا يحس ، سوى بالله ، وشوقٌ غامر الى رسول الله ﷺ ، ونسائم من عالم قدسي تداعب قلبه .

الاسم والنشأة :

مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشهير بـ محيي الدين بن عربي ، أحد أشهر المتصوفين . لَقَّبَه أتباعه وغيرهم من الصوفيين "بالشيخ الأكبر"، ولذا تُنسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية .

ولد في مرسية في الأندلس في شهر رمضان عام ٥٦٠ هـ الموافق ١١٦٤م قبل عامين من وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني .

وتوفي في دمشق عام ٦٣٨هـ الموافق ١٢٤٠م ، ودفن في سفح جبل قاسيون .

وهو عالِمٌ مسلمٌ صوفيٌّ زاهد من علماء الدين الأندلسيين ، وشاعر وفيلسوف ، لقَبَه أتباعه ومريدوه من الصوفية بألقاب عديدة ، منها : الشيخ الأكبر، ورئيس المكاشفين ، البحر الزاخر ، بحر الحقائق ، إمام المحققين ، محيي الدين، سلطان العارفين .

ومرسية مكان مولده بلد إسلامي ، أنشأه المسلمون في الأندلس، في أيام الأمويين، وهي في شرق الأندلس ، إحدى مفاتن الجزيرة الخضراء المعروفة بكثرة المنارة والبساتين ودور العلم ومساجد الطاعة والعبادة .

اسمه : مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي ، من قبيلة (طيء) مهد النبوغ والتفوق العقلي في جاهليتها وإسلامها [١]، فنجد في المتن الأكبري أبياتا ، يفتخر الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي بأصله العربي الصافي وبالكرم الأسطوري الذي ارتبط باسم (بني طيء)، حيث يقول :

أنا العربي الحاتمي أخو الندى لنا في العُلى المجد القديم المؤثَّلِ [٢]

يكنّى أبا بكر ويلقب بمحي الدين ، ويعرف بالحاتمي وابن عربي لدى أهل المشرق ، تفريقا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي .

(وهو سليل أسرة عريقة في العلم والتقوى ، عراقتها في الحروب والنضال ،كان جده الأعلى عبد الله أحد قادة الحروب والفتوحات، وكان جّد الحاتمي الأدنى أحد قضاة الأندلس وعلمائها) [٣]

---

[١] محي الدين بن عربي ص ١٥

[٢] ابن عربي سيرته وفكره ص ٤٥

[٣] محي الدين بن عربي ص ١٥

أما والد محي الدين ، واسمه علي بن مُحَمَّد ، فهو أندلسي المولد والنشأة (وكان من أئمة الحديث والفقه والزهد والعبادة وكان صديقاً لابن رشد فيلسوف قرطبة) [١]

هذا هو النبع الأبوي الزكي الذي أنجب محي الدين ، أما نبعه من حيث خئولته ، فهو سليل الأطهار الأنصار الذين لا يسلكون فجّاً إلا سلكه الرسول صلى الله عليه وسلّم .

(كان له خالان سلكا طريق الزهد ، أحدهما يحيى بن يغان الذي تخلّى عن عرشه في تلمسان ولزم خدمة عابد فرض عليه ان يكسب قوته من الاحتطاب في الجبال وبيع الحطب في طرقات عاصمة مُلْكِهِ .

أما خاله الثاني فهو ابو مسلم الخولاني الذي كان يقضي الليل في مجاهدات شديدة ويضرب نفسه بقسوة حتى لا ينام) [٢]

كان خاله يأتي بالحطب على رأسه الى السوق بعد أن ترك مُلْكَه والناس من رعيَّته ينظرون اليه ويبكون ، فيبيع ويأخذ قوته ويتصدق بالباقي .

ويوم توفاه الله ودُفن صار قبره مزاراً ، فكان شيخه إذا جاءه الناس يطلبون منه الدعاء ، يقول لهم التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان ، فإنه ملك وزهد ، ولو ابتُليتُ بما ابتلي به من الملك ربما لم أزهد [٣]

وهكذا درج محي الدين بين بيت والده ، ودار خاله أبو مسلم الخولاني ، في جو عامرٍ بنور التقوى ، فيه سباق حار نحو الشرفات العليا للإيمان .

في جوٍّ من الزهد والتصوف قضّى ابن عربي طفولته .

وحين بلغ الثامنة من عمره ، انتقل ابن عربي مع أبيه من مسقط رأسه مرسية

---

[١] ابن عربي لغة جديدة ص ١٣

[٢] الاعلام من الفلاسفة ص ٢٣

[٣] انظر الاعلام من الفلاسفة ص ٢٥

الى أشبيلية ، وحاكمها إذ ذاك السلطان مُحَمَّد بن سعد ، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس .

وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب الكافي، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهما في المعاني والإشارات.

(ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه .

فسمع في وقت مبكِّر من ابن زرقون ، والحافظ ابن الجد ، وأبي الوليد الحضرمي ، والشيخ ابن الحسن بن نصر .

وكل هذه العلوم حصَّلها ابن عربي وهو لم يتجاوز العشرين من عمره) [1]

وهو الزمن الذي نلمس فيه توجّهه الى الخلوة ، والتصوف ، وأحوال القوم والأرجح أن ذلك كان عام خمسمائة وثمانين هجري (٥٨٠هـ) الموافق لعام ألف ومائة وأربعة وثمانين ميلادي (١١٨٤م) .

وفي اشبيلية تلقى تربية دينية وأدبية كاملة ، فكثيراً ما كان يشير الى ذلك في كتبه ، وانه قرأ الكتب الرئيسية في كل فن وهو في اشبيلية .

شيوخه في العلم :

ابرز شيوخ ابن عربي كما ذكرهم صاحب الترجمة الواردة في أول طبعة (الفتوحات) هم : ابو بكر مُحَمَّد بن خلف بن صافي اللخمي ، وابو القاسم عبد الرحمن بن غالب الشراط القرطبي ، وقد قرأ عليهما القراءات ، كذلك قرأ القران على أبي بكر مُحَمَّد بن أحمد بن أبي حمزة .

وقرأ الحديث على شيوخ كثيرين في أشبيلية وغيرها منهم : ابن زرقون الأنصاري ، وأبي فظ بن جد ، وأبي الوليد الحضرمي وعبد المنعم الخزرجي وابو منعم بن مصلى ... وغيرهم .

---

[1] ابن عربي ومولد لغة جديدة ص ١٣

وتابع دروس ابي مُحَمَّد عبد الحق الاشبيلي تلميذ ابن حزم ، وقد قرأ ابن عربي جميع كتب ابن حزم على ابي مُحَمَّد عبد الحق الاشبيلي والى هذا يرجع كون ابن عربي كان ظاهري المذهب [1] في العبادات .

شقيقتا الشيخ:

المراجع لا تذكر أنّ للشيخ إخوة سوى شقيقتين : الكبرى أمّ السعد والصغرى أمّ العلاء . مات والدهما ولم تتزوجا بعد، ذكرهما الشيخ في كتابه الدرّة الفاخرة.. بقوله : واقترح عليّ أمير المؤمنين أن ألتحق بديوانه وأن يُزوّج أُخْتَايَ. فرفضت وسافرت بهما مع أهلي وابن عمّ لي إلى فاس وزوّجتهما بفاس .

أزواجه:

يذكر الشيخ في الباب ٤٦٣ أنه كان يكره النساء والجماع في بداية دخوله الطريق وبقي على ذلك ثمانية عشر عاماً ، حتى شهِد مقام القطب الثامن من

---

[1] المذهب الظاهري :

يقوم هذا المذهب على أن المصدر الفقهي هو ظواهر النصوص من الكتاب والسنة، فلا رأي في حكم من أحكام الشرع، وعلى هذا فقد نفى المعتنقون لهذا المذهب الرأي بكافة أنواعه؛ فلم يأخذوا بالقياس، ولا بالاستحسان، ولا الذرائع، ولا المصالح المرسلة، ولا بأي وجه آخر من وجوه الرأي، بل يأخذون بالنصوص وحدها، وإذا لم يكن نص أخذوا بحكم الاستصحاب الذي هو الإباحة الأصلية الثابتة بقوله تعالى : "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً" .

فهذا المذهب نفى القياس؛ لأنه يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه حتى جرأ العامة على استنباط الأحكام.

وقد قام بإنشاء هذا المذهب وبيان أحكامه وتوضيح أدلته عالمان، أحدهما: داود الأصفهاني ويعد منشئ المذهب؛ لأنه أول من تكلم به، وثانيهما: ابن حزم الأندلسي، وقد كان له فضل بيان المذهب وبسطه.

وقد نشأ المذهب في بغداد في منتصف القرن الثالث الهجري.

الأولياء.. عندها تغيّرت رؤيته وصدق في توجهه إلى الله وزالت عنه هذه الحالة، وحبّبهنّ إليه.. ويبدو أنّ زواجه الأوّل كان مع نهاية هذه المدة وبالتحديد عام ٥٩٣هـ التي تقابل مرور ١٨ عاما بعد وصوله مرحلة البلوغ..

ويؤيّد ذلك ما نلاحظه في تعبير الشيخ ، أنه سافر بأختيه مع "أهله" وابن عمّ له إلى فاس، وهو ما يشير إلى أنه كان قد تزوّج قبل ذلك الوقت في أشبيلية ، فتعبير "أهلي" المقصود به هنا الزوجة ، ويكون الأقرب للتوقع أنّ "أهله" المقصودة هنا هي المرأة الصالحة مريم بنت مُحَمَّد بن عبدون البجائي .

وكان الشيخ يشير إلى زوجته بالصلاح وسلوك الطريق.. فيقول : (حدّثتني المرأة الصالحة مريم بنت مُحَمَّد بن عبدون بن عبد الرحمن البجائي، قالت: رأيت في منامي شخصاً كان يتعاهدني في وقائعي، وما رأيت له شخصاً قطّ في عالَم الحسّ . فقال لها : تقصدين الطريق ، قالت: فقلت له: أي والله أقصد الطريق، ولكن لا أدري بماذا ؟ فقال لي : بخمسة ، وهي: التوكّل واليقين والصبر والعزيمة والصدق . فعرضتْ رؤياها عليّ، فقلت لها: هذا مذهب القوم)[1] ،

وفي موضع آخر يشير أنّه عَلِمَ في إحدى وقائعه أنّ لها في التوحيد أوفرُ حظّ وأعظم نصيب .

وفي نهاية نسخة قونية يذكر الشيخ اسم زوجة أخرى له هي فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين ، وهي أمّ ابنه عماد الدين مُحَمَّد الكبير الذي وقف عليه النسخة الأولى من الفتوحات المكية التي انتهى من كتابتها عام ٦٢٩. وصيغة التعبير توحي أيضا أنها كانت على قيد الحياة عند كتابته تلك في عام ٦٣٦هـ ، ويحتمل أنها أمّ ابنته زينب التي ذكرها في الفتوحات مرتين مع أُمها وجدّتها ، ووصفها بأنها كانت رضيعة عمرها دون السنتين في العام الذي ذهبتْ فيه مع أُمّها إلى الحج وذهب هو إلى بغداد من دمشق ، وكان ذلك عام ٦٠٨هـ وفق

[1] الفتوحات ١ ٢٧٨

رواية ابن النجار .

وفي كتاب محاضرة الأبرار يقول الشيخ : (وكان لنا أهلٌ تقرّ العين بها ففرّق الدهر بيني وبينها فتذكّرتها ومنزلها بالحلّة من بغداد) [1]. ونظرا لأنّ آخر زيارة معلومة لنا قام بها الشيخ إلى بغداد كانت في عام ٦٠٨هـ فتكون صلته بزوجته البغداديّة قد انقطعت في تلك الآونة أو بعدها، ولا نعلم سبب ذلك الانقطاع؛ هل هو الطلاق أو الموت؟

هذه الحالات الثلاث هي التي ذكرها الشيخ صراحة عن أزواجه إما بذكر أسمائهن، أو بتعبيره المتعارف عليه "أهل".

وذكر القاري البغدادي[2] أنّ الشيخ تزوج في دمشق ابنة قاضي قضاة المالكية بدمشق زين الدين أبي مُحَمَّد عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي المالكي (٥٨٩-٦٨١هـ) الذي ترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ .

أولاده:

المعلومات المؤكدة تشير إلى أنّه كان له ولدان وبنت.. أما البنت فهي زينب التي ذكر في "الفتوحات المكيّة" كرامة حصلت لها في طفولتها ولم تكن قد بلغت العامين من عمرها.. والولدان هما عماد الدين مُحَمَّد الكبير (كان فاضلًا سمع الكثير وسمع معنا صحيح مسلم على الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي، وتوفّي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة ٦٦٧هـ، ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيف على الخمسين) [3]

والثاني سعد الدين مُحَمَّد ولد في ملطية في شهر رمضان ٦١٨هـ ، سمع الحديث

---

[1] محاضرة الأبرار ص ٥٨

[2] أبو مُحَمَّد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ البغدادي كاتب وشاعر من بغداد عاش في القرن الخامس الهجري .

[3] الوافي بالوفيات ١ / ١٥٨

ودرس، وكان شاعرا مجيدا ، وله ديوان شعر مشهور توفي بدمشق ودفن عند قبر أبيه بسفح قاسيون .

حياته :

لم تكن ميوله في بادئ امره متجهة الى الزهد كما ستكون لاحقاً ... فقد كان قلبه مشغولاً بالصيد والآداب ... وسيذكر في شيخوخته سنوات طفولته وبداية شبابه التي أضاعها في رحلات الصيد في حقول قرمونة وبلمة ، ومعه الخيل والخدم .

يقول ابن عربي : مررت في سفري في زمان جاهليتي ومعي والدي وانا بين ما بين قرمونه وبلمة من بلاد الأندلس واذا بقطيع دحس ترعى وكنت مولعاً بصيدها ... وكان غلماني على بعدٍ مني ، ففكرت في نفسي وجعلت في قلبي اني لا أوذي واحد منها بصيد ، وعندما ابصرها الحصان الذي انا راكبه حيش اليها ، فمسكته عنها ورمحي بيدي الى ان وصلت اليها ودخلت بينها ، وربما مر سنان الرمح بأسنمة بعضها وهي في المرعى . فوالله ما رفعت رؤوسها حتى جرأتها . ثم اعقبني الغلمان ففرت الحمر امامهم وما عرفتُ سبب ذلك الى أن رجعت الى هذا الطريق ، اعني طريق الله فحينئذ علمت من نظري في المعاملة ما كان السبب) [1]

التحوّل :

إن الشيخ ابن عربي وهو يروي هذه الحادثة انما يريد ان يوصل رسالة في شرحه لما حصل فالحُمرُ أنست اليه رغم انه مرَّ بحصانه بينها حتى ان رمحه لامس او كاد ظهورها ، في حين جفلت وهربت من غلمانه ، والسر في ذلك ، والذي عرفه الشيخ بعد ان سلك الطريق هو ما يسميه (سر المعاملة) ، فحديث الفتى في نفسه او ما نواه من عدم اذيتها او ازعاجها قد وجد استجابة في نفس

[1] الفتوحات ٤ / ٧٠٠

الحيوان ، وان الأمان سرى من قلبه الى قلوبها .

وذاك يعني ان الشيخ في (جاهليته) لم يكن خالي الوفاض من بذور الخير التي ستنبت فيما بعد ، فبذور الولاية لا تنبت من فراغ .

وذاك ما ادركه الشيخ بعد انتقاله من مرحلة الخير بلا علم ، الى مرحلة الخير المؤسس على المعرفة .

ويتحدث الكثيرون عن رؤيا منامية رآها ابن عربي كانت تمثل حافزاً في تغيير مسار حياته .

فهو يحكي عن مرض ألمَّ به فأوصله حدَّ الموت ولم ينقذه منه سوى قراءة أبيه لسورة يس عند رأسه وهو في شبه غيبوبة من شدة المرض ، فرأى وهو في غيبوبته سورة يس تجسدت بشكل بشر جميل المظهر خاطبه وتحدث معه .

(مرضت فغُشي علي في مرضي، بحيث إني كنت معدودا في الموتى، فرأيت قوما كريهي المنظر، يريدون أذيتي، ورأيت شخصا جميلا طيب الرائحة شديدا يدافعهم عني حتى قهرهم، فقلت له من أنت؟ فقال أنا سورة يس أدفع عنك، فأفقت من غشيتي تلك وإذا بأبي رحمه الله عند رأسي يبكي، وهو يقرأ يس، وقد ختمها، فأخبرته بما شهدته، فلما كان بعد ذلك بمدة رويت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال اقرؤوا على موتاكم يس) [1]

ان هذه الإرهاصات في بدايات ابن عربي تؤشر للتحول الآتي وقد تكون مجتمعة ، أو إحداها ، او تكون مع غيرها من الأحداث هي التي أسست للتحوّل الظاهري في مسار ابن عربي والذي قاد الى ان يكون الشيخ الأكبر .

حين اتخذت حياة ابن عربي الصبيّ المنَعَّم مساراً مختلفاً انحاز فيه بكلّيته الى الزهد والانقطاع الى الله الذي قاده الى حال المعاينة والكشف والارتقاء الروحي.

وتظل اسباب هذا التغيّر في حياة الشيخ غير واضحة .

---

[1] هكذا تكلم ابن عربي ص ٣٦

هي بجوهرها جذبة ربانية واجتباء إلهي ، والله سبحانه وتعالى هو المسبب وهو يختار للولاية من يشاء ، لكن الأسباب الظاهرة والأسباب الدنيوية غير معروفة بدقة ... قد تكون رؤيا ظهرت له ، أو كانت تجربة مرض ألمَّ به في طفولته ، وربما غير ذلك ... المهم ان اكثر الباحثين في حياة الشيخ يكادون ان يتفقوا على تحديد ان التحوّل حدث في حياة الشيخ ابن عربي حوالي سنة :

(٦٨٠ هـ / ١١٨٤ م) حين بلغ سن العشرين .

كما يصرّح بذلك في فتوحاته حيث يقول :

(ونلت هذا المقام في دخولي هذه الطريقة سنة ثمانين وخمسمائة)[١]

الخطوة الأولى في التحول ..الخلوة والقران :

بَدَأ ابن عربي طريقه بالخلوة ، كان يختلي الى ربه يناجيه ويتعبده بأذكار قرآنية ، بلا شيخ او علم مستمد من قراءة في كتاب او معرفة مسبَّقَة ، هذا على الأقل ما كان الشيخ ابن عربي يردده دائماً ... ثُمَّ .. في مرحلة لاحقة كانت له لقاءات مع شيوخ التصوف ورجاله في الأندلس ، قبل رحيله خارج اشبيلية والتي ابتدأه سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩٢ م برحلةٍ الى تونس .

ولم يذكر شيخنا ابن عربي ان دخوله الخلوة كانت بتوجيه من شيخ ، لهذا فقد تكون نتيجة اجتهاد شخصي .

وعن الخلوة كانت للشيخ أخبار متناثرة في كتبه تحدث فيها عن خلوته أو بعض احداثها .. وهو ﷺ يتحدث عن الفتح والإلهام الذي يتأتى من الذكر المتضمن في الآية القرآنية فيقول :

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٢]

اعلم أيدنا الله وإياك بروح منه أن هذا الذكر لما وفقنا الله تعالى لاستعماله

---

[١] الاعلام من الفلاسفة ص ٣٠

[٢] سورة الأنعام / ٣٦

بإشبيلية من بلاد الأندلس سنة ست وثمانين وخمسمائة بقينا فيه ثلاثة أيام فرأينا له بركة في تلك الأيام وكنا به ثلاثة أنا وعبد الله النزهوني قاضي شرف وكان عبدا صالحا ضابطا فقيها وشخصا ثالثا من أهل البلد فجعل علة الإجابة السماع لا من قال إنه سمع وهو لم يسمع كما قال تعالى ينهانا أن نكون مثل هؤلاء فقال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فالسمع في هذا الذكر هو عين العقل لما أدركته الأذن يسمعها من الذي جاء به المترجم عن الله تعالى وهو الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى)[1]

ثم يتحدث بمواضع اخرى عن توحده في المقابر يقرأ القرآن ، فيقول مثلاً :

(يذكر الشيخ انه قرأ الآية القرآنية :

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [2]

يوم الجمعة بعد الصلاة في المقابر بإشبيلية سنة ٥٨٦ فبقيت فيها سكران ما لي تلاوة في صلاة ولا يقظة ولا نوم إلا بها ثلاث سنين متوالية ، أجد لها لذة وحلاوة لا يقدر قدرها)[3]

كان ﷺ يجلس لساعات وأيام في المقابر يقرأ القرآن ، وربما جلس يحاكي ويشرح لمن لا يراه غيره .

ولم تَرُق تلك الحال لمن لم يعهدها ، وهم كثيرون ، يقول الشيخ عن ذلك :

(ولقد كنت انقطعت في القبور منفرداً فبلغني ان شيخنا يوسف ابن يخلف الكومي قال : ان فلاناً ــ وسمّاني ــ ترك مجالسة الأحياء وراح يجالس الموتى .

---

[1] الفتوحات ٤ / ١٦٢

[2] سورة التوبة / ٢٤

[3] هكذا تكلم ابن عربي ص ٣٨

فبعثت اليه وقلت لو جئتني لرأيت من أجالس ... فطلبني فوجدني بين القبور قاعداً مطرقاً وانا أتكلم على من حضرني من الأرواح ، فجلس الى جانبي بأدب قليلاً قليلا ، فنظرت اليه فرأيته قد تغير لونه وضاق نفسه ، وكان لا يقدر ان يرفع رأسه من الثقل الذي نزل عليه وانا أنظر السه وابتسم ، فلا يقدر ان يبتسم لما هو فيه من الكرب .

فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد ، خفف عن الشيخ واستراح وردَّ وجهه اليَّ فقبَّل بين عيني ، فقلت له : يا استاذ من يجالس الموتى ؟ أنا ام أنت ؟ قال : لا والله بل انا اجالس الموتى ، والله لو طال عليَّ الحال لفطست . وانصرف وتركني ، فكان يقول : من أراد ان يعتزل عن الناس فليعتزل مثل فلان) [1]

لقاء ابن عربي مع الفيلسوف ابن رشد :

يرجع تاريخ اللقاء الى ما بين سنتي ٥٧٦ و ٥٧٨ وسن ابن العربي حينذاك قريباً من ١٧ سنة ، بينما سن ابن رشد حوالي ٥٧ سنة ، بعد تأليفه لكتاب الكشف عن مناهج الأدلّة بنحو ٣ سنوات.

وذلك للصداقة التي كانت بني ابن رشد وعلي بن العربي، والد محي الدين .

يقول الشيخ عن هذا اللقاء :

(دخلتُ يومًا بقرطبة، على قاضيها أبي الوليد بن رشد، وكان يرغب في لقائي لما سمع وبلغه ما فتح الله عَلَيَّ في خلوتي، وكان يُظهر التعجب مما سمع؛ فبعثني والدي إليه، في حاجة قصدًا منه؛ حتى يجتمع بي، فإنه كان من أصدقائه، وأنا صبي ما بَقَلَ وجهي، ولا طرَّ شاربي، فلما دخلتُ عليه قام من مكانه إِلَيَّ؛ محبَّةً وإعظامًا، فعانقني وقال لي: نعم؟ فقلت له: نعم؟ فزاد فرحه بي، لفهمي عنه، ثم استشعرتُ بما أفرحه من ذلك، فقلتُ له: لا؟ فانقبض وتغيَّر لونه، وشكَّ فيما عنده، وقال: كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهي، هل هو ما أعطاه

[1] الاعلام من الفلاسفة ص ٣٩

النظر؟ قلت له: نعم ولا، وبين نعم ولا تطير الأرواح؛ فاصفرَّ لونه، وقعد يحوقل، وعرف ما أشرتُ به إليه) [1]

وابن رشد كان يهدف في فلسفته إلى التوفيق بين الدين والفلسفة ، وله في ذلك محاولات وجولات، وقد نشد في مقابلته لمحيي الدين أن يطمئن، وأن يأخذ اعترافًا من رجل من رجال الدين والكشف، بأن القمَّة التي تصل إليها الفلسفة، هي بعينها غاية الدين وهدفه، وأن العقل يلتقي بالروح في خاتمة المطاف.

وأن ما ذهبتْ إليه الفلسفة من شرح للسنن الكونية، وتمثيل لقدرة الله سبحانه وآياته في خلقه، لا تتعارض مع الدين، بل تؤيده وتدعمه.

وقد قال محيي الدين في البداية: نعم، ففرح ابن رشد، ثم استدرك محيي الدين، فقال: لا، فحزن ابن رشد، وأراد توضيحًا، فقال: ... هل وجدتم الأمر في الكشف والفيض هو ما أعطاه النظر؟ فقال محيي الدين: نعم ولا.

نعم؛ لأن العقل قد يهدي إلى الله، ويدرك ويلمس أسرار الكون، ولكن العقل المجرد مع وصوله إلى تلك القمة، ينحدر وينزلق ويضل في المتشابهات، فضلًا عن ابتعاده عن التعبد والتطهر، وتحلله من الكمالات الخلقية والشرعية.

والعقل المجرد، ليس له قيد يعصمه، ولا حدٌّ يتفق عليه بين العقول، التي تتطاير حول المعارف مع الريح في شتى الاتجاهات والغايات؛ ولذلك قال له محيي الدين: وبين نعم ولا، تطير الأرواح.

ولم يكن هذا الاجتماع فاصلًا بين الرجلين العظيمين، ولا بين المدرستين المتناظرتين؛ فسعى ابن رشد إلى لقاءٍ آخر مع الصبي، الذي كبر بالخلوة، وتعلم في الجلوة، وتفوق وما بقل وجهه ولا طرَّ شاربه .

يقول الشيخ محيي الدين : وطلب ابن رشد من أبي بعد هذا الاجتماع أن يلتقي بنا ليعرض ما عنده علينا، لنرى هل هو يوافق أم يخالف، فإنه كان من أرباب

---

[1] الفتوحات المكية : ١ / ١٥٣

الفكر والنظر العقلي، فشكر الله الذي كان في زمانٍ رأى فيه مَنْ دخل خلوته جاهلًا، وخرج مثل هذا الخروج، من غير درس ولا بحث، ولا مطالعة ولا قراءة. وقال : (هذه حالة أثبتناها وما رأينا لها أربابًا؛ فالحمد لله الذي أنا في زمان فيه واحد من أربابها، الفاتحين مغاليق أبوابها، والحمد لله الذي خصني برؤيته) [1]

ولم يُسفِر اجتماعهما الثاني عن نتيجة ترضي ابن رشد، ولكن الرجلين أحب كل منهما الآخر وأجلَّه وأكبره.

ولم ينكر ابن رشد على محيي الدين علومه الكشفية، ولا طريقته في المعرفة والتلقي. بل حمد الله الذي مَنَّ عليه؛ فأوجده في زمانٍ فيه مثل محيي الدين، الذي دخل الخلوة جاهلًا وخرج منها إمامًا مرشدًا.

ولقد أطمع هذا الإيمان والحب محيي الدين في هداية ابن رشد، وجذبه إلى نطاق المتصوفة الراشدين؛ فأراد أن يجتمع به مرة أخرى، وأعدَّ عدَّة اللقاء، وَهَيَّأ الجو لما ينشد ويريد، ولكن الله أراد غير ما يريد.

يقول ابن عربي : (ولكن قبل أن ألتقي به أراه الله تعالى لي في منظر قد ضُرب بينه وبيني حجاب رقيق، فكنت أنظر إليه منه ولا يبصرني؛ فعلمتُ أنه غير مراد لما نحن عليه، فما اجتمعت به حتى درج في سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مراكش، ونُقل إلى قرطبة ودُفن بها.) [2]

كان حجاب رقيق، هو الذي يفصل ابن رشد عن محيي الدين. وهذا الحجاب الرقيق هو الفيصل بين الهدى والضلال ، والرضا والغضب ، والإعراض والاصطفاء ، أو كما يقول محيي الدين: بين نعم ولا تطير الأرواح، وما أيسر ما بينهما وما أعظمه .

إن لقاء ابن العربي بابن رشد يؤكد صراحة عدم رغبة الشيخ الأكبر في تلقي

---

[1] الفتوحات المكية ١ / ١٥٤

[2] الفتوحات المكية ١ / ١٥٤

العلوم التي كان يدرسها ابن رشد لاعتمادها على العقل والتي لا تقارن بما كان فيه من حال أصبح خلالها مهيأ لتلقي الفيوض الربانية والمعارف اللدنية ، وانه ﷺ بالمقام الذي لا يعول فيه ابن العربي على العقل ليفهم ولا إلى
المنطق ليسترشد، ولا إلى الفلسفة ليكتشف ما جسده خلال لقائه بابن رشد.
وتلك فترة دقيقة حاسمة في حياة الفتى محيي الدين، فهو صريح كل الصراحة في أنه دخل الخلوة صغيرًا لم يطر شاربه ، دخلها بدون قراءة ولا مطالعة ، إلا أيسر ما تكون القراءة والمطالعة؛ فرَشد وأُلهِم، وتعلم من لدن ربه الوهاب علمًا أخذ يزداد مع أنفاسه، ويترقَّى مع تسبيحاته، حتى بلغ من علم ربه ما قُدِّرَ له، وحتى تمَّتْ له الزعامة التي لا تُطاول ولا تُغالب في علوم الإيمان وفيوضات القلب .

اللقاء بأحد الأبدال :

وبعد ذلك بسنوات وفي حدود سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م قام صوفي شهير يدعى موسى البيدراني وهو من الأبدال ، قام برحلة الى اشبيلية بقصد الإتصال بابن عربي والإفادة من تعاليمه ومعرفته رغم انه لم يكن قد تجاوز السادسة والعشرين من عمره .
يقول ابن عربي :
(وكنا قد رأينا منهم (الأبدال السبعة) موسى البيدراني بأشبيليه سنة ست وثمانين وخمسمائة وصل الينا بالقصد واجتمع بنا) [١]
(وهذه الواقعة تدلل على انه حينما تحول الى طريق التصوف عكف على قراءة كتب المتصوفين وعلى الاجتماع بشيوخهم ، وما أكثر ما صرَّح ابن عربي بأنه

[١] سلسلة الأعلام الفلاسفة ص ٣٦ و جامع كرامات الأولياء ١ / ٥٩

تلقى التصوف عنهم خلال اقامته في اشبيلية فموسى بن عمران الميرتلي لقنه كيف يتلقى الإلهامات الإلهية) [1]

لقاءاته بشيوخ الصوفية :

تتلمذ ابن عربي على كل من عاصر ومن لم يعاصر من شيوخ التصوف ورجاله ، كان شديد الحرص على الوصول فسلك كل طريق يمكن ان يوصله ، وسعى الى الله تعالى من كل باب يمكن ان يطرقه او ان يُفتح له .

فيقول عن ابي عمران موسى بن عمران الميرتلي (شيخنا) ، كما جاء في الفتوحات :

(سمعت شيخنا ابا عمران موسى بن عمران الميرتلي بمنزله بمسجد الرضي بأشبيليه وهو يقول للخطيب أبي القاسم بن عفير ، وقد انكر ابو القاسم ما يذكر اهل هذه الطريقة : يا ابا القاسم لا تفعل فإنك ان فعلت هذا جمعت بين حرمانين لا نرى ذلك من نفوسنا ولا نؤمن به وما ثمَّ دليلٌ يرده ولا قادح يقدح فيه شرعاً وعقلاً) [2]

وقال : لقيت واحدا منهم (وهو يتحدث عن الثلاثة الذين أهلهم الله للسعي في حوائج الناس وقضائها عند الله) بإشبيلية وهو من أكبر من لقيته ، يقال له موسى بن عمران سيد وقته) [3]

وكذلك يشير اليه في مواضع اخرى كثيرة .

كما يتحدث عن شيخ آخر من شيوخه له قدرة على الاتصال بالأرواح ، حيث يقول عن لقائه به : (وهو يتحدث عن الأقطاب المدبرين من الفرقة الثانية الركبانية ويذكر جماعة منهم : ابو الحجاج الشبربلي وهو من قرية يقال لها

---

[1] سلسلة الأعلام الفلاسفة ص ٣٣

[2] الفتوحات ٢ / ٨

[3] الفتوحات ٢ / ٢٣٤

شبربل بشرق أشبيلية كان ممن يمشي على الماء وتعاشره الأرواح . وما من واحد من هؤلاء إلا وعاشرته معاشرة مودة وامتزاج ومحبة منهم فينا) [1]

وقال ايضاً : (ولقيت جماعة على ذلك من شيوخنا منهم ابو الحجاج الشبربلي بأشبيليه وكان كثيراً ما يقرأ القران في المصحف اذا خلا بنفسه) [2]

وفي نفس الوقت كان ابن عربي يغشى جماعة من الشيوخ الآخرين منهم يوسف الكومي الذي أشاد ابن عربي بعلمه فقال :

(وكان شيخنا أبو يعقوب يوسف بن يخلف الكومي يقول بيننا وبين الحق المطلوب عقبة كؤود ونحن في أسفل العقبة من جهة الطبيعة فلا نزال نصعد في تلك العقبة حتى نصل إلى أعلاها فإذا استشرفنا على ما وراءها من هناك لم نرجع فإن وراءها ما لا يمكن الرجوع عنه) [3]

وتلقى ابن عربي عن شيخين متخصصين في عملية محاسبة الضمير يومياً وهما : ابو عبد الله بن المجاهد و ابو عبد الله بن قيسوم وكانت طريقتهما المحاسبة على الأفعال والأقوال فأضاف اليها ابن عربي المحاسبة على الخواطر .

يقول ابن عربي في هذا :

(والصوفية الحقيقيون هم الذين تحققوا أن الأعمال ليست مطلوبة لأنفسها ، وإنما هي من حيث ما قصد بها وهي النية في العمل ، كالمعنى في الكلمة، فإن الكلمة ما هي مطلوبة لنفسها، وإنما هي لما تضمنته.

فانظر اخي ما أدق نظر هذه الطائفة ، وهذا هو المعبر عنه بمحاسبة النفس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم حاسبوا انفسكم قبل ان تُحاسَبوا ، ولقيت من هؤلاء الرجال اثنين هما عبد الله بن المجاهد وابو عبد الله بن قيسوم بأشبيلية

---

[1] سلسلة الأعلام الفلاسفة ص ٣٤

[2] الفتوحات ١ / ٣٢٧

[3] الفتوحات ١ / ٢٥١

كان هذا مقامهما وكان من اقطاب الرجال النباتيين فشرعنا في هذا المقام تأسياً بهما وبأصحابهما)[1]

وتمضي رحلة الولوج الى عالم التصوف بإبن عربي بعيداً فيلتقي بالكثير الكثير من شيوخ التصوف ، يؤثِر فيهم ويتأثر بهم ... وهو يروي عن الكثيرين في كتابه الفتوحات المكية .

لقاءه بالشيخ ابو العباس العريتي :

بذكر الشيخ ابن عربي ان من اوائل الشيوخ الذين اتصل بهم وتعلم منهم الشيخ ابو العباس .

(وَصِلَة الشيخ ابن عربي بالشيخ ابي العباس من أشد الصلات تأثيراً في تكوين روحه ، وهي الأثبت ...(واصله من العلياء LOULE في البرتغال) وقد حضر الى اشبيلية لإعداد الشباب الذين يرغبون بالتوجه الى الله عن طريق الزهد والتصوف ، وكانت تعاليمه تقوم في جوهرها على نكران الإرادة وقطع العلاقة إلا مع أهل الله)[2]

وقد أشار ابن عربي اليه عدة مرات في الفتوحات كمرشده الروحي فيتحدث عن مواهبه مرات او يتحدث عنه عرضاً مرات أخرى .

فمن ذلك قوله ﷺ : (كنت قاعدا يوما بإشبيلية بين يدي شيخنا في الطريق أبي العباس العريني من أهل العلياء بمغرب الأندلس فدخل عليه رجل فوقع ذكر المعروف والصدقة فقال الرجل الله يقول الأقربون أولى بالمعروف فقال الشيخ على الفور إلى الله فما أبردها على الكبد)[3]

وقال في موضع آخر : (وقد كان شيخنا ابو العباس المغربي من العلياء من

---

[1] الفتوحات ١/ ٢٧٥

[2] انظر سلسلة الأعلام الفلاسفة ص ٤٠

[3] الفتوحات ٣ / ٥٣٢

غرب الأندلس ، وهو اول شيخ خدمته وانتفعت به ، له قدم راسخ في هذا الباب باب العبودية)[1]

كما انه يبين فرق الشيخ ابو عباس وبين غيره من الشيخ حين يروي انه :

(ولقد اتفق لي في بدايتي وما ثم إلا بداية وأما النهاية فمقولة غير معقولة دخلت على شيخنا أبي العباس العريني وأنا في مثل هذه الحال وقد تكدر على وقتي لما أرى الناس فيه من مخالفة الحق فقال لي صاحبي عليك بالله فخرجت من عنده ودخلت على شيخنا أبي عمران الميرتلي وأنا على تلك الحالة فقال لي عليك بنفسك فقلت له يا سيدنا قد حرت بينكما هذا أبو العباس يقول عليك بالله وأنت تقول عليك بنفسك وأنتما إمامان دالان على الحق فبكى أبو عمران وقال لي يا حبيبي الذي دلك عليه أبو العباس هو الحق وإليه الرجوع وكل واحد منا دلك على ما يقتضيه حاله وأرجو إن شاء الله أن يلحقني بالمقام الذي أشار إليه أبو العباس فاسمع منه فإنه أولى بي وبك فما أحسن إنصاف القوم فرجعت إلى أبي العباس وذكرت له مقالة أبي عمران وقال لي أحسن في قوله هو دلك على الطريق وأنا دللتك على الرفيق فاعمل بما قال لك وبما قلته لك فتجمع بين الرفيق والطريق وكل من لا يصحب الحق في سفره فليس هو على بينة من سلامته فيه وكل من تورع بغير علامة له من الله في الأشياء وما ثم حكم معين في ذلك الأمر من رؤية معاملة خاصة مشاهدة في الوقت تقتضي الحرام أو الشبهة فصاحب هذا الورع مخدوع مقطوع به عن الله)[2]

إن الإمام أبو العباس العريني، شيخ ابن عربي ، أحد فحول أصحاب الأحوال والأنفاس، وطبَّق عليه شيخه شرعة الطريق، غير عابئ ولا ملتفت إلى علوم محيي الدين ومعارفه؛ ولهذا كان يجمح محيي الدين أحيانًا، بل ويتمرَّد على ما

---

[1] سلسلة الأعلام الفلاسفة ص٤٢

[2] الفتوحات ٢ / ١٧٧

اصطُلِح عليه من تسليم المريد المطلق لشيخه وهاديه لوثوقه من علمه وتمكُّنه من معارفه.

(وذلك أن شيخنا أبا العباس العُرَيْني جرتْ بيني وبينه مسألة في حق شخص، كان قد بَشَّرَ بظهوره رسول الله صلوات الله عليه فقال لي: هو فلان ابن فلان. وَسَمَّى لي شخصًا أعرفه باسمه وما رأيته، فتوقفتُ فيه ولم آخذ بالقبول؛ لكوني على بصيرة في أمره؛ فتأذَّى الشيخ في باطنه، ولم أشعر بذلك فإني كنتُ في بداية أمري، فانصرفت عنه إلى منزلي، ولما كنت في الطريق بسوق الحنة بإشبيلية لقيني شخصٌ لا أعرفه، فَسَلَّم عَلَيَّ ابتداء سلام محب مشفق، وقال لي: يا مُحَمَّد، سَلِّم إلى الشيخ مقالَه فيما ذكر لك عن فلان، وَسَمَّى لي الشخص الذي ذكره أبو العباس؛ فقلتُ له: نعم. وعلمتُ ما أراد، ورجعتُ من حيني إلى شيخي؛ لأُعرِّفه بما جرى، فعندما دخلت عليه كلمني قبل أن أكلمه. قال لي: يا أبا عبد الله، أحتاج معك إذا ذكرتُ لك مسألة يقف خاطرك عن قبولها إلى أن الْخَضِر يتعرَّض إليك، ويقول: سَلِّم لفلان فيما ذكره لك، ومن أين يتفق لك هذا في كل مسألة تسمعها مني فتتوقف؟ قلتُ: أهو الْخَضِر؟ قال: نعم. قلتُ: إن باب التوبة مفتوح. فقال: وقبول التوبة واقع. فلما كان بعد مدة رأيتُ شيخي قد رجع إلى قولي في تلك المسألة، وقال لي: إني كنتُ على غلط في تلك المسألة؛ فقلت له: يا سيدي، علمت الساعة أن الْخَضِر ما أوصاني إلا بالتسليم، وما عَرَّفني بأنك مصيب في تلك الحالة؛ ولكن التسليم واجب) [1]

يحكي الشيخ في سيرته في طريق التصوف عن اللطف الرباني والرحمة المستديمة التي خصَّه الله تعالى بها فيقول ان بدايته في الطريق كانت من النقطة التي انتهى اليها شيخه (كان شيخنا ابو العباس العريني عيسوياً في نهايته ، وهي بدايتنا ـ أعني نهاية شيخنا في هذا الطريق كانت عيسوية ـ ثم نقلنا الى الفتح الموسوي

[1] الفتوحات ١ / ٢٤١

الشمسي ، ثم بعد ذلك نقلنا الى هود عليه السلام ، ثم بعد ذلك نقلنا الى جميع النبيين عليهم السلام ، ثم بعد ذلك نقلنا الى مُحَمَّد ﷺ ، هكذا كان أمرنا في هذا الطريق) [1]

وهذا يعني ان نقطة البداية كانت متقدمة جداً مقارنة بشيخه وهذا يقود لعلاقة النديَّة بين ابن عربي وشيخه رغم التسليم والاحترام .

مع الشيخ ابو يعقوب الكومي :

وكما كانت علاقته بشيخه العريني علاقة تحمل الكثير من ملامح النديّة يؤكد شيخنا ابن عربي ان علاقته بشيخه ابو يعقوب يوسف بن يخلف الكومي والتي بدأت عام ٥٨٦ كانت علاقة تفاعل لا مجرد علاقة استلام وتقبُّل ،وهو يقول : (ما راضني احد من مشايخي سواه ، فانتفعت به في الرياضة وانتفع بي في مواجيده ،فكان لي تلميذاً واستاذاً وكنت له مثل ذلك ، وكان الناس يتعجبون من ذلك ولا يعرف أحد منهم سبب ذلك ، وذلك سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فكان قد تقدَّم فتحي على رياضتي وهو مقام خطر ، وأفاء الله على تحصيل الرياضة على يد هذا الشيخ جزاه الله كل خير) [2]

و يحدثنا شيخنا محيي الدين عن شيخه الفقيه العابد يوسف الكومي، فيقول: (سألني شيخي يوسف الكومي سنة سِتٍّ وثمانين وخمسمائة عن مسألة من مشكلات التصوف فقال:

إذا اجتمع عارفان في حضرة شهودية عند الله تعالى ما حكمها ؟

قلت: يا سيدي ، هذه مسألة تُفْرَضُ ولا تقع؛ لأن الحضرة لا تسع اثنين، ولا تشهدها عين زائدة، فإن افترضناها مثالًا، فإذا اجتمعا فلا يخلو كل واحد منهما أن يجمعهما مقام واحد أو لا يجمعهما، ثم حكم التجلي من حيث الظهور

---

[1] هكذا تكلم ابن عربي ص ٣٨

[2] هكذا تكلم ابن عربي ص ٣٨

واحد، ومن حيث المتجلَّى له مختلف؛ فالتذوق متباينٌ لاختلافهما في أعيانهما، ولا يجتمع شهود وخطاب وتجلٍّ ورؤية غير.)[1]

مع الشيخ ابو مُحَمَّد بن عبد الله :

وكان شيخه الثالث ، أبو مُحَمَّد بن عبد الله ، ذروة مرموقة في علوم الكشف ، ويحدثنا عنه فيقول: (دخلت على شيخنا أبي مُحَمَّد بن عبد الله بغرناطة سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وهو من أكبر مَنْ لَقِيتُه في هذا الطريق، ولم أرَ في طريقته مثله في الاجتهاد، وكان مِمَّنْ أوتوا فهمًا في القرآن إرثًا مُحَمَّديًّا، فقال لي: الرجال أربعة:

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهم رجال الظاهر.

ورجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وهم رجال الباطن، جلساء الحق تعالى ولهم المشورة.

ورجال الأعراف، وهم رجال الحد، قال الله تعالى: وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ، وهم أهل الشم والتميز والسراح عن الأوصاف، فلا صفة لهم، كان منهم أبو اليزيد البسطامي.

ورجال إذا دعاهم الحق يأتونه رجالًا لسرعة الإجابة لا يركبون. قال تعالى: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا، وهم رجال المطلع.

فرجال الظاهر لهم التصرف في عالم الْمُلْك والشهادة، وأما رجال الباطن؛ فهم الذين لهم التصرف في عالم الغيب والملكوت؛ فيستنزلون الأرواح العلوية بهممهم فيما يريدونه. أعني أرواح الكواكب لا أرواح الملائكة، فيفتح لهؤلاء الرجال في باطن الكتب المنزلة والصحف المطهرة وكلام العالم كله، ونظم الحروف والأسماء من جهة معانيها، ما لا يمكن لغيرهم؛ اختصاصًا إلهيًّا.

وأما رجال الحد: فهم الذين لهم التصرف في عالم الأرواح النارية، وهو عالم البرزخ

---

[1] محي الدين بن عربي ص ٢٩

والجبروت، وهم رجال الأعراف، والأعراف سُور حاجز بين الجنة والنار، برزخ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبله العذاب؛ فهو حدٌّ بين دار السعداء ودار الأشقياء، وهؤلاء الرجال أسعد الناس بمعرفة هذا السور، ولهم في كل حضرة دخول واستشراف.

وأما رجال المطلع؛ فهم الذين لهم التصرف في الأسماء الإلهية؛ فيستنزلون بها منها ما شاء الله، وهذا ليس لغيرهم، ويستنزلون بها كل ما هو تحت تصرف الرجال الثلاثة، وهم أعظم الرجال، وهم «الملامتية». وكان محيي الدين منهم.)[1]

انتقال الشيخ من حال الإيمان المبني على التقليد الى حال المعاينة والكشف:

يقول ﷺ عن حاله مع الله :

(ولقد آمنا بالله وبرسوله وما جاء به مجملا ومفصلا مما وصل إلينا من تفصيله وما لم يصل إلينا أو لم يثبت عندنا فنحن مؤمنون بكل ما جاء به في نفس الأمر أخذت ذلك عن أبوي أخذ تقليد ولم يخطر لي ما حكم النظر العقلي فيه من جواز وإحالة ووجوب فعملت على إيماني بذلك حتى علمت من أين آمنت وبماذا آمنت وكشف الله عن بصري وبصيرتي وخيالي فرأيت بعين البصر ما لا يدرك إلا به ورأيت بعين الخيال ما لا يدرك إلا به ورأيت بعين البصيرة ما لا يدرك إلا بها فصار الأمر لي مشهودا والحكم المتخيل المتوهم بالتقليد موجودا فعلمت قدر من اتبعته وهو الرسول المبعوث مُحَمَّد ﷺ وشاهدت جميع الأنبياء كلهم من آدم إلى مُحَمَّد صلى عليهم وسلم وأشهدني الله تعالى المؤمنين بهم كلهم حتى ما بقي منهم من أحد ممن كان ويكون إلى يوم القيامة خاصهم وعامهم ورأيت مراتب الجماعة كلها فعلمت أقدارهم واطلعت على جميع ما آمنت به مجملا مما هو في العالم العلوي وشهدت ذلك كله فما زحزحني علم ما رأيته

[1] محي الدين بن عربي ص ٣٠

وعاينته عن إيماني فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله وأعمله لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا لعلمي ولا لعيني ولا لشهودي فواخيت بين الايمان والعيان وهذا عزيز الوجود في الاتباع فإن مزلة الاقدام للأكابر إنما تكون هنا إذا وقعت المعاينة لما وقع به الايمان فتعمل على عين لا على إيمان فلم يجمع بينهما ففاته من الكمال أن يعرف قدره ومنزلته فهو وإن كان من أهل الكشف فما كشف الله له عن قدره ومنزلته فجهل نفسه فعمل على المشاهدة والكامل من عمل على الايمان مع ذوق العيان وما انتقل ولا أثر فيه العيان وما رأيت لهذا المقام ذائقا بالحال وإن كنت اعلم أن له رجالا في العالم لكن ما جمع الله بيني وبينهم في رؤية أعيانهم وأشخاصهم وأسمائهم فقد يمكن أن أكون رأيت منهم وما جمعت بين عينه واسمه وكان سبب ذلك أني ما علقت نفسي قط إلى جانب الحق أن يطلعني على كون من الأكوان ولا حادثة من الحوادث وإنما علقت نفسي مع الله أن يستعملني فيما يرضيه ولا يستعملني فيما يباعدني عنه وأن يخصني بمقام لا يكون لمتبع أعلى منه ولو أشركني فيه جميع من في العالم لم أتأثر لذلك فإني عبد محض لا أطلب التفوق على عباده بل جعل الله في نفسي من الفرح أني أتمنى أن يكون العالم كله على قدم واحدة في أعلى المراتب فخصني الله بخاتمة أمر لم يخطر لي ببال فشكرت الله تعالى بالعجز عن شكره مع توفيتي في الشكر حقه وما ذكرت ما ذكرته من حالي للفخر لا والله وإنما ذكرته لأمرين الأمر الواحد لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأية نعمة أعظم من هذه والأمر الآخر ليسمع صاحب همة فتحدث فيه همة لاستعمال نفسه فيما استعملتها فينال مثل هذا فيكون معي وفي درجتي فإنه لا ضيق ولا حرج في المحسوس)[1]

ويحدثنا محيي الدين عن علمه الموهوب وعن مصدره فيقول : (وأنا أستمد علمي من كلمات الله التي لا تنفد: قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ

[1] الفتوحات المكية ٣/ ٣٢٣

الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي، وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ) [1]

ويقول : لو أن علمه كان نتيجة بحث أو فكر لحصر في أقرب فرصة، ولكنهما موارد الحق تبارك وتعالى تتوالى على قلب العبد، وأرواح البررة تتنزل عليه من عالم غيبه برحمته التي مِن عنده، وعلمه الذي مِن لدنه، والحق تعالى وهَّاب على الدوام، فَيَّاض على الاستمرار، والقلب البشري قابل على الدوام للتلقي والترقي.

اللقاء بالخضر مرة أخرى :

والتقى محيي الدين بالْخَضِر مرة أخرى؛ حينما كان مع شيخه الإمام جرَّاح بن خميس، ويحدثنا محيي الدين عن هذا اللقاء فيقول: (ثم اتفق لي مرة أخرى أني كنت في مركب في البحر، فأخذني وجعٌ في بطني، وأهل المركب قد ناموا، فقمتُ إلى جانب السفينة، وتطلعت إلى البحر، فرأيت شخصًا على بُعْد في ضوء القمر، وكانت ليلة البدر، وهو يأتي على وجه الماء حتى وصل إِلَيَّ ووقف معي، ثم تكلم معي بكلام كان عنده، ولقَّنَنِي أشياء وأشياء، ثم سَلَّمَ وانصرف يطلب المغارة مائلًا نحو تلٍّ على شاطئ، بيننا وبينه مسافة تزيد على ميلين، فقطع تلك المسافة في خطوتين أو ثلاث، فسمعتُ صوتَه وهو على ظهر المغارة يسبح الله، وربما مشى إلى شيخنا جراح بن خميس الكتاني، وكان من سادات القوم، وكنت جئتُ من عنده بالأمس من ليلتي تلك، فلما جئت المدينة لقيتُ رجلًا صالحًا، فقال لي: كيف كانت ليلتك البارحة في المركب مع الْخَضِر ؟ ما قال لك وما قلت له؟ فعلمتُ أنه الْخَضِر)[2]

الشيخ الإمام :

وتأذَّن ربُّك لمحيي الدين بالانتقال إلى مرتبة الشيخ والإمام، وآنَ له أن يُشرق في

---

[1] محي الدين بن عربي ٣٥

[2] الفتوحات ١ / ١٨٦

أفق جديد رحب، وأن يغادر ركب المريدين إلى طلائع المرشدين.

يقول محيي الدين: (ولقد أنعم الله عَلَيَّ ببشارة عظمى بَشَّرني بها، وكنتُ لا أعرفها من حالي وكانت حالي، فأوقفني عليها الإمام خليفة القطب، فقد نهاني عند التقائي به عن الانتماء إلى مَنْ لقيت مَن الشيوخ. وقال لي: لا تَنْتَمِ إلا إلى الله؛ فليس لأحدٍ مِمَّنْ لقيتَه عليك يدٌ مما أنت فيه، بل الله تولاك برعايته وعنايته، فاذكر فضل مَنْ لاقيتَ إن شئت، ولا تنتسب إلا إلى الله)[1]

وبذلك دخل في نطاق الذين أَدَّبهم ربهم واجتباهم، وهم قِلَّة في الطريق لا يتجاوزون الآحاد، بل وضع قدمه على أول الطريق إلى القمة العلمية الربانية، وهي شِرْعة هو صاحبها وربانها وإمامها الأوحد.

وكما اصطفاه الله في مطلع حياته مع شيوخه؛ فأرسل الْخَضِر إليه مرشدًا ومربيًّا، كذلك حَفَّه برحمته في مطلع إفاضات الأسرار اللدنية عليه، فقد باح أول أمره بسرٍّ من أسرار المحب، وهي إباحة قلَّما نجا من عواقبها مُرادٌ أو مريد، يحدثنا عنها فيقول: (ولقد منحني الله سِرًّا من أسراره بمدينة فاس سنة أربع وتسعين وخمسمائة، فأذعتُه فإني ما علمت أنه من الأسرار التي لا تُذاع؛ فَعُوتبتُ فيه من المحبوب، فلم يكن لي جواب إلا السكوت. إلا أني قلت: تولَّ أنت أمر ذلك فِيمَنْ أودعتَه إياه، إن كانت لك غَيْرة عليه؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وكنتُ قد أودعتُه نحوًا من ثمانية عشر رجلًا، فقال لي: أنا أتولَّى ذلك، ثم أخبرني أنه سلَّه من صدورهم وسلبهم إياه، فالحمد لله؛ حيث لم يعاقبني بالوحشة والحرمان، كما عُوْقِبَ غيري)[2]

الشيخ والمقامات :

كانت العناية الربَّانية تعدّه في رحمتها لرسالة ستتكشف مع الأيام ،

---

[1] محي الدين بن عربي ص ٢٩

[2] محي الدين بن عربي ص ٢٩ – ٣٠

وتأتي بها الأنباء.

ورجال القلوب والأنفاس والعلماء الربَّانيون كمحيي الدين، الحديث عنهم حديث قلب وروح وإيمان، والعوامل التي تُكَوّنهم هي: الأنوار، والإشراقات، والتجليات الربانية ، والتقلب في أسرار الأحوال، ومنح المقامات، وما تفيض به على أربابها من كشف وعلوم.

ولقد خاض محيي الدين في الطريق إلى الله، بحار تلك الأحوال، وارتقى قَمم تلك المقامات ونَعِمَ بعطاياها، وذاق ثمارها وريَّاها، وتحدث عنها، وكشف منها ما أُمر بحفظه، وما كشف منها محيي الدين عطية لم تُمنح لسواه، هي تراث من العلوم يسع علماء الدنيا قروناً وأجيالا يتدارسونها ، وينتفعون وينفعون بها .

والمقامات الإلهية بكنوز علومها أحصاها محيي الدين؛ فبلغت ستين ألفاً من المقامات والأحوال الربانية، ويتحدث عن نفسه فيقول : (قد دخلنا في كل ما ذكرناه في هذه الإمدادات الإلهية ذوقًا مع عامة أهل الله، وزدنا عليهم باسم إلهي وهو الآخر أخذنا منه الرياسة وروح الله الذي يناله المقربون من قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيم ﴾، ونلت هذا المقام في دخول هذه الطريقة سنة ثمانين وخمسمائة) [1]

وتلك السنة التي ذكرها محيي الدين تدل على أنه بلغ تلك المكانة، ولم يتجاوز العشرين من عمره، وفي تلك السن المبكرة ، أخذ يجتاز تلك المقامات سريعاً نحو العلا.

ويمضي بالترقي وهو بعين العناية الإلهية حتى يصل بفضل الله ومنَّته مرتبة في الكشف والعلم، والنفث في الروع، والإمداد، والفيض الإلهي يقول عنها :

(إن جميع ما أكتبه في تأليفي ليس عن رِويَّة وفكرٍ ؛ وإنما هو عن نفث في روعي على يد ملَك الإلهام.)

---

[1] محي الدين بن عربي ص ٢١

قاله في الباب السادس والستين وثلاثمائة من فتوحاته المكيَّة .

ويقول في الباب الثلاثمائة والثلاث والسبعين منها :

(وجميع ما كتبته وأكتبه في هذا الباب؛ إنما هو من إملاء إلهي وإلقاء رباني، أو نفث روحاني في روح كياني؛ كل ذلك بحكم الإرث للأنبياء، والتبعية لهم، لا بحكم الاستقلال)

وهو ﷺ يُرجِع الفضل في كل شيء الى الله والى التمسّك بكتابه وشرعه .

فيقول في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات المكية جميع ما أتكلم به في مجالسي وتآليفي إنما هو من حضرة القرآن العظيم فإني أعطيت مفاتيح العلم فلا أستمد قط في علم من العلوم إلا منه كل ذلك حتى لا أخرج من مجالسة الحق تعالى في مناجاته بكلامه أو بما تضمنه كلامه ، وقال في الكلام على الآذان من الفتوحات : اعلم أني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا ولا غيره قط أمراً غير مشروع، وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء من تصانيفي .

كل هذا كان بعد خلصت نفسه من ظلمات المادية وتجرَّدَ عن الشهوات وصفت روحه وتطهرت في محراب الطاعات والإخلاص وأفنى روحه في مناجاة المحبة فرضي الله عنه وأحبه ، فطهَّره وزكّاه وأفاض عليه من كَرَمِه .

والشيخ الأكبر في كل هذا وما بعده يظل متمسّكاً بالأدب العالي مع الله سبحانه ، واعياً ان كل ما يمكن ان يتحصّل عليه العبد أو يبلغه من علمٍ فإنما هو عطيَّة من الله الوهاب سبحانه وتعالى . .. على أساس أن الإنسان عاجز عن تحصيل جميع المعارف او بعضها ، لأنه جاهل على الدوام ، إلّا من يتغمَّده الله برحمته وفضله ، لذا ساق الشيخ الأكبر مثال السيد "الخضر وموسى" عليه السلام (لما رأى الطائر وقع على حرف السفينة ونقر في البحر بمنقاره فسأل السيد الخضر موسى عليه السلام أتدري ما يقوم هذا الطائر في نقره في الماء؟

قال موسى عليه السلام لا أدري قال الخضر: يا موسى يقول هذا الطائر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا ما نقص من هذا البحر منقاري)[1]

كتابه الى فخر الدين الرازي :

للشيخ ابن عربي في التصوف مكانة عليا فهو للطريق علامة وضوء يهتدي السائر به، ولا يرشد إلا بنوره، إنه علم المعلم العقلي، والمربي المدرسي، فوظائفه فوق التعليم والتلقين، مراقبة القلب والخواطر والواردات... وقَدْرَه المعروف لا يقتصر على رجال التصوف وشيوخه بل يتعداه الى علماء الفقه ورجال التفسير والأدب ، فقد ورد انه كتب محيي الدين، إلى فخر الدين الرازي ، الإمام العلاَّمة صاحب التفسير المعروف والشيخ فخر الدين الرازي مذكور في العلماء الذين انتهت إليهم الرياسة في الاطلاع على العلوم ، رسالة يُبَيِّن له فيها نقص درجته في العلم عن أهل الله: (اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ، فإن كان علمه مستفادًا من نقل أو شيخ، فما برح عن الأخذ من المحدثات، وذلك معلول عند أهل الله عز وجل، ومن قطع عمره في معرفة المحدثات وتفاصيلها، فاته حظه من ربه عز وجل؛ لأن العلوم المتعلقة بالمحدثات يُفني الرجل عمره فيها ولا يبلغ إلى حقيقتها، ولو أنك يا أخي سلكتَ مسلك أهل الله عز وجل لأوصلك الله تعالى إلى حضرة شهوده؛ فتأخذ عنه العلم وما أدراك ما هذا العلم الذي من رجاله الْخَضِر عليه السلام)[2]

موقفه من القول بالاتحاد والحلول :

حتى تكون الصورة واضحة وبحجمها الحقيقي ، وبغية الوصول الى فهم واقعي ومنصف من موقف الشيخ الأكبر من مسألة الاتحاد والحلول ، فلابد ان نقف

---

[1] الفتوحات ٤ / ١١٧

[2] الطبقات الكبرى للشعراني لوافح الانوار في طبقات الاخيار ١/ ٥

بِدءً على فهمه وعقيدته الإلهية في ذات الله سبحانه وتعالى ، والتي شرحها الشيخ مفصلاً في مقدمة كتابه الفتوحات حيث قال :

(فيا إخوتي ويا أحبائي، رضي الله عنكم، أَشْهَدَكم عبدٌ ضعيفٌ مسكين، فقير إلى الله تعالى في كل لحظةٍ وطرفةٍ، وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه، أَشْهَدَكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته وَمَنْ حضره من المؤمنين وسمعه، أنه يَشهَد قولًا وعقدًا أن الله تعالى إلهٌ واحد لا ثاني له في ألوهيته، مُنَزَّه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، مَلِك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى مُوجِد يُوجِده، بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده؛ فالعالم كله موجود به وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه، بل وجود مطلق غير مقيد قائم بنفسه، ليس بجوهر متحيّز فيقدَّر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء، مُقَدَّس عن الجهات والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار، إذا شاء استوى على عرشه كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما سواه به استوى، وله الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول، ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان، ولا يُقِلُّه مكان، بل كان ولا مكان، وهو على ما عليه كان، خلق المتمكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال: أنا الواحد الحي، لا يئوده حفظ المخلوقات، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات.

تعالى أن تحلَّه الحوادث، أو يحلها، أو تكون بعده، أو يكون قبلها، بل يقال: كان ولا شيء معه، فإن القَبْل والبَعْد من صيغ الزمان الذي أبدعه؛ فهو القيوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا يُرام، ليس كمثله شيء، خلق العرش وجعله حدَّ الاستواء، وأنشأ الكرسي وأوسعه الأرض والسموات العلى، اخترع اللوح والقلم الأعلى، وأجراه كاتبًا بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله

على غير مثال سبق، وخلق الخلق وأخلق الذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء، وسخَّر لنا ما في السموات ما في الأرض جميعًا منه؛ فلا تتحرك ذرة إلا إليه وعنه، خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه؛ لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق؛ فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو على كل شيء قدير، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئًا هو خلقه؟! أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؟ علم الأشياء منها قبل وجودها، ثم أوجدها على حدِّ ما علمها، فلم يزل عالمًا بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها، وبه حكم عليها مَنْ شاء وحكمها، علم للكليات على الإطلاق، كما علم الجزئيات بإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق، فهو عالم الغيب والشهادة؛ فتعالى الله عَمَّا يشركون)

وواضح ان تأكيد الشيخ الأكبر على بطلان القول بالحلول والاتحاد , وينبه على فساده , ويحذر من ضلاله .

اضافة لذلك فإن الشيخ محي الدين ابن عربي رحمه الله تعالى قال في عقيدته الصغرى :

((تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها .

وقال في عقيدته الوسطى : اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع , ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء أو يتحد في شيء .

وقال في باب الأسرار :

لا يجوز لعارف أن يقول : أنا الله , ولو بلغ أقصى درجات القرب , وحاشا العارف من هذا القول حاشاه , إنما يقول : أنا العبد الذليل في المسير والمقيل .

وقال في الباب التاسع والستين ومائة : القديم لا يكون قط محلا للحوادث , ولا يكون حالا في المحدث .

وقال في باب الأسرار : من قال بالحلول فهو معلول , فان القول بالحلول مرض لا يزول , وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد , كما إن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول .

وقال في باب الأسرار أيضا : الحادث لا يخلوا عن الحوادث , ولو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم , فالقديم لا يحل ولا يكون محلا

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل : وهذا يدلك على إن العالم ما هو عين الحق , ولا حل فيه الحق , إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة : لو صح إن يرقى الإنسان عن إنسانيته والملك عن ملكيته , ويتحد بخالقه تعالى , لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله عن كونه إلها , وصار الحق خلقا والخلق حقا , وما وثق احد بعلم وصار المحال واجبا , فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبدا

وكذلك جاء في شعره ما ينفي الحلول والاتحاد كقوله :

ودع مقالة قوم قال عالمهم بأنه بالإله الواحد اتحدا
الاتحاد محال لا يقول به إلا جهول به عن عقله شردا
و عن حقيقته و عن شريعته فاعبد إلهك لا تشرك به أحدا

وقال أيضاً في الباب الثاني والتسعين ومائتين : من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء , وان الشمس ما انتقلت إليه بذاتها , وإنما كان القمر محلا لها , فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه .)) [1]

[1] الفتوحات المكية, كما ورد في اليواقيت والجواهر ج١ / ٨٠ – ٨١

من مؤلفات الشيخ :

وأما كتبه ومصنّفاته فالبحار الزواخر، التي بجواهرها لكثرتها لا يعلم لها أوّل ولا آخر، ما وضع الواضعون بمثلها، وإنما خصّ الله بمعرفة قدرِها أهلَها. ومن خواص كتبه؛ أنّه من واظب على مطالعتها، والنظر فيها، وتأمّل في مبانيها؛ انشرح صدره لحلّ المشكلات، وفكّ المعضلات، وهذا الشأن لا يكون إلا لأنفاس مَن خصّه الله بالعلوم اللدنّيّة الربّانّيّة.

ووقفتُ على إجازة كتبها للملك المعظّم، فقال في آخرها: وأجزتُ له أيضا أن يروي عنّي مصنّفاتي، ومن جملتها كذا وكذا حتى عدّ نيفا وأربعمائة مصنّف، ومنها "التفسير الكبير" الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ستّين سفرا، فاستأثره الله تعالى، وتوفّي ولم يكمل.

وهذا التفسير كتاب عظيم، كلّ سفر منه بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنّه صاحب الولاية العظمى والصدّيقية الكبرى .

- كتاب الفتوحات المكية، المكوّن من ٣٧ سفر و ٥٦٠ باب .. والذي وُصف بأنه من النصوص الصوفية الموغلة في التعمق وان لغته رمزية وبها إشارات الهية،
- كتاب فصوص الحكم، الذي أثار جدلاً كبيراً في وقته ولازال مصدراً للجدل.
- ديوان ترجمان الأشواق، الذي خصصه لمدح نظام بنت الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني التي عرفها في مكة سنة ٥٩٨ عندما قدم إليها لأول مرة قادما من المغرب.
- كتاب شجرة الكون، يتحدث فيه عن الكون مشبهاً اياه بشجرة اصله كلمة "كُن"
- كتاب الإعلام بإشارات أهل الإلهام،
- كتاب اليقين، الذي تناول موضوع اليقين
- إشارات القرآن في العالم والإنسان.

- المثلثات الواردة في القرآن العظيم.
- أسرار قلوب العارفين.
- الموعظة الحسنة.
- مناهج الارتقاء إلى افتضاض أبكار النقا بجنان اللقا، ويحتوي ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى على ثلاثمائة باب، كل باب عشرة مقامات.
- شفاء العليل في إيضاح السَّبيل.
- كشف الغين: سر أسماء الله الحُسنى.
- عقلة المستوفز جلاء القلوب.
- التحقيق في الكشف عن سِر الصَّديق.
- الإعلام بإشارات أهل الأوهام والإفهام في شرحه.
- السِّراج الوهَّاج في شرح كلام الحلَّاج.
- كنه ما لا بد للمريد منه.
- مفتاح السعادة في معرفة الدخول إلى طريق الإرادة.
- الأجوبة عن المسائل المنصورة.
- المنتخب في مآثر العرب.
- نتائج الأفكار وحدائق الأزهار.
- الميزان في حقيقة الإنسان.
- الجذور المقتبسة والخطرة المختلسة.
- التنزلات الموصلية.
- الجمال والجلال.
- عنقاء المغرب.
- شروط أهل الطَّريق.

وقفة مع الفتوحات المكية للشيخ ﷺ :

بدأ الشيخ الأكبر تأليف كتابه هذا بمكة المكرّمة عام ٥٩٩هـ ، وانتهى منه في دمشق في شهر صفر عام ٦٢٩هـ، وذكر عند إتمامه: "هذا هو الأصل بخطّي، فإنّي لا أعمل لتصنيف من تصانيفي مسودّة أصلا". إلّا أنّ الشيخ الأكبر رأى في عام ٦٣٢هـ إعادة كتابة هذه الموسوعة بخط يده، معتبرا النسخة الأولى بمثابة مسودّة؛ حذف منها وأضاف إليها، واستغرق عمله ٤ سنوات انتهت عام ٦٣٦هـ وبرز، من ثمّ، الكتاب بصورته النهائية المنقّحة، ليكون بذلك معبّرا تعبيرا أصيلا عن خلاصة رؤيته وتجربته بعد أن بلغ عمره الثانية والسبعين.

واللافت للنظر أنّ الشيخ الأكبر لم يكتف بإعادة كتابته فقط، والتأشير على ذلك، وإنما نجده بعد كتابة كل جزء منه يعمد إلى مقابلته من جديد مع النسخة الأولى بحضور عدد من أصحابه ويتم أثناء السماع إجراء التصحيحات التي يراها مناسبة، وفي نهاية كل مقابلة يثبت السماع ويثبت أسماء الحاضرين والتاريخ بخط القارئ وتأكيد الشيخ الأكبر لذلك ممهورا بتوقيعه.. الخ.. ونجده أحيانا يكرر السماع لبعض الأجزاء في أوقات أخرى ويثبت ذلك وفق ما جرى في السماع الأوّل..

استغرقت النسخة الثانية ١٠٥٤٤ صفحة بخط يده، وقسّمها فيه إلى ٣٧ سفرا ، متضمّنة ٥٦٠ بابا –بعدد السنوات من العام الأوّل للهجرة حتى عام مولد الشيخ الأكبر، وكأنّها تتويج لهذه السنوات التي سبقته بمولده قدّس الله سرّه!– موزّعة على ستة فصول. وفي الصفحة الأخيرة يخطّ الشيخ الأكبر بقلمه: "انتهى الباب –بحمد الله– بانتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار على يدي مُنشيه، وهو النسخة الثانية من الكتاب بخطّ يدي.

وكان الفراغ من هذا الباب، الذي هو خاتمة الكتاب، بكرة يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ست وثلاثين وستمائة، وكتب منشيه بخطّه مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن العربي الطائي الحاتمي، وفّقه الله.

هذه النسخة سبعة وثلاثون مجلّدا، وفيها زيادات على النسخة الأُولَى التي وقفتها على ولدي مُحَمَّد الكبير، الذي أُمّه فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين، وفّقه الله وعلى عقبه وعلى المسلمين بعد ذلك شرقا وغربا، برًّا وبحرا".

وقبل عدة أشهر من انتقاله إلى جوار ربه أهدى هذه النسخة إلى تلميذه الوفي صدر الدين مُحَمَّد بن إسحق القونوي، وهذا مبيّن في الصفحة الأولى من السفر الأول، وفيه بقلم الشيخ الأكبر: "رواية مالك هذه المجلدة مُحَمَّد بن إسحق القونوي عنه" مما يشير إلى أنها منذ الآن صارت بعهدة صدر الدين القونوي عنه، وبالقرب منها يحدد الشيخ صدر الدين موعد ذلك الانتقال بما نصه: "انتقل هذا السفر وسائر الكتاب من منشيه شيخ الإسلام، أيّده الله تعالى، بحكم الإنعام إلى خادمه وربيب نظره مُحَمَّد بن إسحق غفر الله له ولوالديه، ونفعه بكل علم مقرّب إليه بالشيخ نفعه الله، في شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة".

رحلاته وأسفاره ﷺ :

كان ﷺ كثير الترحال لم تستوطن روحه بأرض او لم يرتبط بحنين الى بقعة فكأن روحه لم تسكن إلا قرب مولاها ، فكان حنينه وهجرته .

أبداً يطارد حنيناً وشوقاً لا الى أرض ولا الى الزمن الذي يعيشه ، كان خارج الأرض وخارج الزمن الذي عاش فيه ... كان طول حياته في رحلة بحث ، يحرّكها شوق ...

فيطوف في الأرض يزور غرناطة بالأندلس ، ومكة والطائف الحجازيتين، والموصل وبغداد العراقيتين ، والقاهرة المصرية ، وتركيا ، وأرمينيا ، وحلب السورية ودمشق التي استقر بها إلى الوفاة . .. وبخاصة رحلته التونسية التي كان لها تأثير بالغ في حياته وفي مذهبه الفكري، حيث أقام في تونس في مناسبتين ؛ كانت الأولى في العام ١١٩٤ والثانية بعد سبع سنوات أي في العام ١٢٠١.

رحلته في الغرب :

يمكن ان نسميها سياحة ، ولكل رجال التصوف قبل شيخنا ابن عربي سياحات خرجوا فيها عن شهواتهم وعن حب الدنيا وحب البيت والأهل وتجردوا عما سوى الله ، فاختَلَوا للذكر والمناجاة والعبادة في صفاء ... في صحاء او في قمة جبل او كهف .. او في مدنٍ لا يُعرفون بها ... فلكلٍ حالة تستلزم ما يمليه فيها المقام والحال .

فكانت بداية شيخنا ابن عربي سياحته في بلاد افريقيا خارج حدود الأندلس .

وكان للشيخ حينها حوالي الثلاثين عاماً ، فزار خلالها فاس ، وبجاية ، وتونس ، ثم عاد الى اشبيلية ... ثم السفر ثانية .. وهكذا كثُرت تنقلات الشيخ بين هذه الأقطار .

وقد ذكر ابن عربي ذلك في كتابه الأثير الشهير (الفتوحات المكية) أنه أصبح وريثاً للمعرفة المحمدية انطلاقا من تونس:

أنا وارث لا شك علـم مُحَّد وحالته في السر مني وفي الجهر
ولست معصوما ولكن شهودنا هو العصمة الغراء في الأنجم الزهر
علمت الذي قلنا ببلدة تونس بأمر إلهي أتاني في الـذكـر
أتاني به عام تسعين شربنا بمنزل تقديس من الوهم والفكر

فتونس تعتبر بالنسبة إلى الشيخ الأكبر الفضاء الميمون وباب الفتح الرباني، مركز الولاية ، إذ جاءه فيها الخضر معلّم الصوفية وأستاذ العلم اللدني .

والظاهر ان رحلته الى تونس والتي التقى خلالها بسيدنا الخضر وهو في السفينة عندما كان مسافراً بالبحر كانت للقاء شيخه أبي مُحَّد عبدالعزيز ابن أبي بكر القرشي المهدوي [1] الذي آلت إليه القطابة بعد وفاة شيخه قطب الأقطاب أبي

[1] يعتبر واحدا من أبرز روّاد التصوّف في ما بين القرنين السادس والسابع الهجري حيث برز في مبادئ الأسرار الصوفية، وأسّس معالم مدرسة في الزهد والتصوّف وعلوم الروح، كان من أبرز رموزها أبوسعيد الباجي دفين الضاحية التي لا تزال تحمل اسمه، وأبوالحسن الشاذلي

مدين شعيب، الذي تأثر ابن عربي بعلمه دون أن يقابله، وأطلق عليه اسم معلّم المعلمين، وقال عنه (شيخنا أبو مدين من الثمانية عشر الظاهرين بأمر الله، عن أمر الله، لا يرون سوى الله في الأكوان، وهم أهل علانية وجهر، مثبتون للأسباب) .

أما عبدالعزيز المهدوي الذي زاره ابن عربي، وأخذ عنه من ينابيع علمه فتأثر به أيما تأثّر، حتى أنه أهدى إليه رسالته (الروح القدس في مناصحة النفس) التي كتبها بمكة المكرمة في العام ٦٠٠ للهجرة، وذلك بالقول (من العبد الضعيف، الناصح الشفيق، المأمور بالنصح لإخوانه، والمشدد عليه في ذلك دون أهل زمانه: مُحَمَّد ابن علي ابن مُحَمَّد بن العربي الطائي الحاتمي، وفقه الله، إلى وليه في الله تعالى، وأخيه، الركن الوثيق: أبي مُحَمَّد عبدالعزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، نزيل تونس، أبقاه الله محفوظا، وبعين الصون الإلهي والحماية ملحوظا)

كما التقى بتونس الشيخ أبوعبدالله بن خميس الكناني الجراح الذي تحدث عنه ابن عربي، فقال (كان من سادات القوم ، وجدته مرابطا بمرسى عبدون ، لقيته وزرته حافيا في شدة الحر، تأسيا بشيخي أبي يعقوب الكومي وأبي مُحَمَّد المروري، قالا لي إنهما زاراه على هذه الحالة، وقد ألهمه الله بقدومي إليه فاستقبلني مستبشرا وهو يتوكأ على عصاه لكبر سنه قبل وصولي عنده، جلست معه أياما نتذاكر في المعارف وصحبته مدة أقل بقليل من عام، وقبل أن أفارقه أمرني أن أكتم أمره عن عبدالعزيز المهدوي وغيره، وكان يجتمع بالخضر عليه السلام الذي لقيته أنا أيضا بتونس)

رحلته الى الشرق :

الذي ولد بقبيلة الأخماس الغمارية بالمغرب، وتفقه وتصوف في تونس، وتوفي بوادي حميثرة بصحراء عيذاب في مصر عندما كان متوجها إلى مكة المكرمة للحج.

ويواصل الشيخ بحثه ويواصل سياحته وترحاله ويواصل خروجه عن كل أرض وكل زمن ، فيتوجه الى الشرق ليس لسبب ظاهر نعرفه بمقاييس الفهم المادي للأشياء ، فأسباب الشيخ الأكبر تختلف عن أسباب غيره ، والمسببات تختلف.
تتحدث الأخبار أنه ارتحل الى المشرق بعد رؤيا منامية [1] رمزية رآها ، رأى فيها العرش ورأى طيراً جميلاً يخبره بالرحيل الى المشرق ، فرحل ، أما لماذا رحل ، وماذا نتج عن رحلته ؟ تبقى مقاييسنا وأدواتنا البحثية المادية عاجزة عن معرفتها او تحليل أبعادها ، فالشيخ وإن كان كثير الحديث عن الأسرار التي عرفها أو صادفها في مسراه ، إلا انه يظل قليل البوح رغم كثرة سرده ، وإن يبح ، فبرمز مُغَلَّفٌ بلُغز ... وما بين الرمز والواقع مسافة تطول على الكثيرين .
فالذي رآه الشيخ او عرفه كبير لا تتسع له اللغة والمفردات او العقول فاضطر ان يتحدث برمز يفهمه من اتسع قلبه للحقائق وتحقق بالقرب والمشاهدة ، ويضيق عنه غيره ، فلكلٍ حد وقُدرَةٌ ... أما رأيت الى القول الرباني ﴿ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ وضمن هذا القانون كان حديث الشيخ .. أو بَوحَهُ .
في دنيا الأسباب والماديات قد يكون الناتج من ترحاله ﷺ ان مؤلفاته او بعضها حُفِظت لتبقى مناراً لمن سَلَكَ بعده هذا الدرب ، أو مؤلفات تُحدِّثُ عن تجربة قُرْبٍ ، او تلميحاتٌ عن عِلمٍ يُمكن أن يؤسَسُ عليها ، خصوصاً ان الغرب الذي هجره الشيخ الأكبر كان يسعى إلى التنوير العقلي وإلى كل ما يدعم الوجود المادي البحت بعيداً عن الحديث عن الروح واشراقاتها .
ويرحل الشيخ الأكبر الى الشرق ،كان ﷺ كمن يرجع الى أصلٍ فارقه او يعود الى ديارٍ له ، هجرها ، فرحلته عن المغرب ،لا رجعة بعدها فهو الفراق.

---

[1] الفتوحات ٣ / ٥٧٣

بدأت سياحة الشيخ الأكبر في المشرق الإسلامي ما بين عامي ٥٩٧ هـ ، و ٦٢٠ هـ .

ففي عام ٥٩٧ هـ وقد بلغ الشيخ السابعة والثلاثين عاماً من عمره ، سوف يرحل الشيخ نهائياً الى تونس ومنها الى القاهرة والاسكندرية ، وستكون له اقامات متقطعة في بغداد والموصل وقونية ، وإقامات شبه متواصلة في مكة المكرمة حيث بدأ بتأليف موسوعته الصوفية (الفتوحات المكية) .

وفي سياحاته هذه ، وخلال تنقلاته ، كانت سمعة الشيخ ومكانته وفتوحاته قد ذاعت واشتهرت ، فكان الشيخ الأكبر محل تقدير واحترام الكثير من الشخصيات البارزة التي التقاها ، كما حظي بتكريم ملوك وسلاطين زمانه الذين عرفوا للشيخ قدره ومنزلته ففي بغداد يلتقي عام ٦٠٨ هـ شهاب الدين السهروردي [١]، وها هو (كيكاوس الأول) [٢] يخرج بنفسه لاستقباله ، كما كانت كلمة الشيخ مسموعة عند الملك الظاهر ، صاحب مدينة حلب ، ابن صلاح الدين الأيوبي .

الاستقرار في دمشق :

ويمكن تحديدها ما بين عامي ٦٢٠ و ٦٣٨ هـ .

فعندما بلغ الشيخ الستين من عمره ، وكانت شهرته قد عمَّت العالم الإسلامي وتنافس الملوك على استقطابه وتزاحمت الناس وطلبة العلم على بابه ، كانت حالته الصحية وسنين عمره قد ألزمته ان يستقر .

---

[١] شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي (٥٣٩ هـ-٦٣٢ هـ)، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية، صاحب كتاب "عوارف المعارف"

[٢] كيكاوس الأول هو عز الدين كيكاوس بن كيخسرو سلطان من سلالة سلاجقة الروم والابن الأكبر لكيخسرو الأول تولى السلطنة من عام ١٢١١ إلى عام ١٢٢٠

فحطَّ الشيخ ركابه في دمشق ونوى ان يقضي فيها ما بقي له من العمر ...
وفي دمشق نزل في ضيافة القاضي محي الدين الزكيِّ ، الذي اشتهر بصحبته لصلاح الدين الأيوبي ، وخدمه شمس الدين احمد الخولي قاضي قضاة المالكية، وكان الملك الأشرف ابن الملك العادل يحضر دروسه [1]

وفاة الشيخ رحمه الله تعالى :

بعد حياة حافلة بالعطاء، امتدّت ٧٨ عاما، توزّعت مناصفة بين المغرب العربي ومشرقه، انتقل إلى رحاب ربه ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة . "وكان لجنازته يوم مشهود ووقت مسعود، وشيّعه صاحبُ دمشق راجلا مع جمهور الأمراء والوزراء والعلماء والفقراء، ولم يبق بدمشق أحد إلا شيّعه. وغلّقت أهلُ الأسواق دكاكينهم ثلاثة أيام تعزية له. ودفن بجبّانة محيي الدين بن الزكي بصالحيّة دمشق، وبني عليه بناء عظيم ومزار كريم" .

وحين دخل السلطان التركي سليم الأوّل دمشق بعد استيلاء جيوشه على الشام ومصر، كان من أوّل أوامره بناء مقام واسع على ضَريح الشيخ في ساحة مسجد أسّسه بجواره، وصلّيت فيه أوّل جمعة بحضور السلطان عام ٩٢٤هـ (٥ فبراير ١٥١٨) .

[1] انظر ابن عربي ومولد لغة جديدة ص ١٤

مُحَمَّد متولي الشعراوي

إمام الدعاة

(١٩١١ م – ١٩٩٨ م)

كان يتقلَّب بين الكتب ، ينقل المعلومة ، يحللها ، يستخرج منها ما لا يستخرجه غيره ، فكأنه يرى ما لا يستطيع غيره رؤيته ، وكأن الحقائق تسعى اليه لتطرح بين يديه لبَّها ، وهذا ما سيتجلّى في حياته لاحقاً ، حين سيستخرج من آيات القران الكريم معانٍ لم يراها غيره رغم انها قريبة من عيونهم ، لكنها كانت بعيدة عن عقولهم ... وكأنه موعودٌ بمجدٍ او بدَورٍ كبير في حياة الآخرين.

ويوم بزغ نجمه كعالمٍ ، وصار رائداً في دنيا الفكر ، يختاره الله بفضله ليسير في درب التزكّي والارتقاء ، ولم يسعى الى شيخ يقوده بل سعى الشيخ اليه .

ومن جديد ترتسم ملامح الطريق تحت قدميه ، ليُحْسَبُ له خطوٌ ومسير ، ويأخذه الطريق الى حيث شاء له الله أن يصل ... والله يجتبي من يشاء ويختار .

الاسم والنشأة :

علم بارز من أعلام الدعوة الإسلامية، وإمام فرض نفسه ، وحفر لها في ذاكرة التاريخ مكاناً بارزاً كواحد من كبار المفسرين، وكصاحب أول تفسير شفوي كامل للقرآن الكريم، وأول من قدم علم الرازي والطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم .

وزير اوقاف سابق وصوفي زاهد وعالم عامل .

مُحَمَّد متولي الشعراوي .

في الخامس عشر من نيسان ١٩١١ ولد الشيخ في قرية دقادوس (محافظة الدقهلية) بمصر لأسرة بسيطة .

حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره ، وفي نفس العمر التحق بمعهد

الزقازيق الابتدائي التابع للأزهر.

التحصيل العلمي :

أظهر الشيخ ميولاً مبكرة لحفظ الشعر والقول المأثور والحكم في سن مبكرة جداً ، وبعد حصوله على شهادة الابتدائية عام ١٩٢٣، دخل المعهد الثانوي الأزهري، حيث زاد اهتمامه بالشعر والأدب ، و حظى بمكانة خاصة بين زملائه ، فاختاروه رئيسًا لاتحاد الطلبة، ورئيسًا لجمعية الأدباء بالزقازيق ,

وحين اندلعت الانتفاضة الوطنية ضد الاحتلال ، انشغل الشيخ بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية ، فثورة سنة ١٩١٩م اندلعت من الأزهر الشريف ، ومن الأزهر خرجت المنشورات التي تعبر عن سخط المصريين ضد الإنجليز المحتلين .

ولم يكن معهد الزقازيق بعيدًا عن قلعة الأزهر الشامخة في القاهرة، فكان الشيخ يزحف هو وزملائه إلى ساحات الأزهر وأروقته، ويلقى بالخطب مما عرضه للاعتقال أكثر من مرة، وكان وقتها رئيسًا لاتحاد الطلبة وذلك سنة ١٩٣٤م .

والتحق بكلية اللغة العربية في عام ١٩٣٧ ومن ثم تخرج عام ١٩٤٠م ،

ولم يكن طموح الشيخ يقف عند حدود كلية الآداب ، فيستمر بالدراسة ويحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣وهي شهادة معادلة للدكتوراه .

الوظائف والمسؤوليات :

بدأ الشعراوي حياته الوظيفية مدرسا بالمعاهد الأزهرية في كل من طنطا ، ثم الإسكندرية والزقازيق، قبل أن يسافر إلى السعودية سنة ١٩٥٠ بإعارة للتدريس في كلية الشريعة –جامعة أم القرى فيما بعد– بمكة المكرمة ، أستاذاً للشريعة في جامعة أم القرى ، بالرغم من أنه مدرس للغة العربية ولم يكن يحمل شهادةً بالشريعة .

اضطر الشيخ الشعراوي أن يدرِّس مادة العقائد رغم تخصصه أصلاً في اللغة

وهذا في حد ذاته يشكل صعوبة كبيرة إلا أن الشيخ الشعراوي استطاع أن يثبت تفوقه في تدريس هذه المادة لدرجة كبيرة لاقت استحسان وتقدير الجميع.

وفي عام ١٩٦٣ حدث الخلاف بين الرئيس جمال عبد الناصر وبين الملك سعود. وعلى أثر ذلك منع الرئيس عبد الناصر الشيخ الشعراوي من العودة ثانية إلى السعودية .

وعين في القاهرة مديراً لمكتب شيخ الأزهر الشريف الشيخ حسن مأمون .

رأس بعثة التعريب الأزهرية إلى الجزائر سنة ١٩٦٦ لمساعدة حكومتها في التخلص من آثار الاستعمار الفرنسي، وهناك أشرف على وضع مناهج دراسية جديدة باللغة العربية ، كما تعرف على شيخ طريقة صوفية بالجزائر والذي قاد خطى الشيخ الشعراوي في عالم التصوف .

وحين عاد الشيخ الشعراوي إلى القاهرة عين مديراً لأوقاف محافظة الغربية فترة، ثم وكيلا للدعوة والفكر، ثم وكيلاً للأزهر .

عُين في١٩٧٠ أستاذا زائرا في كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز في السعودية، ثم رئيسا للدراسات العليا فيها .

في عام ١٩٧٦، عين وزيراً للأوقاف بحكومة ممدوح سالم، وبقى في منصبه حتى أكتوبر عام ١٩٧٨، وفي أثناء توليه الوزارة أصدر قراراً بإنشاء أول بنك إسلامي باسم بنك فيصل، مع العلم أن قرار إنشاء البنك هو من اختصاص وزير الاقتصاد . الذي فوضه ، ووافقه مجلس الشعب على ذلك .

وقال في ذلك : إنني راعيت وجه الله فيه ولم أجعل في بالي أحدًا لأنني علمت بحكم تجاربي في الحياة أن أي موضوع يفشل فيه الإنسان أو تفشل فيه الجماعة هو الموضوع الذي يدخل هوى الشخص أو أهواء الجماعات فيه. أما إذا كانوا جميعًا صادرين عن هوى الحق وعن مراده، فلا يمكن أبدًا أن يهزموا، وحين تدخل أهواء الناس أو الأشخاص، على غير مراد الله، تتخلى يد الله.

وبالرغم من نفوذه الواسع وتأثيره الكبير كعالم دين صاحب شعبية جارفة ووصوله لمنصب وزير أوقاف في الدولة المصرية فقد عرف عنه تواضعه الشديد تجاه كل من حوله وكان يقول كلمة الحق في كل موقف يتعرض له دون الإلتفات إلى منصب أو علاقة بالسلطة أو مال مما أكسبه مصداقية كبيرة لدى الناس .

التكريم والجوائز :

قد يكون التكريم الأكبر والأهم الذي ناله الشعراوي هو محبة الملايين له ومتابعة برامجه الدعوية والتفسيرية ، حيث أُلْهِمَ اسلوباً مبَسَّطاً في التفسير قريباً من عقول البسطاء ومَرضيّاً عند العلماء ، فكان تفسيره يدخل القلوب قبل العقول .

أن الشيخ الشعراوي ، قد نجح فيما عجز عنه غيره من العلماء، فبالرغم من الكتابات الكثيرة في الإعجاز القرآني وعبقرية اللغة، إلا أن الشيخ الشعراوي، استطاع أن يصل بها وأن ينزلها للعامة من الناس، فقد كان جهده (رحمه الله) في ذلك جهدا مميزا؛ لما كان يتحلى به من سلاسة الأسلوب، مع البساطة والمرونة؛ مما أكسبه القدرة على إيصال المعلومات المركبة بأسلوب بسيط يفهمه الناس (كل الناس) على اختلاف مداركهم وثقافاتهم ومعارفهم، وهذا هو مفتاح آخر لشخصية الشيخ الشعراوي، وهو قدرته على فهم أنماط الشخصية المصرية، فاستطاع أن يصل إليها بكل سهولة.

يقول عنه الدكتور أسامة فخري الجندي، أحد علماء وزارة الأوقاف :

لقب الشعراوي بالأمين، وهذا اللقب دارج عند أهل قريته التي نشأ فيها، ولعل هذا اللقب يعكس المعاني الكثيرة التي تبرز قيما رصينة للشعراوي منذ الصغر، فهو أمين من ناحية القيم والأخلاق، ومن ناحية العلم والمعرفة، ومن ناحية المنهج، ومن ناحية عمل الجوارح، وكأنه حقق كل أنواع الأمانة بمفهومها العميق، فاستحق الشعراوي لقب (الأمين)".

وتابع: "ولقب أيضا بمجدد العصر، وذلك نظرا لحسن تنزيله النصوص على معانيها بدقة متناهية؛ لأنه كان يملك الأداة الرصينة لفهم النص المشرف، وهو تمكنه من علوم العربية وأسرارها، مع سهولة الألفاظ وألخص الإشارات وأخلص العبارات؛ واستطاع أن يصل إلى العامة، ومن ثم كل طبقات المجتمع، فصال وجال ببيان العلم والمعرفة، وبتعبئة كل الأطياف مع تنوع أفكارهم وعقولهم بالمنهج الإسلامي الرصين الصحيح في شتى القضايا والمسائل وبرؤية مستنيرة".

أضاف الدكتور أسامة فخري الجندي: "من السمات الفارقة والرئيسة في شخصية الشيخ الشعراوي، والتي ظلت معه طفلا وشابا وداعية ومفكرا، سمة النبوغ الفكري، فقد كان الشيخ الشعراوي، دائما يميل إلى الابتكار والتجديد، ولا شك أنهما من سمات النبوغ والتفوق، ولأن الشيخ الشعراوي، اتسمت نشأته بالعراقة والأصالة، فقد اجتمع لديه سمة النبوغ الفكري مع الموهبة النقية وصفاء المعدن، فاقترن النبوغ الفكري مع الفطرة الإنسانية، فكانا الأصل الأصيل في تكوين شخصية الشيخ الشعراوي".

"صاحب الخواطر"، هكذا لقب الشيخ الشعراوي، فكان صاحب صنعة معرفية ثقيلة، فاستطاع أن ينزل النصوص على معانيها بدقة متناهية؛ لأنه كان يملك أدوات فهم النص، والتي منها علوم العربية وأسرارها، والشيخ الشعراوي، كان يستخدم اللغة بمستوياتها الأربعة: "صوتا وصرفا ونحوا ودلالة"، فانطلق إلى بيان المراد الإلهي، بل إنه كان يقف عند معاني الحروف وأسرارها؛ ليجلي المعنى للأذهان، فكانت اللغة أحد مفاتيح شخصية الشيخ الشعراوي.

وقال عنه الدكتور أحمد عمر هاشم، بحسب الجندي: "انطلق الشيخ الشعراوي، يفسر القرآن الكريم، ويحلل المعاني، ويقف مع كل آية وكلمة وحرف، وييسر المعاني العميقة، حتى يدركها العالم والجاهل، والمثقف والأمي، وكان راحلنا عالما وعاملا بعلمه، فكان يصنع المعروف، وينفق آناء الليل وأطراف النهار، كانت

تأتيه الجوائز المالية، والاستحقاقات، فينفقها على طلاب العلم الفقراء، ويبني المعاهد الأزهرية والمدارس والمستشفيات، كما كان الشيخ الشعراوي، وفيا كل الوفاء لجميع المعارف والأصدقاء".

وأضاف "الجندي": "الشيخ الشعراوي، كانت له شخصية متميزة في عصره وبين أقرانه ؛ حيث أخذ مكانة واضحة في عصره بين الأعلام في ميدان الفكر الإسلامي، وخاصة في التفسير من خلال خواطره النورانية نحو الآيات القرآنية المشرفة، فكان واحدا من الذين لهم قدم صدق عند ربهم، أحب القرآن، فأفضى إليه بأسراره، فبرزت شخصيته متميزة في تفسيره، مؤثرة في الوجدان المسلم، على أن الشيخ الشعراوي- رحمه الله – لم يكن اطلاعه قاصرا على فن دون آخر، وإنما كان متشعب الأنحاء، واسع الاتجاهات، فلم يقتصر على ما كان يدرسه في الأزهر الشريف، وإنما جاوز ذلك وامتد إلى العلوم الحديثة في مسائل الطبيعة والكيمياء والفلك والاقتصاد فضلا عن علوم التاريخ والاجتماع وعلم النفس، وبذلك تكونت لديه ثقافة شاملة، ظهرت بوضوح فيما يلقي من الدروس والمحاضرات، وبأسلوبه السهل الممتنع حاول أن يذللها للسامع.

ولأجل ذلك كان الشيخ الشعراوي، موسوعي المعرفة، اطلع على مختلف العلوم والفنون، وهذا ساعده على هجر التعصب المذهبي، والتجرد عن الجمود والتقليد، ويظهر ذلك من خلال مكتبته الفكرية الضخمة التي ألفها فيما بعد.

اختير عضواً في مجمع اللغة العربية وذلك عام ١٩٨٧، لقد انتقل بين عدد من المناصب، ومنها على سبيل الذكر، عين مديراً للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١، وفي العام التالي عين مفتشاً لعلوم اللغة العربية بالأزهر الشريف.

في عام ١٩٧٢، عين رئيساً لقسم الدراسات العليا لجامعة الملك عبد العزيز، في عام ١٩٨٠، عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، كما اختير عضواً بمجلس الشورى بجمهورية مصر العربية.

في ١٥ إبريل ١٩٧٦، منح وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى وذلك قبل توليه منصب وزارة الأوقاف، وفي عام ١٩٨٣، منح وسام الجمهورية من الدرجة الأولى .

وفي سنة ١٩٨٧م اختير فضيلته عضواً بمجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين). وقرَّظه زملاؤه بما يليق به من كلمات، وجاء انضمامه بعد حصوله على أغلبية الأصوات (٤٠عضوًا). وقال يومها: ما أسعدني بهذا اللقاء، الذي فرحت به فرحًا على حلقات: فرحت به ترشيحًا لي، وفرحت به ترجيحًا لي، وفرحت به استقبالاً لي، لأنه تكريم نشأ عن إلحاق لا عن لحوق، والإلحاق استدعاء، أدعو الله بدعاء نبيه مُحَمَّد ﷺ: اللهم إني أستعيذك من كل عمل أردت به وجهك مخالطاً فيه غيرك. فحين رشحت من هذا المجمع آمنت بعد ذلك أننا في خير دائم، وأننا لن نخلو من الخير ما دام فينا كتاب الله، سألني البعض: هل قبلت الانضمام إلى مجمع الخالدين، وهل كتب الخلود لأحد؟ وكان ردي: إن الخلود نسبي، وهذا المجمع مكلف بالعربية، واللغة العربية للقرآن، فالمجمع للقرآن، وسيخلد المجمع بخلود القرآن.

وفي عام ١٩٨٨، منح وسام في يوم الدعاة.

اختير عضواً بالهيئة التأسيسية في مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك من قبل رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، في عام ١٩٨٩، اختارته محافظة الدقهلية شخصية المهرجان في مهرجانها الثقافي الذي تنظمه كل عام.

في عام ١٩٩٨، اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم كشخصية العام .

التجربة العلمية :

برز الشعراوي داعية إسلامياً ١٩٧٣ عندما قدمه التلفزيون المصري في برنامجه (نور على نور)، وقد ظل الضيف الدائم فيه مفسرا للقرآن الكريم على مدى

عشر سنوات.

ومن خلاله ذاع صيت الشعراوي في مصر والعالم العربي والإسلامي، ومن التليفزيون المصري انتقل البرنامج إلى إذاعات وتليفزيونات العالم الإسلامي كله تقريباً.

كان الشعراوي في تفسيره للقرآن آية من آيات الله، وكان إذا جلس يفسر كأن كلامه حبات لؤلؤ انفرطت من سلكها فهي تنحدر متتابعة في سهولة ويسر.

بعد استقالته من وزارة الأوقاف واظب على تقديم دروس مسجديّة في تفسير القرآن الكريم بُثت تلفزيونيا تحت عنوان "خواطر إيمانية".

سافر إلى نيويورك وحاضر بمقر الجمعية العامة للأمم المتحدة وألقى خطبة الجمعة بالمسجد الملحق بمبنى الأمم المتحدة، كما قام بجولات دعوية في أميركا وكندا ودول أوروبية عدة.

كان صاحب دور كبير في إقناع كثير من الفنانات المصريات باعتزال الفن وارتداء الحجاب، كما كان له إسهام في إنشاء البنوك الإسلامية بمصر.

يؤمن بأن "القرآن لم يأت ليعلمنا أسرار الكون ولكنه جاء بأحكام التكليف واضحة وأسرار الوجود مكتنزة، فالقرآن منهج لحياة البشر على الأرض حتى تتقدم الحضارات ويتسع فهم العقل البشري".

المؤلفات :

ترك الشعراوي كتبا عديدة تركز في معظمها على رسالة القرآن الكريم، وقضايا العقيدة والفكر الإسلامي، وأحكام الفقه الإسلامي. ومن هذه الكتب: "المنتخب في تفسير القرآن الكريم"، و"الفتاوى"، و"نظرات في القرآن الكريم"، و"الطريق إلى الله"، و"على مائدة الفكر الإسلامي"، و"الإسلام والفكر المعاصر"، و"الشورى والتشريع في الإسلام"، و"مائة سؤال وجواب في الفقه الإسلامي".

الشيخ متولي الشعراوي والتصوف :

تحدث فضيلة الأستاذ الجليل، الشيخ مُحَمَّد متولي الشعرواي في لقاء صحفي عن مجمل رأيه في التصوف، ملخصًا فيما يأتي:

من هو الصوفي؟

يقول الشيخ الشعراوي : «إن الصوفي هو الذي يتقرب إلى الله بفروض الله، ثم يزيدها بسنة الرسول ﷺ، من جنس ما فرض الله، وأن يكون عنده صفاء في استقبال أقضية العبادة، فيكون صافيًا لله، والصفاء: هو كونك تصافي الله فيصافيك الله».

تعدد الطرق:

«وكل إنسان وصل إلى الله بطريق من الطرق، أو صيغة من الصيغ، يعتقد أن الطريق الذي سلكه إلى الله هو أقصر الطرق، ولذلك اختلف الناس؛ لأن وسائل عبادة الله متعددة، فإذا دخل إنسان من باب وطريق وأحس أنه نقله وأوصله إلى الله، بادر إلى نقله لمن يحب».

ويضيف الشيخ الشعراوي: «ومن هنا، فإن معنى أن هناك طرقا صوفية هو أن أناسا وصلوا إلى الصفاء من الله سبحانه وتعالى، وجاءتهم الإشراقات والعلاقات التي تدل على ذلك في ذواتهم، فعلموا أن الطريق الذي سلكوا فيه إلى الله صحيح، وكلما زادوا في العبادة: زاد الله في العطاء».

من هم المريدون:

ويقول الشيخ : «كنا قد قلنا: إن السالك للطريق، يرى أن الطريق الذي سلكه هو الأفضل بالنسبة له، ويجب أن ينقله لأحبابه، وعندما يجد هؤلاء فيه أشياء لم يجدوها في سواه يلتفون حوله، وينفذون ما يقول لهم، من عبادات تقربهم من الحق جل وعلا، ثم بعد ذلك يصبحون مريدين، ما داموا قد أصبحوا أهلًا للقرب من الله.

المريد هو: من أراد الله، وعمل على رضاه.

التصوف رياضة روحية:

والتصوف من هذا المنطلق رياضة روحية؛ لأنها تلزم الإنسان بمنهج تعبدي لله، فوق ما فرضه.. وهذه خطوة نحو الود مع الله.

والله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي : «من أتاني يمشي أتيته هرولة» ولم يقل سبحانه: جئته أمشي، ولو قالها لكان المشي بالنسبة له شيئًا كبيرًا فما بالك بهرولة منسوبة لله. ومن هنا يدخل الإنسان في مقام الود مع الله، ومعنى أن يوده الله أن يصافيه الرياضة والمقامات.

وهكذا يمن تعالى على هؤلاء المتصوفين ببعض العطاءات التي تثبت لهم أنهم على الطريق الصحيح، وكلما زاد العبد في عبادته: زاده الله في وده ولا نستطيع أن نقول: إن هذه الزيادات تصل إلى حد ما؛ لأن عطاء الله ليس له حدود».

تعريف العطاءات:

وعن تعريف العطاءات يقول الشيخ: «إنها هي التي ينخرق بها ناموس ما في الكون على قدر صفاء المؤمن تنخرق له النواميس التي تحكم الناس، بأن يطلعه الله على حكم بعض مجريات الأمور قبل أن تحدث، ويعطيه صفحة من صفحات الكون لأي إنسان، فينبئه به أو يبشره به، ليجذبه إلى جهته، أو أن يريد بعبد له خيرًا فيريه شيئًا من خرق نواميس الكون غير العادية، وأنا لي رياضة، ولو أنها خطوات بسيطة، وأصبح عندي مبدأ التصديق واردًا، لأنني عندما خطوت خطوة أكثر من الآخرين، رأيت، وهكذا».

فلا الصوفي يكذب الصوفي ولا يعارض، ولذلك فهم يأتلفون، ويحب بعضهم بعضا، ولكل منهم مقام ومكان.

وعندما يدخل الصوفي مقامات متعددة، وجئنا بمن لم يتريض ولم يدخل في مقامات الود وحدثناه بها فلا شك أنه يكذبها، ولكن تكذيبها دليل حلاوتها.

والمتصوف الحقيقي يعطيه الله أشياء لا تصدقها عقول الآخرين، ولذلك فعليه أن يفرح بذلك، ولا يغضب من تكذيب الآخرين له».

التمايل في الذكر:

وسألت جريدة «المجاهد» الصادرة عن القوات المسلحة فضيلة الإمام الشيخ «متولي الشعراوي» عن التمايل في الذكر وهو طبعًا غير الرقص الذي يعمله الجهلة فقال ما نصه:

«لا مانع في التمايل أثناء الذكر، إذا كان هذا التمايل نتيجة لغلبة الوجد عليه، أما إذا كان هذا التمايل مفتعلًا، فهذا لا يليق.

والذكر جائز على أي حال ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ...﴾ [1]

لا ريب أن في الذكر راحة نفسية وهدوء للأعصاب.

وعلى كل حال، فالذاكرون وإن تمايلوا، فهم خير من الذين يتمايلون في حانات الرقص ونحوها».

ويسرد الكاتب الصحفي مُحَمَّد الساعاتي المتحدث باسم نقابة القرّاء وأحد الصحفيين المقربين للشيخ الشعراوي وصاحب كتابي " الموسوعة الكاملة لحياة الامام الشعراوي" و"في رحاب امام الدعاة" روايات الشعراوي في رحاب رسول الله وآل البيت.

وقال الساعاتي، لـ"الوطن": كلما سافر الشعراوي إلى المملكة العربية السعودية يحرص على أن يستثمر أوقاته في زيارته لحبيبه سيدنا رسول الله ﷺ، وحدث بالفعل ذات مرة أن قطعت العلاقات بين مصر والسعودية، فأمر الرئيس جمال عبد الناصر، بسحب البعثة الأزهرية التى كان يترأسها الشعراوي على الفور، هنا

[1] آل عمران: ١٩٠، ١٩١

حزن الشيخ حزنا شديدا لأنه سيحرم من حبيبه ﷺ الذى كان حريصا على قضاء عطلة الأسبوعية في رحابه.

وأضاف: فكر الشيخ قبل العودة إلى مصرنا الحبيبة، في أن يقوم بزيارة الوداع، وداع رسول الله ﷺ، ويسافر الشيخ من جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة إلى المدينة المنورة – المسافة ٤٥٠ كيلو– ثم يقف في المواجهة الشريفة لرسول الله ويبكى بكاء شديدا، إذ كيف يحرم من الحبيب ﷺ ؟ ثم جلس في الروضة الشريف بعدما صلى ركعتين لله عز وجل، فأخذته سنة من النوم، فرأى رسول الله ﷺ في الرؤيا – يربت على كتفه– ويقول له : لا تحزن يا شعراوي فإن لنا بابا بمصر هو الحسين.

أضاف: هنا قام الشعراوي من نومه فرحا مسرورا وظل يردد الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم، وعزم على زيارة الإمام الحسين فور عودته بالقاهرة، وعند وصوله إلى الباب الأخضر للإمام الحسين، لاحظ الشيخ أن عقارا يطل على الإمام الحسين يبنى فحجز به شقة بالدور الثاني العلوى وشقة أخرى خصصها لإطعام الطعام.

أما عن علاقة الشيخ بآل البيت والسادة الصوفية، فكانت تسودها المحبة والوئام، وكان جل اهتمامه في رحاب آل البيت، ويكمن فى شيء واحد نافع وهو إطعام الطعام من باب الحكمة التى تقول لقمة فى بطن جائع خير من بناء ألف جامع.

بدوره أكد القيادي الصوفي مصطفى زايد، أن الشيخ مُحَمَّد متولي الشعراوي أحد أئمة الصوفية في العصر الحديث، فكان متصوفا بالفطرة كباقي المصرين في عصره ولكن سلك طريق التصوف وانتهجه بعد لقائه بالشيخ الصوفي الجزائري مُحَمَّد بلقايد شيخ الطريق الهبرية الشاذلية، عندما التقى به فترة عمله في التدريس بدولة الجزائر وأخذ العهد على يديه.

وأضاف لـ"الوطن": كان يذهب لحضور الحضرات مع مريدي الشيخ بلقايد، الشيخ الشعراوي كان محب لكل الطرق الصوفية وكان يحضر احتفالات الطرق الصوفية في مصر ويشارك معهم.

وللشيخ الشعراوي كتاب "أنا من آل البيت"، وفيه يسرد حكايته التي تظهر فيه حبه لآل البيت والصالحين وتقاربه مع الصوفية من صغر سنه وقد خاض الشيخ الشعراوي حرب ضروس مع المنكرين علي الصوفية وفسر الآيات والأحاديث التي يتخذها المنكرون سندا لفتاواهم، وأثبت فيها جهلهم. حتى الآن ساحة الشيخ الشعراوي المقابلة لضريح السيدة نفيسة ملجأ وملاذ لفقراء ودار علم للمصرين والأجانب الذين يبحثون عن التصوف الحقيقي.

وتابع: الشيخ الشعراوي كان محبا لآل البيت، خاصة سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والسيدة سكينة.

الدكتور مختار مرزوق، أستاذ التفسير، العميد الأسبق لكلية أصول الدين بأسيوط، أكد إن الله تعالى وضع محبة الشيخ الشعراوي في قلوب المؤمنين، إلا ما كان من الحاقدين عليه وعلى الأزهر الشريف، وهؤلاء لا يُعتد برأيهم، موضحا أن الشيخ الشعراوي، رحمه الله تعالى، كان يميل إلى مذهب الخلف، وهو المذهب الأشعري الذى عليه الأزهر الشريف.

لكنه أحياناً كان يذكر مذهب السلف، فيمر على بعض الآيات، ويذكر رأيهم في مسألة الاستواء على العرش على سبيل المثال، فكان يذكر رأى الإمام مالك وقبله ربيعة، وعلى ذلك فلا غضاضة على الشيخ فى الأخذ بمذهب الأشاعرة، وهو مذهب الجمهور سلفاً وخلفاً.

وعن الشبهة المثارة حول تصوف الشيخ الشعراوي، رحمه الله تعالى، أضاف مرزوق أن كثيراً ممن تنقصهم الدقة الفقهية يحكمون على الصوفية بالكفر، لدرجة أن أحد دعاة الفضائيات قيل له: هل أتزوج امرأةً صوفيةً؟ فقال: لا،

لأن عقيدتها فاسدة، لافتاً إلى أن إمام الدعاة قال: حينما دعيت إلى الوزارة، قُلت: قومٌ يُريدون الإصلاح، فكيف أتأخر عنهم؟

يقول رجب البنا الباحث في التصوف الإسلامي في إحدى مقالاته بالأهرام، اتصلت يوما بالشيخ الشعراوي لتحديد موعد لإجراء حديث عن رأيه في التصوف والفرق الصوفية وزيارة أضرحة الأولياء والصلاة داخلها وتقبيل الأضرحة وطلب قضاء الحاجات منهم وكان ذلك في السبعينات، وكنت أكتب في الصفحة الدينية في الأهرام، ويومها قال لي: (تعال أهلًا وسهلًا.. أما التصوف فإن العلم به لا ينفع، والجهل به لا يضر، وأما المتصوفة فدعهم في حالهم فليس منهم ضرر لأحد. بعد ذلك عرفت أنه كان في مرحلة من مراحله الأولى متصوفا ومندمجا في حياة التصوف، ولكنه تحول من الممارسات الصوفية الجماعية إلى الممارسات الفردية بالإكثار من الصلاة والصيام وقراءة القرآن وتلاوة الأوراد والصلاة على النبي.

وأنه يفعل ذلك في «الخلوة» في بيته بعيدًا عن العيون، لأنه لا يريد أن يقلده الناس، ويكفى أن يرى الناس منه جانبا واحدا هو جانب الداعية المتفرغ للتأمل في كتاب الله والإعداد لأحاديثه عن تفسير القرآن وعن خواطره الإيمانية، عرفت من الشيخ مُحَمَّد السنراوي الذى كان مستشارا دينيا بالأزهر وكان ملازما للشيخ الشعراوي وهو الذى كان يكتب له خواطره، لأن الشيخ الشعراوي كانت أفكاره تتدفق حرة وبسرعة حين يتكلم بعكس حاله إذا أمسك بالقلم وأراد كتابة ما يجول فى خاطره، وظل الشيخ السنراوي وفيا للشيخ الشعراوي بعد رحيله وأنشأ مكتبة ضمت مقتنياته وأعماله وكتبه ومراجعه التى تزيد على ١٠ آلاف كتاب، وقال عن ذكرياته معه إن الشيخ الشعراوي كان يحب «الموالد» التى تقام للأولياء وفى رأيه أن هذه الموالد فيها متناقضات تدعو للتأمل، ففيها المتعبدون المخلصون، وفيها الأغنياء والفقراء، وفيها السكارى والمخدرون، وفيها

الصالحون والدجالون والنشالون، وكل هؤلاء يحتاجون إلى سماع كلمة الحق ليعرفوا الدين الصحيح، وربما يستفيدون من النصيحة، ومهمة الداعية أن يهتم بمخاطبة المنحرفين والضالين أكثر من اهتمامه بمخاطبة المهتدين الصالحين، ولذلك كان بيت الشعراوي مفتوحًا لكل من يقصده، من يريد حاجة يقضيها له، ومن يحتاج إلى مساعدة مالية يعطيها له دون سؤال، ومن يرد الطعام فإن الشيخ لا يترك ضيفه ينصرف إلا بعد أن يتناول معه الطعام، ولم يكن يتناول طعامه وحده أبدًا، ويظل منتظرًا إلى أن يأتي إليه القاصدون فيأكل معهم، وعموما لم يكن الشيخ الشعراوي يحب أن يكون وحده، ويحب أن يكون الناس حوله دائمًا في البيت أو في المسجد أو في بيوت الأصدقاء الذين يزورهم. وربما كانت علاقة الشيخ الشعراوي بالتصوف نتيجة لحياته في صباه وشبابه في قرية «دقادوس» دقهلية، فقد كانت في هذه القرية طرق صوفية عديدة تعقد حلقات للذكر وتردد الأناشيد الدينية والمدائح النبوية، وقد تأثر في طفولته بالشيخ أحمد الطويل فقيه القرية الذي علمه القرآن، والشيخ مصطفى البياضي الذي حببه في الشعر وعلمه بحوره وعرفه على أشعار كبار الشعراء، والشيخ يوسف النجاتي الذي تعلم منه علوم اللغة العربية.

لقاء الشيخ الشعراوي بشيخه الشيخ مُحَمَّد بلقايد :

يقول سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ :

(الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف) [1]

وها هي الأرواح تلتقي لا تكاد تفصل بينها المسافات وإن تباعدت

فالشيخ الشعراني حين كُلِّف برئاسته لبعثة الأزهر الى الجزائر في عام ١٩٦٣ م وقع في قلبه ان يعتذر ولا يشترك في الرحلة ، ويعقد على هذا عزمه .

وينام الشيخ ليلته بعد ان استبعد فكرة الرحيل ، وفي نومه يرى رجل وضيء

[1] أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣٦) وأخرجه مسلم برقم (٢٦٣٨)

الوجه جميل الطلعة عليه بهاء وسكون يعاتبه برِقَّة ويقول له بهمس المحبين :
لماذا لا تريد القدوم الينا ؟

وتفعل الرؤيا في قلب الشيخ فِعلَها ، وشعر بأنه لم يعد يستطيع رفض السفر الى الجزائر ، فيسافر .

وفي حفل الاستقبال الذي أقيم بمناسبة الذكرى الثامنة لاستقلال الجزائر في القصر الرئاسي بالجزائر وهو اول يوم للشعراني بالجزائر ، لمح الشعراني بين جماعة العلماء نفس الرجل الذي رءاه في منامه ، نفس الرجل الذي عاتبه ، والذي كان السبب بحضوره الى الجزائر ، كان الرجل ينظر اليه وعلى وجهه نفس الابتسامة التي ارتسمت على وجهه في الحلم.

فيبهت الشيخ ، وبعد انتهاء الحفل ، يسرع الشعراني الى الرجل ، وتلتقي الأرواح قبل الأيدي ، وتتعانق القلوب قبل الأجسام .

ويتعرف الشعراني على اسم الرجل (الإمام مُحَمَّد بلقايد) من شيوخ الطريقة الشاذلية في الجزائر، ومؤسس الطريقة الهبرية، وأحد أعلام التصوف .

ولم يكن الشعراني ليحتاج أكثر من ذلك لينطلق في عالم التصوف فقد وجد شيخه .

وشيخه هو من دعاه للحضور اليه ، فلبّى دعوة شيخه .

ويحرص الشعراني طول فترة بقاءه في الجزائر على حضور حلقات الدرس والذكر التي يديرها بلقايد ، كان يجلس بين يديه ، ولم يجلس أبداً جنبه ، وهذا الأدب يُعرَف للمتصوفين مثله ، وفوقه .

ويطلب الشيخ بلقايد من الشعراني ان يجيزه في بعض العلوم ، أنا شيخك في الطريقة وانت استاذي في العلم تعطيني اجازات في هذه علوم ليس لي اجازات بها من هذه الطرق ، فمؤكد ان الشيخ بلقايد وهو العالم الكبير له اجازات ولكنها ليست من هذه الطُرُق ، وهذا تواضع المتصوفين .

وتتوطد المعرفة ويزيد الحب ، وكان حباً بالله ولله ، فما كان له ان ينقص . وما كان لهذه العلاقة والمحبة ان تتكشف للجميع لولا تسجيلاً لرسالة مصَوَّرَة بثها الشعراني قبل وفاته يرسلها لشيخه بلقايد ، فكان وكأنه يودعه فيها ، ويضرب معه موعداً في عالم الأرواح ... كان الشعراني كأنه ينعى في رسالته شيخه الذي دلَّه على الله وأدخله الحضرة ، وينعى نفسه .

ويتوفى الشيخ الشعراوي بعد هذه الرسالة بشهرين ، ويتوفى سيدنا بلقايد بعده بشهرين .

والغريب أن الإمامين وُلدا في نفس السنة ١٩١١، كما توفيا سويًا في ١٩٩٨، لكن «الشعراوي» لحق بالرفيق الأعلى قبل «بلقايد» كما سبق ، بشهرين .

يقول الشيخ برسالته لشيخه التي يتجلى فيها جمال العلم الرباني وجمال المحبة في الله والطريق الى الله :

«بسم الله، والحمد لله، أما بعد.. فإني أحيي شيخنا العارف بالله سيدي مُحَمَّد بلقايد، وأقول له إذا صفى الود حمل الفراق البُعد، والذي يشتاق إلى رؤية أحد هو من غاب عن فكره، وأنت والحمد لله لا تغيب عن فكري، وأشهد الله أنك معي في كل لحظة، لأن الذي تحابنا فيه هو الله، وما دمنا قد تحابنا فيه فنحن في معيته، ومعيته لا تعرف الأزمان المتعددة، ولا الأمكنة المشتتة، واسأل الله أن يجمعني بك جمعًا فوق جمع الأشباح، حتى تتفانى الأرواح، وتصبح مؤهلة إلى ربها خالق الأرواح ، نفع الله بك يا شيخي ، وزاد جاهك وزاد مددك ، حتى يستوعب من الناس ما يتسع له أمرك عند الله ، وحتى تصبح مدعواً لإمامة من أحب الله فيك ، وتبع الله بخضوعه الى سلوكك الحسن بالقدوة الحسنة ، يوم ندعو كل أناس بإمامهم ، وسنكون ان شاء الله من المدعوين لك ، يا إمام الطريق في هذا العصر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وكان الشيخ الشعراني رحمه الله تعالى قد مدح الشيخ بلقايد بقصيدة قال فيها :

نور القلوب و ريّ روح الوارد هبرية تدني الوصول لعابد

تزهو بسلسلة لها ذهبيـــة من شاهد للمصطفى عن شاهد

طوّفت في شرق البلاد وغربها وبحثت جهدي عن إمام رائد

أشفي به ظمأ لغيب حقيقة وأهيم منه في جلال مشاهد

فهداني الوهّاب جلّ جلاله حتى وجدت بتلمسان مقاصدي

واليوم آخذُ نورها عن شيخنا محيِ الطريقِ مُحَّد بلقايد

وفاة الشيخ :

وفي صباح الأربعاء ٢٢ صفر ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٦/١٧م انتقلت الروح إلى بارئها، عن سبع و ثمانين عاما و شهرين و ستة عشر يوما و دفن في قريته دقادوس .

محمّد مهدي بن علي الحسيني الرّفاعي

بهاء الدين الرواس

(١٨٠٥م – ١٨٧٠م) (١٢٢٠ – ١٢٨٧ هـ)

لفَّ لثامه حول وجهه ، ومضى في عمق الصحراء ، يطوف بين الرمال ، يسبّحُ لله ، وخُيّل اليه للحظة أن الكثبان تردد معه تسبيحه ، او تسبّح كتسبيحه ، أليس ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [١]

طاف ببصره في الصحراء حوله ، كانت مترامية ، بعيدة الحدود ، يسكنها صمت عميق ، صمت غريب ، يورثه صفاء وسكينة ، صفاء كان يحتاجه وهو يناجي ربه ويبتهل اليه ، كان يشعر ان السكون الذي يحيطه يتسرّب الى روحه فيمدّها بشوق الى التسبيح ، وأحسَّ أنه في هذه اللحظة يشتاق الى الله أكثر ، وتذكَّر سيدنا موسى النبي صلوات الله عليه ، وشوقّه ، كأنهم يغالبون أشواقهم ، والشوقُ أغلبُ .

واحتضن شوقه ، ومضى في الصحراء ، يتلو آيات من القران الكريم ، ويتفكَّر في عظمة الله سبحانه .

وللحظة طافت بقلبه صورٌ لمدينة ، استعرض بيوتها وشوارعها ، حاول جاهداً ان يعرف تلك المدينة ، وشعر بعجزه عن التذكر ، وكيف له ان يتذكر وهو الذي جال في كل بلاد المسلمين ، فعرف شامها وحجازها ، وصحراء العرب ، وطاف بلاد الترك والعجم ، وبلاد الهند ، لكنَّ ، كل تلك المدن لم تزرع بقلبه ذكرى ، او بقايا من ذكرى يمكن ان يستعيدها في هذه اللحظة ، فقلبه كان منشغلاً بالله ، وما زال ، فلا يثبت به إلا قرآن او حديث او تفسير أو علمٌ بفقه ، كيف له ان يتذكر وهو الذي ارتدى رداء الخفاء واشتغل بالله عن غيره ،

---

[١] الإسراء / ٤٤

فما عرفه الناس ، ولا عرف غير الله .

الشيخ الرواس :

الشّريف محمّد مهدي الرفاعي الشهير بالرَّوَّاس والملقّب ببهاء الدين عالم مسلم وصوفي وشاعر عراقي من أهل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي وأحد أبرز الصوفيين في الطريقة الرفاعية ويعد من أقطاب الصوفية .

اسمه ونسبه :

السيد بهاء الدين مهدي الرواس ابن السيد علي ابن السيد نور الدين ابن السيد أحمد ابن السيد مُحَمَّد ابن السيد بدر الدين ابن السيد علي الرديني ابن السيد الكبير العارف بالله ولي الله الشيخ محمود الصوفي الصيادي الرفاعي ابن السيد مُحَمَّد برهان ابن السيد حسن الغواص ابن السيد مُحَمَّد شاه المعروف بالرندي ابن السيد مُحَمَّد خزام دفين الموصل ابن السيد نور الدين ابن السيد عبد الواحد ابن السيد محمود الأسمر ابن السيد حسين العراقي ابن السيد إبراهيم العربي ابن السيد محمود ابن السيد عبد الرحمن شمس الدين ابن السيد عبد الله قاسم نجم الدين المبارك ابن السيد مُحَمَّد خزام السليم ابن السيد شمس الدين عبد الكريم ابن السيد صالح عبد الرزاق ابن السيد شمس الدين مُحَمَّد ابن السيد صدر الدين علي ابن السيد القطب الشهير أحمد عز الدين الصياد الرفاعي سبط الإمام أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه ابن السيد عبد الرحيم ابن السيد عثمان ابن السيد حسن ابن السيد عسلة ابن السيد الحازم ابن السيد أحمد ابن السيد علي المكي ابن السيد رفاعة القوم ويقال له الحسن نزيل المغرب ابن السيد المهدي ابن السيد ابي القاسم مُحَمَّد ابن السيد الحسن ابن السيد الحسين ابن السيد أحمد ابن السيد موسى الثاني ابن السيد إبراهيم المرتضى ابن السيد الإمام موسى الكاظم ابن السيد الإمام جعفر الصادق ابن السيد الإمام مُحَمَّد الباقر ابن السيد الإمام

زين العابدين علي السجاد ابن السيد الإمام الحسين السبط ابن الإمام علي بن ابي طالب [1]

الولادة والنشأة :

ولد في سوق الشيوخ من أعمال ولاية البصرة في العراق .

وحين كان يخطو في دنيا الطفولة ، وحين امتلك القدرة على التعلم عهد به أبوه الى الملا أحمد ليعلمه القران ، وكانت خير بداية ان يبدأ مسيرة التعلم بخير الكتب ، وما ان بلغ التاسعة من عمره حتى أتمَّ حفظ القران وتعلم ترتيله وقراءته على القراءات السبع .

ويشاء الله للطفل ان يذوق اليتم ويُحرم من حنان الأب والأم في نفس العام ، وسيعوضه الله من فضله خيراً مما فقد .

ويُعهد به الى خاله عبد الله بن السيد يوسف ليربيه ويعتني به ، والظاهر ان خاله كان من أهل الصلاح والتقوى ، فحين بلغ الصبي الخامسة عشر من عمره قطع الخال علائقه بالناس وطلب بيت الله الحرام واصطحب ابن اخته معه ، فجاور مع خاله بمكة سنة ، وفي المدينة سنتين ، ويشاء الله للخال ان يتوفى في المدينة المنورة ، ليبقى الصبي منفرداً إلا من رب كريم يرعاه ويرسم له الى الخير طريقا .

حُبب العلم الى الصبي فطاف على علماء الحرم والمدينة ينهل من علومهم ويأخذ عنم علم الشريعة والحديث والفقه والأصول .

وينكب الصبيُّ اليتيم على العلم ، وهو بجوار الروضة النبوية الشريفة ، فينهل العلم الشريف مقروناً بالعطر النبوي الكريم ... ويفيض الله عليه من خيره ومن فضله .. فكأن يد العناية تُهيؤه ليتحمل عناء التجديد والإضافة في الطريق .. فكان من ذوي الهمم .

---

[1] حلية البشر ص ١٠٠

ويشاء له الله ان يرحل بعدها الى مصر ، ونزل في الجامع الأزهر، وبقي فيه ثلاث عشرة سنة، يتلقى العلوم الشرعية عن مشايخ الأزهر وفضلائه، حتى برع في كل فن وعلم، وهو على قدم التجرد والفقر والانكسار .

ويأتيه الأمر الرباني عن طريق سيدنا رسول الله ﷺ بأن يسير الى العراق ، فيمضي الشيخ في طريق الله الى الله .

والظاهر ان واردات الكرم الإلهي قد أهلَّت عليه وهو في جامع الأزهر ، وسار الى العراق لأمرٍ أراده الله له ، وهذا ما تلمّحُ اليه قصيدته التي قالها ليدلل على تلك الحالة ، ومنها هذه الأبيات :

جاءَ البشيرُ ليعْقوبي بيوسُفِهِ ... أَهلاً بيوسُفِ وقتٍ سرَّ يعْقوبي

رنَّتْ له في طريقِ السَّمعِ داعِيَةٌ ... فقُمْتُ مُبْتهِجاً في طَوْرِ مجْذوبِ

أَرتاحُ هذا قَميصُ الوعدِ مسَّ به ... على عُيونِ فُؤادي كفُّ مَحْبوبي

أَبصرتُ بعد انْطِماسٍ كنتُ أَحمِلُهُ ... وراقَ لي من كُؤوسِ القربِ مَشْروبي

وصِرتُ أَشهَدُهُ في كلِّ بارِزَةٍ ... وصِرْتُ أَقرؤُهُ في كلِّ مكتوبِ

والصَّحوُ يُثبِتُ لي حالاً يُثَبِّتُني ... والمحوُ يُبرِزُ عندي حالَ مسْلوبِ

لم أَخشَ بعد شُهودي حسنَ طلعَتِهِ ... تلوينَ حالي بمعْزولٍ ومنصوبِ

أَطيرُ وجْداً ولي في النَّفْسِ مُثْقَلَةٌ ... فكم لها قلتُ يا لوَّامَتي تُوبي

وراقِصاتٍ على الضِّلعَيْنِ قُلْنَ أَفِقْ ... ما شأْنُ مُنْتَدِبٍ يسعَى كمَنْدوبِ

هذي السَّعادَةُ قد جاءتْكَ رافِلَةً ... ببُرْدِها ضمنَ خِدْرِ الوهبِ مَضْروبِ

و خاطَبَتْكَ به العَلياءُ قائلَةً ... قمْ أنتَ يا ابنَ رسولِ اللهِ مَخْطوبي

وقُمتُ من حضرَتي والأُنْسُ يجمَعُني ... و قد تولَّى رسولُ اللهِ تأْديبي

فساقَني مِنْ أَبي الزَّهراءِ سوقُ هُدًى ... إلى العِراقِ وفاحَتْ نفحَةُ الطِّيبِ

وقيلَ لي خذْ لشيخِ المتَّقينَ يداً ... فتلك أَشرَفُ مَكْسوبٍ ومَوْهوبِ

وكانَ شَيْخي من الأَوتادِ منزلَةً ... وفي أُولي العلمِ فذًّا مثلَ يُعْسوبِ

أَلقى عليَّ إشاراتٍ بدَمْدَمَةٍ رَشيقَةٍ ذات تشريقٍ و تَغْريبِ
بنَى عليها سُلوكي كلُّها حكَمٌ كلؤلؤٍ ببديعِ السِّلْكِ مَثْقوبِ

ويلبي الشيخ الأمر ويقارع طرق البر من مفازة الى مفازة ومن صعدة الى واد حتى انتهت به نوبة المسير بعد مفارقة العريش الى بيداء الشام .

وفي الشام تتنزل الفيوضات الربانية والمنح الإلهية على عبده فيصيح الشيخ من فرط وجده مأخوذاً بواردات الكرم الرباني يقول ﷺ واصفاً تلك الفيوضات :

وهناك قامت بارقة . من مصدر طالعةِ اضرحة الأنبياء العظام أصحاب ديار الشام عليهم الصلاة والسلام، فتوجهت بهمتي مع لوامع البارقة السعيدة اتمسك بخيط كل لامعة . تنتهي إلى ساحة محراب نبيّ . ووقفت في حضرات تلك المحاريب وقوف العبد الذليل باب السيد الجليل، وفرشت خدي بعزية خضوعي، وتحققي في مقام الاستجداء من نوال كل فرد من أفرادهم أعلى الله منارهم . وأسطع في ملكوته أنوارهم والصلاة والسلام من لدن ذاته الربانية عليهم ما تواصلت واردات عوارفه المتواترة الزيادة المصونة من الانقطاع إليهم، وأخذت بأكف الاستجداء مواهبهم السنية وعطاياهم النبوية فانكشف لي بعد تلك الرحمة الهامعة علائق العالمين وظهر لي مشهد الرمزين من حيطة الجمع والفرق في المقامين لا بملابسةٍ تُوهم اتحاداً، ولا بمجانسة تكثّر اعداداً حكم انفصالي لا عن شيء، وشأن اتصالي لا بشيء من مواردات فيوضٍ انتقاها المنح القديم فافرغها من عالية حظيرة الكرم على هذا العبد الفارغ العديم)[1] :

شوارق قدس اطلع الله فجرها بآفاق قلبي فازدهت بالحقائق
فقلت لقلبي والبروق طوارق أعيذك بالرحمان من كل طارق

(واخذتني سابقة عناية من جناب الخليل ابي النبي الأعظم الجليل عليهما ما دام ملك الله اكمل صلوات الله وأتم تسليمات الله . فبرز لي طالع جماله على

[1] انظر بوارق الحقائق ص ٥ – ١٤

فرس بيضاء طرق هامها هام الكوكب الرابع، ونطحت جبهتها جبهت الجرم الثاني متمكناً على متنها بحلة بيضاء، وصفة حسناء، أخذت من أبدع الجمال أتمَّه، ومن أتم الحسن أعمَّه، فصليت عليه في حضيرة ذلك الشهود قائلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على مُحَمَّد حبيبك ابن إبراهيم خليلك وعلى أبيه إبراهيم المقرب في سدة الاصطفا إلى غاية قمة مرتبة الخلَّة صلاة تجمع بها لهما بين المحبوبية والخلة، بكسوة الأبوة وخلعة النبوة على سريري الرسالة والنبوة وترفع لهما عن جمالك حجاب الجلال، وتبرز لطرفيهما من طالع أُنس قدوسيَّتك مظهر الجمال، كما هي في هذا المقام، بسر التحقق على كل حال.

اللهم وكما قَرَّتْ عين عبدك وخليلك إبراهيم بطلعة نجابة ولده عبدك الحبيب الصادق الأمين فابسط له بساط الانس معك، في حضرة الجمع المضيئة بجمال نورك المتلألئ بغرة رسولك سيدنا مُحَمَّد كما يرضاه خليلك لك بك، وكما ترضاه بكرمك وإحسانك له إنك البرّ الكريم، الرؤف الرحيم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فأخذ ذلك المشهد الإبراهيمي ينجلي عن إشراق سرور يقدمه النور، وأُلقيت عليَّ ولله الحمد من قِبَلِه المكرم خلعة السمة العرفانية من طريق الحال حيث ان السير إذ ذاك لا يقوم بعبأ المقام فقابلتني لذلك مشاهد الأكوان بطراز التبريك . أرى قبب العلا وفجاج الثرى . قد خط عليها بقلم النور بورك لعبدالله ووليه مُحَمَّد المهديّ بخلعة العرفان الإبراهيمي بورك هو وهي :

رقصت لي الأشياء لما حفني مدد الخليل وضاءت الأكوان
وبرزت أزهو لا على غيري ولا أنا من يطيش وسرني الإحسان
لما علوتُ وكنتُ دوناً قلت يا قومي السماحُ فكلنا إخوان)[1]

[1] بوارق الحقائق ص ١٤ – ١٥

وتتوالى المنح ويستمر العطاء فسحائب الجود ليس لها حد ، يقول ﷺ :

(ثم تفجرت ينابيع الكرم، وتواردت موائد المنن، فلم يبق نبي كريم، ولا مرسل عظيم، عليهم جميعاً من الله العظيم، أفضل الصلاة والتسليم، الا وكستني واردة من موارد روحه المعظمة ببردة منح تكف المحنة وتمطر بالمنة، وكلما استظليت بظل واردة من مواراتهم، وانبسطت لي شقة كرم من عنايتهم وقفت بالباب الرفيع المحمدي متذللاً لا أبرح حتى أرى توقيع التأييد من ذلك المشهد الأمجد السعيد) [1]

ويستمر شيخنا بسياحته حتى يصل دمشق .

وفي دمشق يحاول الشيطان ان يدخل عليه من خلال هوى النفس ، فيلقي في قلبه :

انك أنت المعان المصان المحفوف بالعوارف واللطائف، اظهر بما أنت فيه من علمك . وصنوف فنونك وطرائف آدابك وتصدر على كرسي الإفادة، بمنطقك، بنحوك، بفقهك، بتفسيرك، بما جمعت من علومك، التي انطوت فيك، انشرها بهذه البلدة الطيبة، وبها تقوم لك وتقعد، أين مثلك في زمانك ؟ أنت بخاري المحدثين وترجمان المفسرين، ودؤلي النحويين، وحسان الأدباء، وأبو حنيفة الفقهاء، وشافعي العلماء .

ويعيش الشيخ متردداً بين البقاء في دمشق والجلوس للإفتاء والتدريس بين الناس ، وبين المضي في طريق مجاهدة النفس ومتابعة السعي ، فيجيئه المدد وهو في حومة الصراع من شيخنا السند السيد احمد الرفاعي قدس الله سره ، فيمضي الى حمص .

وفي كل ذلك كان الشيخ ذاكراً قارئاً متوجهاً الى الله تعالى بكلّيتِه .

واثناء تنقله بين المدن التي مرَّ بها والتي سيمر بها بعد ذلك كان شيخنا رضي

---

[1] بوارق الحقائق ص ١٥

الله عنه يعمل ببيع رؤوس الغنم ليقتات بها وتستّراً عن الناس لينفرد قلبه لله تعالى وحده ، وبهذا سُمّيَ ﷺ بالروّاس نسبة لمهنته .كان ﷺ لا يبقى في مدينة او قرية اكثر من ثلاثة أشهر خوفاً من الشهرة وابتعاداً منه عن هيئة المشيخة مع كونه من العلماء المحدّثينَ ومن الصوفية الصادقين اصحاب الكرامات والخوارق يقول في ذلك ﷺ :

عجبت لرقة هذا الحجاب يشيل الفؤاد النقيّ النقاب
فيظهر معنىً ب هذا الخفا و تبدو ملوك بهذا التراب
ولو دام هذا لشاهدت من خفاه أخيّ العجيب العجاب
رقائق سرّ بأحكامها ثبوت و محو و ام الكتاب
فخلّ الجميع وطر للعلا فهذا طريق الصواب الصواب

العودة الى العراق :

وعاد الشيخ الى العراق موطن اهله ومسكن اجداده ، عاد مأموراً بالعودة لأمرٍ أراده الله تعالى .

عاد الشيخ سائحاً إلى العراق، وفي العراق اجتمع بالشيخ العارف بالله ولي الله السيد عبد الله الراوي الرفاعي، فأخذ عنه الطريقة، ولزم خدمته والسلوك على يديه مدة، وأجازه قدس الله سره وأقامه خليفة عنه .

فكأن عودته كانت للقاءٍ بالشيخ رأس الطريقة الرفاعية المباركة في وقته .

وكعادته لم يطل مُكثَ الشيخ ، وهو الذي ما كان ليبقى بأرض إلا أيامٍ لا تتجاوز المئة .

(ثم طاف البلاد وذهب إلى الهند وخراسان والعجم والتركستان والكردستان، وجاب العراق والشام والقسطنطينية والأنادول والروملي، وعاد إلى الحجاز، وذهب إلى اليمن ونجد والبحرين وطاف البادية والحاضرة؛ واجتمع على أهل الأحوال الباطنة والظاهرة، وأكرمه الله بالولاية العظيمة، والمناقب الكريمة،

والأخلاق الحميدة، والطباع الفريدة، والقطبية الكبرى، والمرتبة الزهرا، وقد تجرد بطبعه عن التصرف والظهور، والتزم الطريق المستور، وعد نفسه من أهل القبور، وكان كثيراً ما يعاود في سياحته إلى بغداد، وكان يتجر لدفع الضرورة والتخلص من الاحتياج، ببيع رؤوس الغنم المطبوخة، فإذا وجد منها ما يدفع الضرورة البشرية، ترك البيع إلى أن تنفذ دراهمه، فيعود إلى البيع، وكان لا يمكث في بلدة سبعة أشهر قط، وأكثر إقامته في البلاد تحت الثلاثة أشهر، وكان يلبس ثوباً أبيض وفوقه دراعة زرقاء وعبا قصيرة من دون أكمام، وحزامه من الصوف الأسود عملاً بالأثر الرفاعي، والسنة المحمدية، واختفاء عن ظاهر الشيخ. وكان قدس سره إمام الوقت وشيخ العصر علماً وعملاً وزهداً وأدبا، براهينه باهرة، وسريرته طاهرة، وقدمه متين، وعزمه مكين، وكشفه عجيب، وحاله غريب. من الله علي بالاجتماع عليه، والانتساب إليه، في بغداد دار السلام، في حضرة الباز الأشهب، والطراز المذهب، مولانا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره ورضي الله عنه، وتبركت بخدمته، وتشرفت ببيعته، وتنورت بمشاهدته، وتعطرت بمشافهته، وأخذ ت عنه الطريقة، ولبست منه الخرقة، وتلقيت عنه بعض علوم الشريعة والحقيقة، فهو شيخي ومعيني، وأستاذي، وقرة عيني وملاذي، وعياذي ومحل اعتقادي، وواسطة استنادي، بلى والله، وهو الشيخ الجليل العارف بالله، المتردي برداء الخفاء المشغول بالله عن غيره، السائح العابد الزاهد صاحب المعارف والعوارف، والبركات واللطائف، والعلم الغزير، والقلب المنير، والسر الصادق، والمدد البارق، والحال العجيب، والشأن الغريب، والعلوم العظيمة، والهمم الكريمة، والآداب المقبولة، والكلمات المنقولة، ولنذكر من شعره العالي هذه القصيدة، وهي مما يدلك على مقامه الجليل، ومكانة مكانه النبيل، وها هي:

طف بوادي القدس من نادي تهامة ... و افرش الخدين في أطلال رامة

و انزل الفيحاء فيحـــا المنحنى ... حيثما أعلى الندى الطامي خيامه

و لك الله إذا وافيتهـــــا ... وأنخت الركب فيها بالسلامة
خذ سلاماً لأصيحاب الحمى ... من كئيب حرك الركب غرامه
واذكر السقم الذي أودى به ... علهم أن يرحموا يوماً سقامه
غلبته يوم بـــــانوا شدة ... أوقعت فيه فما شد حزامه
وهو لا زال كما هم علموا ... ثابت الأقدام زين الاستقامة
هجرت أخلاقه حال امرىء ... جمل يوماً وفي الثاني نعامة
باعهم نفساً نأت عن غيرهم ... وعليهم حملت عبء الملامة
وإذا قالوا لها موتي جوى ... أنشدت للموت دحباً وكرامة
يا أخا الركبان بالله التفت ... أن تعي من موثق الوجد كلامه
مس عني ترب ذياك الحمى ... وأجل في بابه وجهاً وهامة
باب رحب نزل الروح به ... وبه القرآن قد سل حسامه
موطن الإيمان والعلم الذي ... لمعت منه على الكون العلامة
حضرة الرحمة مضمار الهدى ... مهبط الوحي وميزاب الكرامة
مشهدكم شوهدت من ركنه ... دولة الغيب وأعلام الإمامة
كيف لا والمصطفى من هاشم ... فيه ثاو شرف الله مقامه
خير من مس بنعليه الثرى ... وأجل الخلق قدراً وشهامة) [1]

كان ﷺ عظيم التواضع والخلق وارثاً لأسرار جده الرفاعي حتى سمي بالرفاعي الثاني .

كان صاحب علوم عظيمة وهمم كريمة وآداب مقبولة وكلمات منقولة وأشعاره العالية تدل على مقامه الجليل في عالم اللغة والبيان وكان إمام الوقت وشيخ العصر علماً وعملاً وزهداً وأدبا ، واشعاره التي انعقد على كمال جمالها الاتفاق بعد ان ذاعت في الآفاق ، حتى كادت الأيام ترددها طرباً ، والتي قاربت المئة

[1] حلية البشر ص ٩٩ – ١٠٤

ألف بيت شعر .

جال ﷺ في البلدان الاسلامية شرقاً وغرباً وساح في بلاد الشام والحجاز والجزيرة العربية والعراق ولاد الترك وبلاد العجم والهند ثم عاد الى بغداد من جديد .

مؤلفاته آثاره :

مؤلفاته كثيرة منها: [1]

بوارق الحقائق

طي السجل

فصل الخطاب

برقمة البلبل

الدرة البيضاء

الحكم المهدوية

مشكاة اليقين (ديوان)

معراج القلوب (ديوان)

وفاته :

توفي في سنة ١٢٨٧ هـ في بغداد ودفن فيها في الجانب الشرقي منها بمسجد دكاكين حبوب، وقد بلغ من العمر سبعاً وستين سنة.

[1] العقود اللؤلؤيةللنابلسي ص٩٢١

معروف بن فيروز الكرخي

أبو محفوظ

العلم ، والمعرفة ، على أهميتها ، قد لا يكونان الطريق الموصل الى الله ، فالأساس كثرة العمل ، والإخلاص لله فيه .

هذا هو المنهج الذي يتجسَّد من خلال استعراض حياة الشيخ معروف الكرخي، الزاهد والصوفي ، ومن سماه الإمام الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) بعَلَم الزهاد وبركة العصر معروف الكرخي .

فشيخنا قد لا يكون غزير العلم ، لكنه كان كثير العطاء ، قرن قوله بفعل ، كره الجدل ، وروى الناس عنه كرامات عدة .

كان كثير الصيام والقيام والمجاهدة .
لكن أهم قيمة تركها لمن عاصروه وجاءوا بعده هي التسامح ، والمحبة .
فقلب شيخنا كان مفتوحاً للجميع ، وعقله لم يغلق يوماً أمام أحد حتى ولو من كارهيه أو من ناصبوه العداء .
كأن محبته لله سبحانه قد ملأت قلبه ، فلم يعد يتسع لغيرها .

اسمه :

هو معروف بن فيروز الكرخى ويكنَّى بـ«أبو محفوظ»، كان أحد رموز الصوفية الكبار في بغداد، واشتهر بزهده وورعه وتقواه. وكان خليفة القطب المعروف أبو سليمان داوود الطائي. ويقال إنه أخذ الطريقة من مسلكين، الأول عن الشيخ داوود الطائي عن الشيخ الحبيب العجمي عن الشيخ الحسن البصرى عن الإمام على. والثاني عن الإمام على الرضا عن الإمام موسى الكاظم عن الإمام جعفر الصادق عن الإمام مُحَمَّد الباقر عن الإمام على زين العابدين عن الإمام الحسين عن الإمام على. وقد روى عن داوود الطائي وابن السماك وعلى الرضا وبكر بن خنيس.

البِدء .. من اللطف الرباني :

كان نصرانيّاً ، ومن أبوين نصرانيين .
وحين أراد الله به خيراً ، سبقت اليه العناية واللطف الربانيُّ ، فكانت جذبة ، تعلّق قلبه بعدها بالله ، وصار من الساعين اليه ، بإخلاص .
كان مدخل معروف الكرخي الى الإسلام نوع من الهداية الربانية الملهمة .
فجاء الى الإسلام صبياً ، وكأن الإسلام هو الذي اختاره اليه .
صبياً نصرانياً ، من عائلة نصرانية ، فكان موعده مع الإسلام في (الكتّاب) حيث المعلم يعلم الصبيان القراءة والكتابة .

وحين كان الصبيان يتعلمون الدروس ، والتعليم ، كان معروف يتلقى الضرب بالعصا ، لأنه كان يتكلم بعكس ما يقوله المعلم .

هذا ما ينطق به خبر اسلام معروف الكرخي ، وعلى لسان أخيه عيسى ، الذي قال :

(وتُروى الواقعة ذاتها بدقة على لسان أخيه عيسى، إذ يقول:

كنتُ أنا وأخي معروف في الكُتَّاب وكنا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان أب وابن، فيصيح أخي معروف «أحد أحد»، فيضربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً، حتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً، فهرب على وجهه. فكانت أمي تقول: لئن ردَّ الله عليَّ ابنى معروفاً لأتبعنه على أي دين كان .

فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له: يا بُنى على أي دين أنت ؟ قال: على دين الإسلام ، قالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحَمَّداً رسول الله فأسلمت أمي، وأسلمنا كلنا) [1]

انه الإجتباء الرباني ، والله تبارك وتعالى يقول :

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ [2]

وبذا سجّل العارف معروف أول فتح للإسلام على يديه مبتدئاً بأبويه .

ويقال انه دخل الإسلام عن طريق الإمام علي بن موسى الرضا [3]

ويقول عنه تلميذه السري السقطي : هذا الذي أنا فيه من بركات معروف .

قال العباس بن مسروق :

بلغني ان السري السقطي كان يتجر بالسوق وهو من أصحاب معروف الكرخي ، فجاء معروف يوماً ومعه صبي يتيم ، فقال له :

---

[1] صفة الصفوة ص ٤٢٣ برقم ٢٦٠

[2] الشورى / ١٣

[3] فرسان العشق الإلهي ص ٢٣٥

اكسُ هذا اليتيم .

قال السري : فكسوته .

ففرح به معروف وقال : بغَّضّ الله اليك الدنيا وأراحك مما أنت فيه .

فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض اليَّ من الدنيا ، وكل ما انا فيه من بركات معروف .

الزاهد المتعبد :

عُرف معروف الكرخي بشدة ذوبانه في تأدية فروض الصلاة .

كان وهو يؤدي الطاعات محض روح ، فكأنه كان بلا جسد ، فيقع له التأثر تحت صيحة الإيمان العميق الذي يأخذه من عالم الماديات الى عالم الأرواح ، مما يجعله مصروفاً بكُلِّيته الى الدخول في الحضرة الربانية ، متوجّهاً الى ربه بالشهادة والدعاء .

كان ﷺ يتوجه الى الله بقلبه وروحه وبكل جوارحه ... كانت الصلاة لحظة من لحظات الوصال ، او ساعة لقاء بالحبيب المولى .

ومع انه معروف بعدم التنفل إلا في يوم الجمعة بركعتين خفيفتين [1] ، فإن الصلاة كانت عنده معراجاً روحياً ، فلا يعود يعرف غير الله ، وكان يطرأ عليه التغيير ، على وجهه وجميع جسمه حين يقرأ الأذان في مسجده المقام في داره .

(فلما أخذ الكرخي في الأذان اضطرب وارتعد حين قال :

أشهد ان لا اله إلا الله ، فقام شعر حاجبيه ولحيته ، حتى خفت ان لا يتم أذانه ، وانحنى حتى كاد ان يسقط) [2]

كانت العبادة في نظر الشيخ الكرخي ليست مجرد فرض يؤدّى او قراءات تُتلى وعبادة طقوسية يومية ، بل كانت لحظة دخول في حضرة ملك الملوك

---

[1] حلية الأولياء ٨/ ٣٦٥ برقم ٤٣٦

[2] حلية الأولياء ٨ / ٣٦٣ برقم ٤٣٦

فيُستحضر فيها ما تستلزمه من أدب الدخول على الجليل ، والتفرّغ مما سوى الله ، فيتقلّب في عوالم الجلال ، وعوالم الجمال ، عوالم التفرّد أمام المعبود ، وعوالم الرجاء بالرب الرحيم ، انها استشعار هول المحاسبة ، مثلما يستقبل بركات المغفرة.

ولم يكن شيخنا الكرخي يفارق الذكر ، كان في معيَّة الله دوماً .

حتى يروى ان الحلّاق لم يتمكن من معالجة شاربه لأنه لم ينقطع عن التسبيح .

(كان حجام يأخذ من شارب معروف وكان معروف يسبح ، فقال الحجام : لا يتهيأ أخذ الشارب وأنت تسبح .

فقال معروف : أنت تعمل وانا لا أعمل ؟)[1]

وكان ﷺ ورعاً ، ولا يحب التحدّث عن ورعه وعن عبادته .

كان اذا دُعي الى طعام ، وكان صائماً ، أكلَ حتى لا يقال انه صائم .

(وعن عيسى – أخي معروف – قال :

دخل رجل على معروف وهو في مرضه الذي مات فيه ، فقال :

يا أبا محفوظ أخبرني عن صومك ؟

قال : كان عيسى عليه السلام يصوم كذا وكذا .

قال : أخبرني عن صومك ؟

قال : كان داود عليه السلام يصوم كذا وكذا .

قال : أخبرني عن صومك ؟

قال : كان النبي ﷺ يصوم كذا وكذا .

قال : أخبرني عن صومك ؟

قال : أما انا فكنت أصبح دهري صائمه ، فإن دُعيت الى الطعام أكلت ولم أقل : اني صائم) [1]

---

[1] حلية الأولياء ٨ / ٣٦٤ برقم ٤٣٦

ومرَّ الشيخ ﷺ يوماً بسقّاء يقول : رحم الله من يشرب .
وكان صائماً فتقدم وشرب ، فقيل له : ألم تكن صائماً ؟
فقال : بلى ، ولكني رجوت دعاءه [٢]
ومن زهده ان رجلاً أتى الشيخ معروف بعشرة دنانير ، فمرَّ سائل فناوله اياها ، وكان يبكي ويقول :يا نفس كم تبكين ، أخلصي تخلصي [٣]

منهجه في التصوف :

كان الإمام – وهو شيخ وإمام في علوم القوم – ذا منهج خاص في التربية الصوفية ويتضح هذا المنهج من تتبع بعض أقوال الشيخ ﷺ وأفعاله والتي تنبئ عن علو قدمه في ميدان المعرفة ,

وحين أخذ الشيخ مفتاح فتوحه من سيدي علي الرضا كان قد بدأ حياة جديدة قوامها الجهاد الأكبر ، جهاد النفس ، فأحسن تربية نفسه قبل ان يربي تلاميذه .

ويوم سُئل عن حقيقة الوفاء قال : إفاقة السر عن رقدة الغفلات ، وفراغ الهم من فضول الآفات [٤]

وهذا يعني تخلية السر لله تعالى وتصفية القلب من الغفلة ومن كل ما من شأنه ان يشغل عن الله تعالى .

وسُئل ﷺ : بم تخرج الدنيا من القلب ؟

فقال : بصفاء الود وحسن المعاملة . وللصفاء ثلاثة علامات : وفاء بلا خلاف ، وعطاء بلا سؤال ، ومدح بلا حدود [١]

---

[١] صفة الصفوة ص٤٢٣ برقم ٢٦٠

[٢] الرسالة القشيرية ص ٥١

[٣] فرسان العشق ص ٢٣٧

[٤] طبقات الصوفية ص ٧٢

ويقول : علامة الأولياء ثلاثة : همومهم لله ، وشغلهم فيه ، وفرارهم اليه [٢]
وحين سأله ابو سليمان الداراني عن الطائعين بأي شيء قدروا على الطاعة ؟
فقال : بإخراج الدنيا من قلوبهم ، ولو كان منها شيء في قلوبهم ما صحَّت لهم سجدة .

وهذا معراج سامٍ في مراقي الحقائق .

ان الإمام معروف الكرخي لم ينطق بهذه الكلمات إلا بعد ان تحقق بها .

لذلك ، فكلماته تنفذ الى القلب لأنها من القلب ولأنها صدرت عن اخلاص لله تعالى ..

كانت تلك الكلمات سلوك الكرخي ﷺ واسلوب حياته .

يقول شيخنا : توكل على الله حتى يكون هو معلمك ومؤنسك وموضع شكواك ، وليكن ذكر الموت جليسك الذي لا يفارقك [٣]

وهذا حال اهل المعيَّة مع الله ، في كل احوالهم هم مع الله ، وبهذا صار المعروف الكرخي ﷺ عبداً ربانياً ، يبصر بالله ، وبه يسمع ، وبه يفعل كل شيء .

كان ﷺ حريصاً على نفسه ويوصي من معه بالحرص والحذر ، كان همه التقوى ، تقوى الله وطاعته .

يقول ﷺ : اذا كنت لا تحسن ان تتقي ، أكلت الربا ، ولقيت المرأة فلم تحسن ان تغض عنها ، ووضعت سيفك على عاتقك .

وكان الصدق يمثل للشيخ حجر الزاوية ، وجوهر التصوف ، فهو يقول :
ما أكثر الصالحين ، وأقلَّ الصادقين في الصالحين [٤]

---

[١] حلية الأولياء ٨ / ٣٦٧ برقم ٤٣٦

[٢] حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠

[٣] حلية الأولياء ٨ / ٣٦١ برقم ٤٣٦

[٤] طبقات الصوفية ص ٧٢

كان تصوفه ﷺ جهاداً في الله وبالله ، كان حريصاً ألا يُذنب ، فأعانه الله تعالى على نفسه ، فهو يقول في ذلك : ما أبالي رأيت امرأة او رأيت حائطاً .

مؤمن تمكَّن من نفسه ، فصار يقودها لما يرضي الله ، فانقادت .

كان منهجه واضحاً فالتصوف عنده يتناول القلب ، قبل ان يشمل ما سواه .

جاء في الأخبار :

(دعا معروفاً الكرخي أخ من اخوانه الى وليمة .

وكان قدّامه بعض السيّاح ، فأخذ معروف بيده ، فلما رأى السائح تلك الألوان من الطعام أنكرها وقال : يا أبا محفوظ أما ترى ما ههنا ؟

قال الشيخ : ما أمرتهم بشرائه .

فلما رأى الحلواء ، قال : يا أبا محفوظ أما ترى ما ههنا ؟

قال : ما أمرتهم بصنعته .

فلما رأى القصور والملاحات من الحلواء ، قال : أما ترى ما ههنا ؟

قال معروف : قد أكثرت عليَّ ، أنا عبدُ مُدَبِّر آكل ما يطعمني وأنزل حيث يُنزلني .

وقال ابن اخت معروف قلت له : يا خال أراك تجيب كل من دعاك ؟

فقال : يا بني خالك ضيفٌ ، ينزل حيث يُنْزَل) [1]

ومن شدة شوقه الى الله ، وقلقه من الدنيا ، كان يتخوّف من الذنوب التي تلصق بالإنسان رغم بذله الجهد والحرص في الابتعاد عنها .

ومع إن ايمانه وتقواه وورعه الصوفي كان يُضرب به المثل ، فإنه كان ينعى على نفسه مجيء الذنوب اليه وكأنها مشغوفة به .

وقد سمعه جار له يبكي وينوح وقت السَحَر وهو يقول :

أيُّ شيء تريد مني الذنوب شُغفت بي فليس عني تغيب

---

[1] انظر صفة الصفوة ص٤٢٣ برقم ٢٦٠

ما يضر الذنوب لو أعتقتني رحمةً بي ، فقد علاني المشيب [1]

ان تشكّيه المرير من الذنوب ، على عبادته وورعه ، هو استجلاب للتوبة والاستغفار ، فهو من الذين يطلبون التوبة بذنبٍ او بدون ذنب .

وهذا حال المتصوفين التوابين العابدين .

ان هذه الخشية من الله ، وشوقه اليه ، كان لها تأثير روحي ونفسي عميق لدى الشيخ ، أورثه خصوصية وفهم واحساس متميز بالزمن والوقت ، فكان يتصرف وكأن الموت قريب منه ، وكأن الزمن او الوقت المتبقي له في الحياة معدوم او سيتلاشى في أي لحظة .

كان يشعر ان الموت قريب منه ، بل وأقرب من كل الأشياء من حوله .

ويوم يسأله رجل ان يوصيه ، يقول له : أكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك

جليس غيره [2]

وهذا الشعور من شأنه ان يجعل الحياة لديه فرصة للعمل الموصل الى الله ، كان رجل يتهيأ في كل لحظة لملاقاة الموت .

وهذا ما يفسر الخبر الذي رواه ابو زكريا الحمّال حين قال :

(بال معروف على الشطِّ ، ثم تيمم ، فقيل له : يا ابا محفوظ الماء قريب منك فقال : لعلي لا أبلغه) [3]

(وعن السري بن سفيان الأنصاري قال :

أقام معروف الصلاة ، ثم قال لمحمد بن أبي توبة : تقدّم فصلِّ بنا ، وذلك أنَّ معروفاً كان لا يؤمُّ إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره .

---

[1] صفة الصفوة ص ٤٢٤

[2] صفة الصفوة ص ٤٢٤ برقم ٢٦٠

[3] طبقات الصوفية ص ٧٢

قال مُحَمَّد بن أبي توبة : إن صليت بكم هذه الصلاة ، لم أُصلِّ بكم صلاة أخرى
قال معروف : وأنت تحدِّث نفسك أن تصلي صلاة أخرى ؟ نعوذ بالله من طول الأمل ، طول الأمل يمنع خير العمل .

وقال مُحَمَّد بن منصور الطوسي : كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرأة سائلة فقالت : أعطوني شيئاً أفطر عليه فإني صائمة .

فدعاها معروف وقال لها :

يا اختي سرُّ الله أفشيتهِ وتأملين ان تعيشي الى الليل ؟) [1]

ان هذا الشعور لدى شيخنا بتبدد الزمن جعله مترقِّباً للحظة الموت ، ولا يغفل عنها .

وهذا الشعور أورث الشيخ معروف الزهد في الدنيا ، وشدَّة محاسبته لنفسه .

وهذا الفهم للزمن ، وانتظار الموت ، جعل تحصيله للعلم تطهير ذاتي وتوعية لنفسه ، كان العلم عند الشيخ معروف وسيلة للتزكّي ، والمعرفة لديه هي وسيلة لتمييز الطريق الأمثل للوصول الى ما يُرضي الله ويقرِّب اليه ، فلم يكن ينشغل بالعلم الفقهي والتربوي كالكثير من شيوخ التصوف .

كان مؤمناً بسيطاً وعابداً متصوفاً يتبع فطرته السليمة ، فكان يبتعد عن الجدل وتعقيداته .

كان يحمل براءة أهل الزهد الأوائل الذين يتلمسون الطريق الى الله بقلوبهم .

ولم يكن الشيخ قدس الله سره يميل الى الخلافات المذهبية والتعقيدات الجدالية الكلامية .

أليس هو القائل :

(إذا اراد الله بعبدٍ خيراً فتح الله عليه باب العمل وأغلق عليه باب الجدل ، وإذا اراد الله بعبدٍ شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل) [1]

---

[1] صفة الصفوة ص ٤٢٣ برقم ٢٦٠

وقد يكون لبداية الشيخ ، وبداية سلوكه دوراً مهماً في بلورة هذا التوجه ، فتوجّه الشيخ الى الإسلام سبق وعيه المعرفي والعلمي ، فالله سبحانه وتعالى اجتباه الى طريق الخير وهو صبي لا يعرف من العلم إلا حدوده الدنيا .

لقد عرف الشيخ معروف الطريق الى الله ، قبل ان يعرف كيف يكتب اسمه ، فالإيمان سبق المعرفة لديه ، ثم أنار الله قلبه بما شاء من الحكمة النافعة ، والعلم الذي يليق بأحباب الله وبمن اصطفى ، سبحانه وتعالى .

وقد أثَّرَ سلوكه فيمن حوله أكثر من تأثير المحاضرات والجدال .

فاجتمع حوله الرجال بعد ان تعلقت قلوبهم به ، وبعد ان كان مثالاً للزاهد ، والعابد ، والمتصوف الذي يتطابق علمه مع سلوكه .

(كان معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه قد وعى العلم الكثير ، فشغلته الوعاية عن الرواية)[٢]

لم يتحدَّث بالكثير ، لكن الناس تحدّثوا عنه كثيراً .

ولم يروي الكثير ، لكن الناس رووا عنه الكثير ، رووا عن كراماته ، أفعاله ، زهده ، توكّله .

وجماهير بغداد التي خرجت للصلاة عليه يوم وفاته ، ولتشييعه ، دليل على تأثيره فيمن حوله ، انه تأثير السلوك ، وتأثير الإخلاص في العمل .

(جاء رجل من الشام الى معروف ليسلم عليه ، فقال له : إني رأيت في المنام يُقال لي : اذهب الى معروف فسلِّم عليه فإنه معروف في أهل الأرض ، ومعروف في أهل السماء)[٣]

---

[١] حلية الأولياء ٨ / ٣٦٣ برقم ٤٣٦

[٢] حلية الأولياء ٨ / ٣٦٣ برقم ٤٣٦

[٣] متصوفة بغداد ص ٧٠

(سأل ابن عيينة بعض المصلين : من اين أنتم ؟ قالوا : من أهل بغداد .
قال : فما فعل ذلك الحبر ؟ قالوا : من ؟
قال : معروف ، لا تزالون بخير ، ما زال فيكم) [1]

سعة قلب الشيخ وتسامحه :

ومما يدل على تسامحه، وسعة أفقه، أنه نزل يوماً إلى دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفة فجاءت امرأة فأخذتهما، فتبعها، وقال لها: أنا معروف، لا بأس عليكِ ، ألك ولد يقرأ القرآن ؟
قالت: لا ، قال : فزوج ؟ ، قالت: لا ، قال : فهات المصحف، وخذي الملحفة .
وكان قاعداً على دجلة ببغداد حين مّر به غلمان في زورق ، يضربون الملاهي ويشربون الخمر ؛ فقال له أصحابه :
أما ترى هؤلاء يعصون ، ادع الله عليهم ، فرفع يديه إلى السماء ، وقال :
إلهي وسيدي ، كما فرَّحتهم في الدنيا أسألك أن تفّرحهم في الآخرة .
فقال له أصحابه : إنما قلنا لك: ادع عليهم ،
فقال : إذا فرَّحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم شيء .[2]
وفي واقعة أخرى تدل على تسامحه ، قال الحنفي في «الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية » :
(لما اعترض أحد مريدي الشيخ معروف على أسفه لعدم تمكنه من الصلاة على جنازة الإمام أبي يوسف بقوله : أنت تأسف على رجل من أصحاب السلطان يلي القضاء ، ويرغب في الدنيا إن لم تحضر جنازته ؟
أجابه بالقول :

---

[1] حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠
[2] صفة الصفوة ص ٤٢٤ برقم ٢٦٠

رأيت البارحة كأني دخلت الجنة ، فرأيت قصراً قد فرشت مجالسه ، وأرخيت ستوره ، وقام ولدانه ، فقلت لمن هذا القصر ؟

فقالوا ليعقوب بن إبراهيم الأنصاري أبي يوسف .

فقلت سبحان الله ، بم استحق هذا من الله ؟

فقالوا : بتعليمه الناس العلم ، وصبره على أذاهم) [1]

كراماته ﷺ :

(مما روي عن كراماته أن أحدهم في بغداد فقد ابناً له ، فشكى ذلك إلى صديقه ، فنصحه بأن يذهب إلى معروف الكرخي كي يدعو الله له حتى يرد عليه ولده.

فلما جاء الرجل إلى الكرخي رفع يده إلى السماء وقال :

اللهم إن الأرض أرضك ، والسماء سماؤك ، وما بينهما ملكك ، فاردد عليه ولده .

فذهب الرجل الى احد ابواب بغداد فوجد ابنه واقفاً مذهولاً فقال له : يا مُحَمَّد ، فقال : يا أبت إني كنت الآن بالأنبار .

وقال ابن شيرويه : قلت لمعروف بلغني أنك تمشي على الماء ،

قال: ما وقع هذا، ولكن إذا هممت بالعبور جمع لي طرفا النهر فأتخطاه.

وقال ابن مسروق نفسه: حدثنا يعقوب ابن أخي معروف أن معروفاً استسقى لهم في يوم حار ، فما استتموا رفع ثيابهم حتى مطروا) [2]

وعن عامر بن عبد الله الكرخي أنه قال :

---

[1] فرسان العشق ص ٢٣٧

[2] صفة الصفوة ص ٤٢٤

كان في جواري نصراني فقال لي : ما حصلت من عمري ثمرة ولا ولد لي فانطلق إلى وليٍّ ليهب لي ربي ولداً .

فأتيت به إلى مجلس معروف الكرخي فذكرت حاله، فكلَّفه أولاً بالإسلام ، فقال النصراني : ما تقدر على إسلامي بغير هداية الله تعالى .

فدعا الشيخ ورفع كفيه وقال :

اللهم إني أسألك أن ترزقه ولَدا يكون باراً بوالديه ويكون سبب إسلامهما .

فاستجاب الله دعوة الشيخ ، وولد له ولد فشبَّ وصار لايقاً للتعليم ، فأجلسه ابوه عند معلم ، فقال المعلم : القلب ما أقول ، فقال الولد: لساني عن التثليث معقول وقلبي بحب الواحد مشغول .

فقال المعلم: حصِّل الذي عليه ملَّتك ودع الذي لا دليل له فإن لساننا كليل عن ذلك .

فلما ابتدأ بحروف الهجاء قفا كل حرف بتوحيد الله تعالى فوافق التوفيق المعلم فأجرى كلمة الشهادة في قلبه وذهب بالصبي إلى أبويه ووصف لهما فطنته وذكاءه وكمال عقله واستدلاله ودعاهما للإسلام فكسرا الصليب وأسلما وتبعهما قدر خمسمئة نفس للإسلام .

فهذا ببركة دعائه وفيض أنفاسه لذلك الصبي [1]

وفاته رحمه الله تعالى :

سكن الكرخي بغداد ومات فيها وُدفن عام ٢٠٠هـ ،، ٨١٥ م ، في مقبرة الشونيزية على جانب الكرخ من بغداد، وسميت فيما بعد «مقبرة الشيخ معروف» .

ويقول ابن نباتة في «سرح العيون» ، شيعت بغداد في ساعة واحدة معروف الكرخي وأبا نواس ، وربما دفنا في مكان واحد .

---

[1] فرسان العشق ص ٢٣٨

وقال أبو العتاهية : توفي أبو نواس ببغداد سنة مئتين هو ومعروف الكرخي في يوم واحد ، فخرج مع جنازة معروف ثلاثمئة ألف ، ولم يخرج مع جنازة أبي نواس غير رجل واحد ، فلما دفن معروف ، قال قائل: أليس جمعنا وأبا نواس الإسلام ، ودعا الناس فصلوا عليه ، فرئي في المنام ، فقيل له :

ما فعل الله بك ؟

فقال : غفر لي بصلاة الذين صلوا على معروف وعليَّ .

وعلى رغم تقادم الزمن، وتوالي الغزاة على بغداد ، وتخريب الكثير من آثارها على أيدي المغول والعثمانيين والإيرانيين ، فإن قبر الكرخي بقي مصاًنا إلى الآن، وهو ما يفسره رشيد خيون بقوله :

لعل في ذلك إيماءة أخرى إلى أن صاحب الضريح ظل معروفاً بين الناس فوق الميول والاتجاهات .

ويقول أبو بكر الزجاج : قيل لمعروف الكرخي في علَّته : أوصِ ، فقال :

اذا متُّ فتصدقوا بقميصي هذا فإني أحب أن أخرج من الدنيا عرياًنا كما دخلت إليها عرياًنا [1]

[1] فرسان العشق ص ٢٣٨

حرف الفاء

ف

الفضيل بن عياض التميمي

الاسم والنشأة :

ابو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي

عربي من تميم ، القبيلة العربية .. ولد في خراسان من ناحية مرو [1]

وكان أبوه معروفاً بخشية الله والخوف منه .

يقول سفيان بن عيينة ، العالم المشهور :

(ما رأيت أحداً أخوف لله من الفضيل وأبيه)

وأحب الوالد المؤمن ان ينشأ ابنه على غراره ، تمنى ان يرث ابنه حبه لله وان يسير في ذات الطريق الذي ساره وان يسلك نفس الدرب الذي سلكه ، درب الى الله .

---

[1] صفوة الصفوة ص ٣٩٧

لكن الشاب انحرفت به الحياة فابتعد عن درب أبيه ، أو حاد عنه ، واستغرقته الحياة وأحاطت به ، كغيره من الشباب الذين أحاطتهم .

لكن عناية الله تداركته وأحاطته الرعاية الربانية وما كان ليضيع من أراد الله له الهدى .

التوبة :

ويحصل انقلاب مفاجئ في حياة الشاب وكأن جو الاستقامة التي نشأ فيه وجو الإيمان الذي تفتحت عينه عليه ما زال كامناً في قلبه ولم ينمحي أثره . وان فطرته ما زالت سليمة .

ويعود الشاب الى ربه ليصير البعد قرباً ، ويستحيل الانشغال عن الله سبحانه انشغالاً به وإقبالاً عليه ...

وكان لكل شيء سبباً يُحرِّكه مسبب الأسباب .

(يقول الفضيل بن موسى كما يروي صاحب كتاب تهذيب التهذيب :

كان الفضيل بن عياض ، شَطّاراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس .

وكان سبب توبته انه عشق جارية ، فبينما هو يرتقي الجدران اليها ، إذ سمع تالياً يتلو :

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ [1]

فلما سمعها قال :

بلى يا رب قد آن .

فرجع فآواه الليل الى خربة ، فإذا فيها سابلة ، فقال بعضهم :

نرتحل ، وقال بعضهم : حتى نُصبح ، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا .

قال : ففكرت ، فقلت : أنا أسمع اسمي بالليل في المعاصي ، وقومٌ من المسلمين يخافونني هاهنا ، وما أرى الله سائقي اليهم إلا لأرتدعَ ...

---

[1] الحديد / ١٦

اللهم اني قد تبت اليك ، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام)[1]

آية من القران الكريم فعلت فعلها في قلب الفضيل ، بعد ان وجدت صداها في روحه ، فحرّكت فيه ذلك الحب القديم لله ، الحب المحفور في القلوب مع الفطرة الأولى .

ربما لم يكن ثمة تلاوة ولم يكن ثمة تالٍ ، لكنه القلب الذي تلى والروح التي استمعت ، الروح التي تتطلع الى دنيا النور والسكينة والصفاء .

وينوي التوبة الى الله تعالى ، ليبدأ حياة جديدة ، حياة في دنيا النور ، ويقرر ان يكون البيت الحرام مستقر حياته ليكون جسده قريباً كقرب روحه ، نوى مجاورة بيت الله الحرام .

في مجالس علم الكوفة :

ويشد الرحال ، بعد ان شدَّ قلبه رحاله ، ويتوجه الى الكوفة ، والظاهر انه أراد ان يتزوّد بالعلم قبل توجهه الى بيت الله الحرام ، أراد ان يتسلح بالعلم ، لتكون توبته على هدى ، ويكون سيره بعلم وبمعرفة صادقة .

تقول كتب الطبقات والسِيَر ان الفضيل (قَدِمَ الكوفة وهو كبير) [2]

وفي الكوفة راح الفضيل ﵁ يسابق وقته في تحصيل العلم ، وكان توجَّه لدراسة حديث رسول الله ﷺ فأوقف نهاره على كبار اساتذة الحديث الشريف ، ويمضي ليله في مراجعة ما قرأ في نهاره .

ويستفيد شيخنا ﵁ من قوة ذاكرته في حفظ الحديث والسند ، يدفعه تعطشه للمعرفة وحرصه على طلب العلم والاستزادة منه لتعويض السنين التي سبقت توبته واستدراك ما فاته .

---

[1] الفضيل بن عياض ص ١٣

[2] طبقات ابن سعد

من التوبة البسيطة الى التوبة الواعية :

ويعيش الفضيل ﷺ في رحاب السيرة العطرة والحديث النبوي الشريف وكان كلما ازداد عِلُمه بالحديث النبوي ، وكلما ازداد حفظه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذت توبته تأخذ شكلاً جديداً وطعماً جديد ، صارت توبته متابعة دقيقة لنهج رسول الله ﷺ ولتعاليمه وهديه.

ويتعلق شيخنا بعلم الحديث فيقبل عليه بكلّيته ، يقبل عليه بعقله وروحه .

وبعد رحلة العلم والمعرفة ، وبعد التزوّد بالهدي النبوي ، صار السفر الى مكة ومجاورة البيت الحرام ضرورة ، لا يفرضها العقل فحسب ، بل الروح والقلب ، فالقلب يهفو لمهبط الوحي الأول وبيت الله الذي جعله الله مثابة وأمناً .

وبعد ان رأى الشيخ نفسه أهلاً للذهاب الى بيت الله الحرام ، شدَّ رحاله الى مكة أحبُّ أرض الله الى قلب نبيه ﷺ ، حيث سيجاور بيت الله الحرام طول حياته الى ان مات فيها في اول سنة سبع وثمانين ومائة ، عن عمرٍ يقرب الثمانين سنة ويدفن بباب المصلى .

في جوار البيت الحرام :

وبمكة حيث استقر بشيخنا المقام تزوج ورزقه الله بابنه علي ، الذي يُكنّى به ، وبأبي عبيدة الذي رُزق به على كبر .

وكان الفضيل رحمه الله تعالى يعيش وينفق على عياله من عمل يده ومن كسبٍ حلالٍ فقد كان يسقي للناس مقابل أجرٍ .

(يقول ابن حبان عنه :

أقام بالبيت الحرام مجاوراً ، مع الجهد الشديد ، والورع الدائم ، والخوف الوافر ، والبكاء الكثير ، والتحلّي بالوحدة ، ورفض الناس ، وما عليه من أسباب الدنيا ، الى ان مات بمكة) [1]

---

[1] الفضيل بن عياض ص١٨

كان رحمه الله تعالى لا يأكل الا من كسب يده ، متعففاً زاهداً .
ومثل هذا يترك أثره في القلوب حتى ولو كانت قلوب الملوك .
وكان ﷺ يرى في الفقر نعمة ، وذلك من تمام رضاه ، فكان ﷺ يقول في مناجاته مع مولاه :
(أجَعْتَني وأجعتَ عيالي ، وتركتني في ظُلَمِ الليل بلا مصباح ، وانّما تفعل ذلك بأوليائك ، فبأي منزلة نلتُ هذا منك)
وعن بشر بن الحارث قال: قال فضيل بن عياض: لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحب إليَّ من أن أطلبها بالعبادة .

الفضيل الزاهد .. والملوك :

لم تكن حياته مترفة مع ان الدنيا كانت تُعرض عليه عن طريق الملوك والأمراء والأثرياء ، فكانوا يرسلون اليه الدنانير والهدايا فكان يرفضها ويأبى أن يمسها ، فما كان يأكل الا من كسب يده .
ومما نقلته كتب السير عن زهد الفضيل وتعففه :
(وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ أتيتك فقال: ويحك قد حكَّ في نفسي شيء فانظر لي رجلا أسأله فقلت ها هنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فحدثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم فقال أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئا انظر لي رجلا اسأله فقلت له هاهنا عبد الرزاق بن همام قال امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال من هذا ؟ قلت: أجب أمير المؤمنين .

فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك قال خذ لما جئناك له.

فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال أبا عباس اقض دينه .

فلما خرجنا قال ما أغنى صاحبك شيئا انظر لي رجلا اسأله قلت ها هنا الفضيل ابن عياض قال امض بنا إليه فأتيناه فإذا وهو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها فقال اقرع الباب فقرعت الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال ما لي ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله أما عليك طاعة ؟

فقال : أليس قد روي عن النبي ﷺ انه قال :

(ليسَ للمؤمنِ أن يُذِلَّ نَفسَهُ)

ثم نزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفا المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلي إليه فقال يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله عز وجل فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال له خذ لما جئناك له رحمك الله .

فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومُحَمَّد بن كعب القرظي ورجاء ابن حيوة فقال لهم إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي فعدَّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله :

إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصُم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت .

وقال له مُحَمَّد بن كعب القرظي :

إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك واكرم أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة إن اردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحبَّ للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت .

وإني أقول لك :

أني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ؟

فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت له : أرفق بأمير المؤمنين .

فقال : يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وارفق به أنا .

ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله

فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شُكيَ إليه ، فكتب اليه عمر :

يا أخي ... أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ... وإياك أن ينصرف بِكَ مِنْ عندِ اللهِ ، فيكونَ آخِرَ العهد وانقطاع الرجاء .

قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له ما أقدمك قال خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل.

قال : فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له زدني رحمك الله .

فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له النبي ﷺ : إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل .

فبكى هارون بكاء شديدا وقال له زدني رحمك الله :

فقال : يا حَسَنَ الوجه أنت الذي يسألكَ اللهُ عزَّ وجلَّ عن هذا الخَلْق يوم القيامة فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار ، فافعل ، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال:

من اصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة .

فبكى هارون وقال له : عليك دين ؟

قال : نعم دين لِرَبّي يحاسبني عليه فالويل لي إن سألني والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم أُلْهم حجتي .

قال إنما اعني دين العباد قال إن ربي لم يأمرني بهذا ، أمر ربي أن أوحده وأطيع أمره ، فقد قال عز وجل : (وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون، ما أريد منهم من رزقٍ وما أُريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القُوة المتين) [1]

فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادتك فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال لها مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه .

فلما سمع هارون هذا الكلام قال ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه ، فبينا نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله) [2]

(روى النضر بن الشمل قال : سمعت هارون الرشيد يقول :

ما رأيت في العلماء أهيبُ من مالك ، ولا أورع من الفُضيل .

ومن عجيب مواقفه رحمه الله تعالى مع الرشيد ، ان الرشيد قال له يوماً متعجباً من زهده : ما أزهدك ؟

---

[1] الذاريات : ٥٦ –٥٨

[2] صفة الصفوة ص ٤٠٤ – ٤٠٨

فقال الفضيل : أنت أزهد مني .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : لأني ازهد في الدنيا وهي فانيةٌ ، وأنت تزهد في الآخرة مع انها باقية) [1]

كان لا يجامل في الحق ، ولا يبخل في النُصح .

وكان هارون الرشيد يتقبَّل نصحه عن طيب نفس ، بل ويطلب نُصحه .

وما كان الفضيل يسعى اليه ، بل كان هارون يطلب الفضيل أو يسعى اليه في داره .

ومما يبين مسلك الفضيل مع هارون وغيره من أهل السلطة ، ما رواه سفيان ين عيينة : دعانا هارون الرشيد ، فدخلنا عليه ، ودخل الفضيل آخرنا ، مُقَنِّعاً رأسه بردائه ، وقال لي : يا سفيانُ ، أيهم أمير المؤمنين ؟

فقلت : هذا ... وأومأت الى الرشيد .

فقال : يا حَسَنَ الوجه ، أنت الذي أمرُ هذه الأمة في يدك وعُنُقك ... لقد تَقَلَّدتَ أمراً عظيماً .

فبكى الرشيد ... ثم أتى لكل منا بِبَدْرَةٍ [2] .. فكُلٌّ منا قَبِلَها إلا الفضيل ، فلاطفه الرشيد والحَّ عليه ، فاستعفاه منها .

وبعد الخروج قال له ابن عيينة : هلا أخذتها وصرفتها في أبواب الخير ؟

قال ابن عيينة : فأخذ بلحيتي وقال :

يا ابا مُحَمَّد ... انت فقيه البلد ... وتغلط بمثل هذا الغلط ؟ لو طابت لأولئك لطابت لي .

ولم يكن هذا الموقف من السلاطين والملوك يقتصر به الفضيل على نفسه بل وعظ به العلماء حتى لا يذلوا انفسهم ويذلوا علمهم على ابواب السلاطين وان

---

[1] الفضيل بن عياض ص ٣٠

[2] كيس فيه آلاف الدراهم

يرتفعوا بعلمهم فلا يتكسبوا به .

ومن ذلك ما رُوي من ان سفيان بن عيينة (وهو قمة من قمم العِلْمِ الإسلامي) جلس الى الفضيل فقال له الفضيل :

كنتم معاشر العلماء سُرُجاً للبلاد يُستضاء يكم فصرتم ظُلمة ، وكنتم نجوماً يُهتدى بكم ، فصرتم حيرةً ، .

أما يستحي أحدكم من الله إذا أتى الى هؤلاء الأمراء وأخذَ من مالهم وهو لا يعلمُ من أين أخذوه ؟

ثم يسندُ بعد ذلك ظهره الى محراب ويقول : حدَّثني فلانٌ عن فلان .

فطأطأ سفيان رأسه وقال : نستغفر الله ، ونتوب اليه .

الفضيل والنصح :

لقد كان الفضيل ﷺ نبراس نور يضيء لمن حوله دروب الخير ويدلهم على ما ينفعهم يوم لقاءهم بربهم سبحانه وتعالى .

فلقد كان واعظاً للسلطان لم يترك فرصة إلا واستغلّها لتذكير السلطان بيوم اللقاء ويوم العرض ، وتخويفه من غضب الله ومن النار .

وكذلك كان موقفه من علماء وقته فكان شديداً عليهم يذكّرهم بما ينفعهم ، ويذكرهم بالآخرة فكان ناصحاً لهم موجّهاً لسلوكهم ، وكما مرَّ في وعظه لابن عيينة .

ويوم رأى قوماً من أصحاب الحديث يمزحون ويضحكون بصورة تتنافى مع وضع الأئمة ، فناداهم :

(مهلاً يا ورثة الأنبياء ، مهلاً مهلاً مهلاً إنكم أئمة يقتدى بكم)

كان ﷺ مجاهداً ، دائم المراقبة لنفسه ، والنصح لغيره .

ويوم سأله رجلٌ ان ينصحه قال له : يا عبد الله أخفِ مكانك ، واحفظ لسانك ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، كما أُمرت .

ومن اقواله ينصح بها عامة المسلمين :

– تركُ العمل من اجل الناس هو الرياء ، والعمل من اجل الناس هو الشرك .

– من وُقيَ خمساً فقد وُقي شر الدنيا والآخرة : العُجُب ، والرياء ، والكِبْر ، والإزراء ، والشّهوة .

– لئن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تُطلب به ، أحسن من ان يطلبها بأحسن ما تُطلب به الآخرة .

– اذا خالطت فخالط صاحب الخُلُق الحسن ، فإنه لا يدعوا إلا الى خير ، وصاحبه منه في راحة ... ولا تخالط سيّءِ الخُلُق ، فإنه لا يدعو إلا الى شرٍ ، وصاحبه منه في عناء .

– من طَلَبَ أخاً بلا عيبٍ صارَ بلا أخٍ .

–لا تؤاخِ من إذا غَضِبَ منكَ كَذَب عليكَ .

– من أظهر لأخيه الودَّ والصفاء بلسانه ، وأضمر البُغض والعداوة .. لعنه الله ، وأصمَّه وأعمى بَصَرَ قلبه .

– ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه فاغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك كيف ترى تكون حالك .

– قال فضيل بن عياض لرجل لأعلمنك كلمة هي خير من الدنيا وما فيها والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره لم تسأله شيئاً إلا أعطاك .

– أدركت أقواما يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال ليس لك هذا قومي خذي حظك من الآخرة .

– إذا لم تقدر على القيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك.

الزاهد الورع :

عن إسحاق بن إبراهيم قال كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنسانا وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يرددها.

وكان يلقى له حصير بالليل في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلا ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح .

وعن منصور بن عمار قال تكلمت يوما في المسجد الحرام فذكرت شيئا من صفة النار فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشى عليه فطرح نفسه.

وعن أبي إسحاق قال : قال الفضيل بن عياض لو خيرت بين أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيش كلبا أو أموت كلبا ولا أرى يوم القيامة.

وعن مهران بن عمرو الأسدي قال سمعت الفضيل بن عياض عشية عرفة بالموقف وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء، يقول واسوأتاه، وافضيحتاه وإن عفوت .

وعن احمد بن سهل قال قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنا عليه فلم يؤذن لنا فقيل لنا انه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن .

قال: وكان معنا رجل مؤذن وكان صيتاً فقلنا له اقرأ " ألهاكم التكاثر " سورة التكاثر رفع بها صوته .

فأشرف علينا الفُضيل وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بهاالدموع من عينيه وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو حزتها فماذا أُؤمل أو أنتظر ؟
أتى لي ثمانون من مولدي وبعد الثمانين ما ينتظَر
علتني السنون فأبلينني.

قال ثم خنقته العبرة. وكان معنا علي بن خشرم فأتمّه لنا فقال:

علتني السنون فأبلينني فرقـّت عظامي وكلَّ البصر

أبي جعفر الحذاء قال: سمعت فضيل بن عياض يقول أخذت بيد سفيان ابن عيينة في هذا الوادي فقلت له: إن كنت تظن انه بقي على وجه الأرض شر مني ومنك فبئس ما تظن .

وعن علي بن الحسن قال بلغ فضيلاً أن جريراً يريد أن يأتيه قال: فأقفل الباب من خارج قال: فجاء جرير فرأى الباب مقفلا فرجع قال علي فبلغني ذلك فأتيته فقلت له جرير فقال ما يصنع بي يظهر لي محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامي فلا يتزين لي ولا أتزين له خير له .

وعن الفيض بن إسحاق قال سمعت فضيلاً يقول لو قيل لك يا مرائي لغضبت ولشق عليك وتشكو فتقول قال لي يا مرائي عساه قال حقا من حبك للدنيا تزينت للدنيا وتصنعت للدنيا ثم قال اتقِ ألاّ تكون مرائيا وأنت لا تشعر تصنعت وتهيأت حتى عرفك الناس فقالوا هو رجل صالح فأكرموك وقضوا لك الحوائج ووسعوا لك في المجالس وإنما عرفوك بالله ولولا ذلك لهنت عليهم .

قال وسمعت الفضيل يقول تزينت لهم بالصوم فلم ترهم يرفعون بك رأساً.

تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسا تزينت لهم بشيء بعد شيء إنما هو لحب الدنيا .

وعن الحسين بن زياد قال دخلت على فضيل يوما فقال عساك إن رأيت في ذلك المسجد يعني المسجد الحرام رجلا شرا منك إن كنت ترى أن فيه شرا منك فقد ابتليت بعظيم .

الفضيل ... وأخلاق التصوف :

الفضيل .. العالم الزاهد .. الساعي الى الله ، كأي من رجال التصوف بعد ان استدل على الطريق وعرف الدرب ، صار شعلة تنير للسائرين الطريق الى الله ، على خطى رسول الله ﷺ داعياً ومبشراً ومنذراً ومعلماً ، فالعلماء ورثة الأنبياء ، لم يرثوا العلم وحسب ، بل ورثوا حب الخير للناس والدلالة عليه .

فتحدث ﷺ عن التوكل وعن الصبر وعن الصدق وعن الرضا .. تحدّث بعد أن خَبَرَ الطريق وعرف معالمه وقول الله تعالى يتردد في قلبه :

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [1] .

قوله في الذكر :

الصوفية عموماً يُنزلون الذكر منزلة سامية في العبادة ، فالذكر مجالسة الله سبحانه وتعالى .

قال رسول الله ﷺ من الحديث الذي أورده الترمذي وابن ماجة وابن حبان :

ان رجلاً سأل رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، ان شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ .. فاخبرني بشيء أتشبث به ؟

قال عليه الصلاة والسلام : لا يزال لسانك رَطْباً بِذِكْرِ الله

ويقول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما :

مثل الذي يذكر اللهَ والذي لا يذكُرُ اللهَ مَثَلُ الحيّ والميّت .

ويروي ابراهيم ابن الأشعث (الذي كان ملازماً للفضيل) ان الفضيل رحمه الله تعالى قال :

(الذاكرُ سالِمٌ من الإثم ، ما دام يذكر الله ، غانِمٌ من الأجرِ)

قوله في الورع :

---

[1] العصر / ٣

اذا أقبل الإنسان على الله تعالى ، وصَدَقَ في عبادته تحرَّج في حياته وتورَّع عن المحارم .

وحين سُئِلَ ﷺ عن الورع قال : اجتِنابُ المحارم .

وقال : أشدُّ الورع في اللسان .

وقال في الزهد :

والزهد حالُ المقبلين على الله الذين لا يطلبون غيره .

وحين سُئِلَ رحمه الله تعالى عن الزهد قال : (القناعة ، وهي الغنى)

وقال وهو يشد همم الناس في التوجه للزهد :

(إنَّ زهادة الإنسان في الدنيا ، على قَدَرِ رغبتهِ في الآخرةِ)

وقال : (لو زهد العلماءُ في الدنيا ، لخضعت لهم رقابُ الجبابرة)

وكان يقول : (من أحبَّ ان يُسْمَعَ كلامُهُ أذا تكلم فليس بزاهد)

وللتدليل على أهمية الزهد يقول الفضيل :

(جُعِلَ الخيرُ كُلُّهُ في بيتٍ ، وجُعل مفتاحه الزهدَ في الدنيا)

وهذا تحذير للمسلم ان لا تستعبده الدنيا وتسترِقَّه .

والدنيا المذمومة هنا كل ما يتعلق بالنزوات والشهوات ، وما يُشغل عن ذكر الله تعالى .

ويقول الفضيل رحمه الله تعالى في الدنيا :

(لا يسلمُ لك قلبكَ حتى لا تبالي من أكل الدنيا)

وقال في التواضع :

والتواضع خُلُقٌ صوفي وهو عكس الكِبْر والتعالي والعُجب .

يقول ابراهيم ابن الأشعث : سألت الفضيل ، ما التواضع ؟ فقال :

(ان تخضع للحق ، وتنقاد له .. ولو سمعته من صبيٍّ قبلته منه ، ولو سمعته من أجلِّ الناس قَبِلْتَهُ منه)

وقال في الصبر :

حين سُئِلَ الفضيل : ما الصبر على المصيبة ؟ فقال :

(أن لا تَبُثَّ) أي : لا تشكو .

وقال في التوكّل :

(المتوكل الواثق بالله ، لا يتهم ربه ، ولا يخافُ خُذلانه ، ولا يشكوه)

وقال في المحبة :

عند الصوفية ان المحبة أساس العلاقة مع الله ولُبّها وجوهرها .

وحين سأله من سأل : يا أبا علي متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى ؟ فقال الفضيل :

(اذا كان عطاؤهُ ومَنْعُهُ إياكَ عندكَ سواءٌ ، فقد بلغتَ الغاية من حُبِّه)

وروى الحسين بن زياد ، قال :

أخذ الفضيل بن عياض بيدي ، فقال :

(يا حسينُ : ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا ، فيقول :

من ادعى محبتي ، إذا جَنَّهُ الليل نام عني ؟ .. أليس كلُّ حبيبٍ يحبُّ خلوة حبيبه ؟ .. ها أنذا مطّلعٌ على أحبّائي .. اذا جنَّهم الليلُ مثلت نفسي بين أعينهم ، فخاطَبوني على المشاهدة ، وكلَّموني على حُضُورٍ ، غداً أقرُّ أعين أحبّائي في جنّاتي)

وعن حقيقة المحبة يقول الفضيل :

حقيقة المحبة : إيثار المحبوب على الكونين في القُرب والبُعد

وقال عن الرضا :

يقول الفضيل عن الرضا :

(درجة الرضا عن الله عزَّ وجلَّ درجة المقربين ، ليس بينهم وبين الله إلا رَوْحٌ ورَيْحان)

يقول عبد الله بن المبارك ﷺ :

قد جمعت علم العلماء ، فليس فيما جمعتُ أحبّ اليَّ من علم الفضيل بن عياض .

رحم الله الفضيل فقد كان محدِّث ثقة ، روى له أئمة الحديث من أمثال البخاري ومسلم رضي الله عنهما .

وقد بلغ الفضيل القمة في الورع وفي محاسبة النفس في الدقيق من أمرها وفي الجليل ، بحيث يكون كل عمل من أعماله خالصاً لوجه الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

البقرة ١٢٧

الفہرست

التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١	حرف الحاء	٥
٢	حاتم الأصم	٧
٣	الحارث المحاسبي	١٧
٤	حازم ابو غزالة	٢٨
٥	حبيب العجمي	٣١
٦	الحلاج	٣٨
٧	حماد الدباس	٦٣
٨	حماد التيناتي (ابو الخير الأقطع)	٧٠
٩	حرف الخاء	٨١
١٠	خالد النقشبندي (ذو الجناحين)	٨٣
١١	خير النساج	٨٨
١٢	حرف الدال	٩٥
١٣	داود الطائي	٩٧
١٤	دلف بن جحدر (ابو بكر الشبلي)	١٠٨
١٥	حرف الذال	١٢٥

التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١٦	ذو النون المصري	١٢٧
١٧	حرف الراء	١٤٧
١٨	رويم بن احمد	١٤٩
١٩	حرف السين	١٦١
٢٠	السري السقطي	١٦٣
٢١	سعد الدين الجباوي	١٧٨
٢٢	سعيد بن اسماعيل (ابو عثمان الحيري)	١٨٢
٢٣	سليم ابو مسلم	١٩٤
٢٤	سهل التستري	١٩٩
٢٥	سمنون الخواص	٢١٨
٢٦	حرف الزاي	٢٢٥
٢٧	زين الدين ابو بكر الخوافي	٢٢٧
٢٨	حرف الميم	٢٢٩
٢٩	مُحَمَّد بن ابراهيم (ابو حمزة الصوفي البغدادي)	٢٣١
٣٠	مُحَمَّد بلقايد الإدريسي	٢٣٩

التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
٣١	محمود شهاب الدين الآلوسي (ابو الثناء الآلوسي)	٢٤
٣٢	مُحَمَّد بو قبرين	٢٦٤
٣٣	مُحَمَّد بن الحسين (ابو عبد الرحمن السلمي)	٢٦٨
٣٤	مُحَمَّد بهاء الدين النقشبندي	٢٧٠
٣٥	مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابو حامد الغزالي	٢٧٦
٣٦	مُحَمَّد سعيد البوطي	٣٠٣
٣٧	مُحَمَّد بن علي محي الدين بن عربي	٣٣٤
٣٨	مُحَمَّد متولي الشعراوي	٣٧٧
٣٩	مُحَمَّد بن مهدي (بهاء الدين الرواس)	٣٩٧
٤٠	معروف بن فيروز الكرخي	٤٠٥
٤١	حرف الفاء	٤٢١
٤٢	الفضيل بن عياض	٤٢٣